NURUOSMANİYE

كتاب شرح حديث [illegible] القاري [illegible]

UOSMA
683
955

٤٥٦ شرح تائية ابن الفارض

عن حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يرقد وضع يده اليمنى تحت خده
ثم يقول ثلث مرات اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك رواه ابو داود

ابو منصور ماتريدي
اسمه محمد بن محمد بن محمود

ابو الحسن الاشعري
علي بن اسمعيل
من اولاد
ابي موسى
الاشعري

هذا البيت مكتوب على تربة امام الاعظم رضي الله عنه
يا ناظرا بقبري متفكرا باحري بالامس كنت مثلك
غدا تصير مثلي م

مما فيه بعض التقدير الى الشرف الفقير
الى رحمة ربه القدير الشيخ محمد ابن المرحوم
الشيخ ... عبد الرحيم ... العظيم
سنة اربع وعشرين وثمانمائة

الحديث الاول ١٤	الحديث الثاني ١٩	الحديث الثالث ٣٠	الحديث الرابع ٣٢	الحديث الخامس ٣٧	الحديث السادس ٣٩
الحديث السابع ٤٣	الحديث الثامن ٤٤	الحديث التاسع ٤٦	الحديث العاشر ٤٨	الحديث الحادي عشر ٥٠	الحديث الثاني عشر ٥٢
الحديث الثالث عشر ٥٣	الحديث الرابع عشر ٥٤	الحديث الخامس عشر ٥٥	الحديث السادس عشر ٥٧	الحديث السابع عشر ٥٩	الحديث الثامن عشر ٦٠
الحديث التاسع عشر ٦٣	الحديث العشرين ٦٧	الحديث الحادي والعشرين ٦٨	الحديث الثاني والعشرين ٦٩	الحديث الثالث والعشرين ٧٠	
الحديث الرابع والعشرين ٧٥	الحديث الخامس والعشرين ٨١	الحديث السادس والعشرين ٨٤	الحديث السابع والعشرين ٨٦	الحديث الثامن والعشرين ٨٩	
الحديث التاسع والعشرين ٩٣	الحديث الثلاثون ٩٨	الحديث الحادي والثلاثون ١٠٠	الحديث الثاني والثلاثون ١٠٦	الحديث الثالث والثلاثون ١٠٧	
الحديث الرابع والثلاثون ١٠٩	الحديث الخامس والثلاثون ١١٢	الحديث السادس والثلاثون ١١٦	الحديث السابع والثلاثون ١٢١		
الحديث الثامن والثلاثون ١٢٤	الحديث التاسع والثلاثون ١٢٨	الحديث الاربعون ١٢٩	الحديث الحادي والاربعون ١٣١		
الحديث الثاني والاربعون ١٣٢					

تم الفهرست
بعون الملك
الودود
م

وقف عمدة ملوك الدوران وسليل سلاطين آل عثمان مشكاة انوار اللوامع الحسان
مصباح مسارح مجالس الطرب محيي السنة امام الائمة السلطان
ابن السلطان السلطان ابو المحاسن الغازي عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان لا زالت ايامه مصابيح الآمال
وساعاته الحسنة مفاتيح ابواب الآمال
وانا الداعي للدولة الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين
الشريفين
عفي عنه

900

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESI
Kısmı : Nuruosm.
Yeri : 683
Eski Kayıt No. 955
Tasnif No. 297.2.(077)=927

بسم الله الرحمن الرحيم
رب زدني علما واكرم

الحمد لله الذي جعل الاعداد والاوقات اعتبارا للانام فخلق السموات والارض في ستة ايام
وخمر طينة آدم عليه السلام بيديه اربعين صباحا في مقام الاكرام وجعل اطوار خلقة افراد
بني آدم اربعين نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة الى ان كسى اللحم فوق العظام وواعد
موسى عليه السلام اربعين ليلة لمبتدأت الكلام وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم بعد تكميل اربعين
سنة على سنن اكثر الانبياء الكرام والصلوة والسلام الاتمان الاعمان الافضلان الاشملان
على من خلق اولا في عالم الارواح وجعل آخرا من بين الانبيا في مراتب الاشباح ليكون مظهر المراتب
الاولية الباطنية ومظهر المناقب الاخروية الظاهرية وعلى آله الكرام واصحابه الفخام وسائر
اتباعه الى يوم القيام اما بعد فيقول المفتقر الى بر ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري
هذا شرح عزيز لا بسيط ولا وجيز غير مخل في بيان مبانيه ولا ممل في برهان معانيه ممزوج
بفوائد لغوية ونحوية وفقهية وعوائد صوفية من اسرار قدسية وانوار سنية قصدت بتوفيق
الملك المغني سلوك خدمة هذه الاربعين المشتملة على احكام المباني وابلغ المعاني التي
صدرت من مشكات صدر من نزل عليه السبع المثاني مما الفه الشيخ الامام العلامة
والهمام الفهامة محيي الدين النووي قدس الله روحه العلي ونور ضريحه الجلي وقد ولد سنة
احدى وثلثين وستمائة بنوى قرية بدمشق الشام وقرأ بها كلام الملك العلام سنة تسع
واربعين وقرأ الكتب في اربعة اشهر ونصف وحفظ ربع المهذب في بقية السنة
ثم مكث قريبا من سنتين لا يضع جنبه على الارض يقرأ اثني عشر درسا من العلوم وكان
آمرا ناهيا ساهرا في العلم والعمل صابرا على خشونة العيش قصر الامل لا ياكل الا ثمرة
ما يؤتى به من عند ابويه بعد العشاء ولا يشرب الا شربة عند السحر ولم يتناول فواكه دمشق
لشبهة فيها ولم يتزوج من زهده وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية سنة
خمس وستين ولم ياخذ من معلومها شيئا يلبس ثوب قطن وعمامة سنجانية وعليه

وعليه سكينة ووقار في بحث العلوم الدينية ولم يزل على ذلك الى ان سافر الى القدس
ثم عاد الى وطنه فمرض عند ابويه وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده
طيب الله مضجعه روى انه انشد ابياتا عند الموت منها يا رب قلبي في فردوس علمائك
وبالسير يسري يوم اسري اليهم وفي زمرتي يصغوا مقامي وهذا مقام به حط
الرجال لديهم وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين وهذا اول الشروع في المقصود
بعون الملك المعبود قال رحمه الله بسم الله اي باسم المعبود بالحق الواحد الوجود المبدع
للعالم من اثر الكرم والجود والباء للاستعانة متعلق بفعل مؤخر مثل ابتدئ او ابتدائي
لافادة الاختصاص والاهتمام في مرتبة الخاص ولان ما هو السابق في الوجود يستحق
السبق في ظهور الجود ولهذا قال بعض المحققين من ارباب الشهود ما رايت شيئا الا
ورايت الله قبله وزاد عليه من تدقق لديه بقوله سوى الله والله ما في الوجود الرحمن
العام الرحمة لجميع البرية بافاضة اصول النعم وجلائلها الرحيم الخاص الرحمة للمؤمنين
بالهداية وما يتوقف عليه سعادتهم من دقائقها وحقائقها واصل الرحمة انعطاف
القلب والرقة وهي في حقه سبحانه وتعالى ارادة الخير لمن يستحقها او ترك العقوبة
لمن يستوجبها والحاصل ان الرحمن هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما يقتضي
الحكمة على وجه البداية والرحيم هو المفيض للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الانساني
بحسب النهاية وفائدة لفظ الاسم ان يسم به الحق على قلوب اهل معرفته من الخلق فلما قدم
لفظ الله اضمحلت العقول في مبداء عظمته وذابت الارواح في بحار الوهية فاتبعه
بالرحمن الرحيم ليسلي قلوب الموحدين ويشفي صدور قوم مؤمنين كذا قاله بعض المحققين
وقيل الرحمن شراب شوق اهرقه لارباب ذوق في قدح الرحيم ليتناول العباد
في مقام المراد حتى اذا شربوا سكروا واذا سكروا طربوا فطلبوا فاذا طلبوا وجدوا فاذا وصلوا
فاتصلوا فذابوا واضمحلوا في بيداء كشفه واستغرقوا في بحار لطفه هذا والله هو الاسم
الاعظم لكن بشروط من جملتها ان تقول الله وليس في قلبك سواه ونقل الاستاذ
ابو القاسم القشيري ان جميع اسمائه تعالى للتخلق الا هذا الاسم فانه للتعلق ثم اعلم
ان المصنف افتتح كتابه بالتسمية والتحميد تاسيسا بالكتاب المجيد وعملا بالحديث الصحيح
المفيد كل امر ذي بال او شان وحال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله او بحمد الله

هذا تمام التوحيد تمام شيمي اهل السلوك
تمام تحقيقه في تتمة ابيات في اخر منازل
السائرين
...

او بذكر الله فهو اجذم او اقطع او ابتر روايات متعددة وعبارات مختلفة مؤداها
انه متروك البسملة قليل البركة او مقطوع الزيادة ورواية بذكر الله اعم وفي المعنى
اتم لما يشير الى ان الابتداء المعلى الشان يحصل باي ذكر كان سواء يكون في ضمن البسملة
او الحمدلة الا ان الجمع بينهما افضل والاهتمام باقترانهما اشمل والترتيب ماخوذ من الكتاب
الجليل مع ما فيه من الاشارة الى ان توفيق الاتيان بالبسملة انعام جميل فينبغي ان يترتب
عليه شكر جزيل فقال الحمد لله وهو الوصف بالجميل الاختياري على جهة التبجيل سواء
تعلق بالفضائل الكسبية او بالفضائل الوهبية وال للاستغراق خلافا للمعتزلة في
المسئلة وقيل للجنس فلامه للتخصيص فيؤول امره الى الاول فتامل هذا وفي كلام الصوفية
ان الحمد كما يكون بالمقال يكون بالافعال ولسان الحال وهو ظهور الكمالات وحصول الغايات
من الكائنات اذ هي اثنية فائحة ومدائح رائقة لمولاها بما يستحقه فيما اولاها فموجودات
كلها مسبحة منزهة حامدة اظهارا لكمالاتها واشعارا منه بداياتها ونهاياتها في مظهريتها
للصفات الجلالية والنعوت الجمالية كما قال سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده بابلغ
فصيح ملكوتي سديد يسمعه من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وبهذا اللسان
نطق الحصى في يد المصطفى وبه تحدث الارض اخبارها وتنطق الجوارح باوزارها
وبه نطق السموات والارضين حيث قالت اتينا طائعين ثم اختار اسم الرب
المنبئ عن صفات الكمال ووصفه بما يتفرع عليها من الافعال ايماء الى استحقاقه من
جميع الجهات وسائر الاحوال ولذا قال رب العالمين بالجر على البدلية وجوز
رفعه ونصبه في العربية وبالثلاثة قرئ في الفاتحة اي مبديهم ومربيهم قال الواسطي
هو الخالق ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء والعالم ما يعلم به الصانع والعالم
وجمع لتعدد انواعه واختلاف اصنافه فقد قال وهب هي ثمانية عشر الف عالم
وقيل اربعون الفا وقيل ثلاثمائة وستون الفا وقيل ثمانون الفا نصفه في البر ونصفه
في البحر وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه قال تعالى وما يعلم جنود
ربك الا هو واختير هذا الجمع تغليبا لذوي العقول من الملائكة والثقلين لشرفهم و
استتباع غيرهم فهو عبارة عن المخلوقات باسرها من جواهرها واعراضها لافتقارها
الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وثبوت صفاته قيوم السموات والارضين

والارضين بفتح الراء وتسكن وهل بانه قياسه ارضات كثمرات فلما عوض
منه الواو والنون ابقوا فتحة الراء ايماء الى الاصل البناء والقيوم فيعول مبالغة القائم
والمراد به هنا القائم بذاته المقوم لمصنوعاته فهو خالقها والدائم القيام بامرها وجمع
السماء لاختلافهن بالاثار والحركات عند الحس وتباينها في الجنس كما ورد
في كتاب المعراج للاستاذ القشيري ان الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس
والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من
زمرد والسابعة من نور والعرش من جوهرة خضراء او باعتبار كبرها وسعة جرمها
ففي الخبر ان الارضين السبع بجنب السماء الدنيا كحلقة في فلاة وهكذا كل سماء
بالاضافة الى ما فوقها وجميع الكائنات بالنسبة الى العرش وقدمها لشرفها
وعلو مكانها وافراد الارض في الكتاب لاتحاد جنسها او لصغر جسمها او لثقل
جمعها واما جمعها المص كما ورد في بعض الاحاديث اشعارا بانها مثلها في عددها
قال تعالى ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة ما لا يعلمه الا الله الذي خلقهن وايثارا
لرعاية الفاصلة فيما قبلها وما بعدها هذا وقال القشيري من عرف انه القيوم
بالامور والاحوال استراح عن كد التدبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض
تكرمة ولم يحصل في قلبه للدنيا كثير قيمة وقد قال الاكابر ان جميع كرائم الدنيا والعقبى
عند الله اقل من تبنة عند سلطان الدنيا مدبر الخلائق اجمعين اي العالم بعواقب
امورهم ومفيض ما يتوقف عليه وجودهم وثبوت ظهورهم فان التدبير كما في العالم
العلوي والسفلي فتدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير
كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته احوال شيء من صفته في الايجاد والاعدام
والمنع والاعطاء وما شاكل ذلك المرام باعث الرسل اي مرسلهم صلوات اي انواع
رحمة المقرونة بعظمته وسلام وتسليم من كل اصناف معايبه المقرونة بمعاتبة
عليهم والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى كالحمد لله والصحيح ان الرسول انسان
اوحي اليه وامر بتبليغه والنبي من لم يؤمر او هو اعم منه وفي مسند احمد ان عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وخمسة عشر قيل
مساق الكلام يقتضي ان يكون لهذه الاوصاف مدخل في اقتضاء الحمد على المرام

لانه ترتيب الوصف على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول الدينية واجيب بان الاسم
كذلك اما ربوبيته للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر لانها من المنح الجلية واما قيامه
بامر السماء والارض فلانه لولاه لاختل العوالم العلوية والسفلية فلا يمكن لهم اكتساب
المعارف الدينية واللطائف اليقينية اذ اصلاح المعاد بانتظام امر المعاش والزاد واما
تدبيره فهو افاضة وجودهم وصفاتهم وما يتوقف عليه ثبوت بقائهم ولا يخفى انه ايضا
من النعم العظيمة والمنن الوسيمة واما بعثة الرسل فلان الخلق بسبب احتياجهم وبعدهم
عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف والعلوم من الحضرة الصمدية بل لا بد لهم في استفاضة المطالب
واستفادة المآرب من واسطة تكون من وجه تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه تلائم الرتبة
البشرية فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيض بظاهره المخالط للخلق وهم الرسل الكرام
فكان بعثهم من النعم الجسام الى المكلفين اي العقلاء البالغين من الانس وكذا من الجن بالنسبة
الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بل وكذا من الملائكة وحتى من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه
خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة واما ما قيل من ان التكليف الزام ما فيه كلفة فهو غالبي بالنسبة
الى العامة والعقل الذي هو مناط التكليفات غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة
الآلات وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر فطري يتميز به الصلاح من الفساد والخير من الشر فان
تعلق بالخالق فهو عقل المعاد والهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش والبداية لهدايتهم
اي دلالتهم الى ذات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وهداية الرسل الكرام بدلالة
العوام الى دار السلام وبارشاد الخواص طريق السير الى الله ثم في الله ليمحو عنهم ظلمات احوالهم
ويميط غواشي ابدانهم فيستضيئوا بنور القدس ويرده بنوره في مجامع الانس ثم اعلم
ان الهداية على ضربين بمعنى الدلالة وتفريق الحق من الضلالة وهو هداية ارباب الرسالة
وبمعنى التوفيق والتأييد والتحقيق وهو مخصوص به سبحانه وبهذا المعنى يجمع بين قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبين قوله سبحانه وانك لتهدي الى صراط
مستقيم او يقال اشار فيهما الى مقام الجمع كما تقرر في قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وبيان شرائع الدين الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الى الماء واصطلاحا
الطريقة الالهية المسلمة للاحكام الدينية المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد
وتجارة المعاد والدين لغة الطاعة والجزاء وشرعا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيار

باختيارهم المحمود الى ما يصلح في معاشهم ومعادهم والدين والملة يتحدان ذاتا ويختلفان
اعتبارا فان الشريعة من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث انها تجتمع عليها
تسمى ملة وقوله لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الحق الى الخلق وارشاد
العباد الى مصالح المعاش ومنافع المعاد واعلامهم بما يعجز عقولهم عن معرفته من اصلهم
كالحشر والنشر والجنة والنار وتعيين وظائف الطاعات وتبيين اوقات
العبادات وبيان الحدود والاحكام في المعاملات وذلك لان الانسان لما لم يكن
مستقل الشأن بامر معاشه من غذائه ولباسه ومسكنه بل لا يتم له الا بمشاركة
من ابناء جنسه وكل يشتهي ما يفتقر اليه فاحتيج الى عدل متفق عليه ينحسم امر كلهم
لديه ولما كان من المتعذر حصر الامور الجزئية مست الحاجة الى ضبط قوانين كلية
وهي شرائع دينية ولا بد لها من شارع ممتاز باستحقاق الطاعة لينقاد له المكلفون
في قبول الشريعة وذلك باختصاصه بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة دالة على انه
من عند الحق الى الخلق كما اشار اليه المص فقال بالدلائل اي حال كونهم متلبسين
بالادلة القطعية اي الموجبة للعلم لانها تقطع معارضة الخصم وواضحات
البراهين اي الحجج الواضحة في الالزام ليتميزوا باستحقاق الطاعة للانام وتقبل منهم
الاحكام ويطاع شريعتهم مدى الايام فمن اطاعهم بشروه بالجنة في دار القرار
ومن عصاهم انذروه بالعقوبة في دار البوار احمده عدل من الجملة الاسمية
المفيدة للثبات والدوام لقدم الصفات واستمرارها الى الجملة الفعلية المناسبة
لتجدد الانعام وتعاقبها وتكرارها وايضا عمم اولا ثم خصه باسناده الى نفسه
وقال احمده على جميع نعمه اراد به هنا معنى الشكر الذي هو من افراد الحمد بقرينة نعمه
ثم النعمة هي الحالة المستلذة او المنفعة الحاصلة من المضرة ولذا اختلف في ان الجاحد
هل هو منعم عليه اولا ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى لقوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها فضلا عن اداء شكرها الا انها اما دنيوية
او اخروية وظاهرية او باطنية والدنيوية اما وهبي كخلق الاعضاء وقواها لا جزاء ونفخ
الروح للاحياء والابقاء واشراقه بالعقل وما يتبعه من الصفاء والضياء واما كسبي
كتخلية النفوس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل وتحسين الشمائل والاخلاق ونحوها

كتب الله سبحانه القصاص على القتل كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح
الآن في عند شهود الجلال الصمداني كما قال من احبني قتلته اي بسيف المجاهدة او بنور
المشاهدة ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان
متوجها اليه بالكلية كان فيضه به متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات
لم يتصل به غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته لم يكن مستحقا لكمال مودته
ومن كان الله ديته فله حيوة الارواح والبقاء برب الثقلين والتارك لدينه يعني
به المرتد بعد يقينه وفي رواية المسلم التارك للاسلام وهو اظهر في المرام المفارق
اي بقلبه واعتقاده او ببدنه او بلسانه للجماعة اي المعهودين وهم جماعة المسلمين وهو
تأكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة المسلمين وخرج من جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة
التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان لم يتب واستثناء المرتد باعتبار
ما كان قبل ردته حضورها وعلاقة الاسلام مرتبطة بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا
وانما يقتل لانه من اقراره على الردة مع اصراره خلل لانتظام عقد الاسلام فوجب قتله حفظا
للاحكام واختلف في المرأة المرتدة فقال الثلاث فهو واحد فيقتل لقوله عليه السلام من بدل
دينه فاقتلوه رواه الشيخان وهو عام في الرجل والمرأة وكان اشارة الحديث المذكور
الى ان العلة تبديل موجودة في المرأة وقال ابو حنيفة لا تقتل لنهيه عليه السلام عن قتل
النساء كما في الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من بدل دينه فاقتلوه وفي
اثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن ارتددن لا يقتلن ولكن يحبسن ويدعين
الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة في قتل الرجل بالردة انه او على الاصرار يلحق بالكفار
فيكثر سوادهم ويحارب المسلمين فيكفيه عاديته بالقتل وهذا مفقود في المرأة فانها
ليست من اهل الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن حجر هذا منقوض بالاعمى
والزمن فمدفوع بانه من النوادر في هذا الجنس ثم في هذا الحديث دليل على ان لا يقتل بالبدعة
ونفي الاجماع السكوتي عن نقل التواتر كالروافض والخوارج وكذا تارك الصلوة لا يقتل
واما قوله عليه السلام من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر فليس على ظاهره خلافا لاحمد فان
الجمهور اولوه بان معناه قارب الكفر او شابه الكفر او كفر نعمة دينه او جره الى الكفر
في اخر امره او حملوه على مستحله فيدخله في حد المرتد واما تفسير الشافعي للحديث بانه اتى

استحق عقوبة الكفر فليس ظاهرا في المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته في الدنيا والآخرة
مع انه ليس بقاتل الكفر في المعاد واما ما ذكره بعضهم من ان المرتد بدل دينه ثم المفارق
بعض دينه قد دخل في الحديث اهل البغي والخوارج تجب المقاتلة معهم حتى رجعوا الى الحق
ففيه ان الكلام في القتل لا في المقاتلة اما ترى ان الاجماع على عدم جواز قتل باغ بانفراده
او خارجي او رافضي وحده فانه لا يلزم من جواز المقاتلة جواز القتل اما ترى ان مانع
الزكوة يقاتلون بخلاف من تركها من غير قتال فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت
الموافقة بين هذا الحديث وما سبق من حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بل هذا الحديث مبين لاجمال قوله الا بحق الاسلام
فانه محصور في هذه الثلثة من الاحكام كما جاء مصرحا مرويا عنه عليه السلام ثم خص من عموم
هذا الحديث دفع الصائل فانه الى الامام الى قتله حل اراقة دم او التقدير لا يحل تعمد قتله الا في احد
الثلاثة وقد ابعد من قال بدخوله في المفارق للجماعة ولا يخفى ان الارتداد حال الاشقياء
من اهل القهر الالهي والطرد الكلي لا يفتح لهم باب القلب فبابيه الالهام ولا باب السمع
والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار فاز بغوائه طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا
بظلمات الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والنار وحبسوا في ظلمات دار البوار
فنسأل الله لطفه العزيز الغفار رواه البخاري ومسلم وتقدم انه رواه الخمسة وقد اخرجه
احمد ايضا لكن عن ابي امامة بن سهل قال كنا مع عثمان وهو محصور في الدار فقال انهم
ليتوعدونني بالقتل قلنا يكفيهم الله يا امير المؤمنين قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل
نفسا فيقتل بها فوالله ما احببت بديني بدلا منذ هداني الله ولا زنيت في جاهلية
ولا اسلام قط ولا قتلت نفسا فبم يقتلونني الحديث الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن اي ايمانا كاملا بالله واليوم الآخر
اكتفى بطرفي ما يؤمن به لان المدار عليهما او خص اليوم الآخر بالذكر لان الخير والشر ورجاء
الثواب وخوف العقاب كلها راجعة الى الايمان باليوم الآخر فمن لم يعتقده لم يرتدع
عن شر ولم يقدم على خير وتكرير الشرطية في كل جملة للاهتمام والاعتناء بكل خصلة
مستقلة فليقل بسكون اللام وبكسرها فليقل قولا خيرا او فليذكر خيرا ما فيه منفعة

ثم الخليل هو تخلل القلب محبة الرب كما قيل قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي
الخليل خليلا وسياق الكلام على تحقيق محبة الله للعبد ومحبة العبد لله في حديث ازهد
في الدنيا يحبك الله افضل المخلوقين بدليل قوله عليه السلام انا سيد الناس يوم القيمة
رواه البخاري وفي رواية الترمذي انا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي يوم القيمة ومن المقرر ان الانبياء افضل الخلق
وهو افضلهم فهو اكملهم ولقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي رواية البيهقي
انا سيد العالمين وفي رواية للترمذي انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري هذا ونقل الفاكهاني
ان الصحيح الذي عليه الجمهور هو ان الانبياء افضل من الملائكة واما كون نبينا عليه السلام افضل الانبياء
والمرسلين جملة وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهى واما قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني على الانبياء فمحمول على النهي عن تفضيل في ذات النبوة او الرسالة
او عما يؤدي الى المنقصة او محمول على التواضع او على انه قبل العلم بالقضية لان التفضيل الاجمالي
مقطوع به لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض المكرم على سائر رسل بني آدم بالقران
اي الفرقان المعظم العزيز البديع المنيع المفخم لرصانة مبانيه وفصاحتها وصحة معانيه وبلاغتها
واشتمالها على علوم الاولين والآخرين مما يحتاج اليه في امور الدنيا والدين وقد تكفل الله بحفظه
عن كيد الجاحدين وزيغ المعاندين فهو كريم على الرحمن وحرز منيع من الشيطان وجنده بل قال بعض
ارباب الكمال ان الله تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون لعدم تحقق مرامه قال الامام الصادق
فيكون عزيز الوجود وعزيز المكارم والجود وقد قال تعالى وانه لكتاب عزيز لانه نزل من رب عزيز بواسطة
ملك عزيز على رسول عزيز الى جميع عزيز قال عثمان بن عفان لو طهر باطن قلوبنا ما شبعنا
من كلام ربنا المعجزة صفة اخرى للقران وهي الامر الخارق للعادة والتاء للمبالغة كما في العلامة المتعلقة
المستمرة اي الباقية الدائمة الحاكمة على تعاقب السنين الى يوم القيمة بخلاف معجزات سائر
الانبياء فانها انقضت بانقضائهم ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد
اوتي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا يوحى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيمة فان اردت معرفة المعجزة المتعلقة بالقران مبنى ومعنى على جهة الاستيفاء فعليك بشرحنا
لكتاب الشفا وبالسنن اي والمكرم بالاحاديث المستنيرة اي ذات الانوار الكثيرة بما اشتملت عليه

من هداية الضالين وايقاظ الغافلين للمسترشدين من طلاب الرشد في الدين وخص
بهم لكونهم المنتفعين اذ لا محيص من ظلمات الردى الا بالاستضاءة من انوار السنة والهدى
وكان الاظهر ان يقول المنيرة بدل المستنيرة او يجمع بينهما بان يقول المستنيرة المنيرة
فان سنته عليه السلام كما انها مستفيضة من الملك العلام اما بواد الالهام مفيضة
للعلماء الكرام برفع ما اشكل عليهم كما يشير اليه قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
ولا يبعد ان يقال التقدير لافادة المسترشدين المخصوص بالرفع عطف على المكرم اي
المختص من بين سائر الانبياء بجوامع الكلم وبدائع الحكم في مقام الانباء وفيه تلميح الى قوله عليه السلام
اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا اي اوتيت الكلمات الجامعة بين قلة
مبانيها وكثرة معانيها ولا يختص بالقران وان كان موصوفا بايجاز المباني واشباع
المعاني فان في احاديثه ايضا وجد معاني كثيرة في مباني يسيرة فقد تصدى لجمع بعضها
الائمة كابن السني والقضاعي وابن الصلاح وآخرين من اهل التبجيل وفي الشفاء منه ما
يشفي العليل وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث على كلمتين شاملتين
لنسبة المرام وهو اقصى ما يتصور منه الكلام التام هذا وبلسان العارفين معناه نعتت
بالسنة الصفات وكلمات المقامات من بحر الحقائق في الذات تظهر الحق بلسان رباني
وبيان الحق الذي يتكلم به للخلق وهو اشارة الى عين الجمع وسماحة الدين اي سهولته
ويسره كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقال يريد الله ان يخفف عنكم وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم من تعيين قرض الجلد والثوب اذا اصابه النجاسة وقتل النفس في التوبة
والقود في القتل حتما دون الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وكان من اذنب منهم اصبح
ذنبه مكتوبا على بابه فيقام عليه حده وفي كتابه ولما قرا الصحابة ربنا ولا تحمل علينا
اصرا الى آخر السورة اجاب الله تعالى دعاءهم بقوله قد فعلت رواه مسلم وكما رواه الطبراني
في الكبير بعثت بالحنيفية السمحة وزاد احمد في مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة
وروينا ايضا انه قيل يا رسول الله اي الاديان احب الى الله قال الحنيفية السمحة وروى
احمد مرفوعا يا ايها الناس ان دين الله يسر قالها ثلثا وفي رواية قال خير دينكم
ايسره قالها ثلثا وانه لما نظرت عائشة الى لعب الحبشة ليعلم اليهود ان في ديننا

فسحة اي ارسلت بحنيفية سمحة وروى عبد الرزاق احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة
قيل وما الحنيفية السمحة قال الاسلام الواسع وصح عن ابي رضي الله عنه اقرأني النبي صلى الله عليه وسلم
ان الدين عند الله الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية وهذا مما نسخ مبناه وبقي
معناه كحديث البخاري الدين يسر قال الكافيجي فان قلت فهل الفائدة من ذكر صفاته الحسنى من المدح
والثناء بما يليق بذاته والاستلذاذ بذكره والابتهاج باسمه كما قيل اعد ذكر نعمان لنا
ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع لا التعريف والتشهير بهذه الاخلاق فانه مستغن
عنها على الاطلاق قلت نعم وما احسن قول من قال من ارباب الحال اساميا لم تزده معرفة
وانما لذة ذكرناها وقد قال الاعشى ما ان مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد صلوات
الله وسلامه عليه اي انواع رحمته واصناف سلامه نازلة اليه وواصلة لديه خاصة
وعلى سائر النبيين اي جميعهم عامة فيحصل له دعوة ثانية تامة وهو بالياء والهمز كما قرئ
بهما في التواتر فعيل النبي بالهمز فعيل بمعنى الفاعل من النبأ وبالياء فعيل بمعنى المفعول
من النبوة بمعنى الرفعة وزاد ابن حجر في اصل شرحه والمرسلين وقال من حدهما وما بينهما
من العموم والخصوص وفيه انه مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة مع انه مستغنى
عنه لدخول الخاص تحت مدلول العام وآل كل اي اقارب كلهم من جهة النسب والحسب
او من اختص بهم من حيث العلم والادب ويلائم الاول قوله وسائر الصالحين اي وباقي
المؤمنين من الصحابة والتابعين واتباعهم الى يوم الدين كافة والصالح الكامل هو
العالم العامل القائم بحقوق الله وحقوق خلقه وما احسن من قال من ارباب الحال احب الصالحين
ولست منهم لعلي ان انال بهم شفاعة واكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في
البضاعة قال الكافيجي كان الاولى ان يقال وعلى آل كل باعادة كلمة على لكمال العناية بتعلق
الدعاء بهم كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انتهى ولا يخفى ما فيه من الفرق فههنا فان الصلوة
على الانبياء اصالة وعلى آلهم تبعية فلا ينبغي التسوية في القضية مع ما فيه من الايماء الى المتعسفين
في وجوه العربية واما ما ذكره الشيعة من حديث من فصل بيني وبين آلي بعلي فعليه
كذا وكذا فموضوع باتفاق حفاظ السنة هذا ولعل المص استعمل السائر في مقاميه
باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه فلا اعتراض عليه في تكرار لفظه امابعد كلمة يؤتى
بها في اول الكتاب ويسمى فصل الخطاب لانه يفصل به بين ما سبق من ذكره سبحانه

وبين ما اراد من الغرض المسبوق اليه في الباب وقد اتى به صلى الله عليه وسلم في خطبه كما صح
عنه بل ثبت ثبوتا قطعيا اذ رواه اثنان وثلثون صحابيا والمبتدي بها داود عليه السلام
وقيل غيره من الكرام والمشهور ضم داله مبنيا واجاز الفراء نصبه منونا واجاز ابن هشام
فتحه وانكره غيره ولكونها نائبة عن اسم شرط هو مهما اجيبت بالفاء فالتقدير مهما يكن
من شيء من الكلام بعد ما تقدم في هذا المقام من البسملة والحمدلة والصلوة والسلام فقد
روينا بفتح اوليه مع تخفيف الواو عند الاكثرين من روى اذا نقل عن غيره وقال الجمع الاجود
ضم الراء وكسر الواو مشددة اي روانا مشايخنا اي نقلوا لنا فسمعنا عن فلان كذا
قال بعض المحققين وهو بعيد رواية ودراية واختار انه بصيغة المجهول مخففا على طريق
الحذف والايصال اي روي الينا او نقل لدينا سماعا او قراءة او اجازة خاصة
او عامة او مناولة او مكاتبة او اعلاما او وجادة او بصيغة المعروف ليكون
قوله ان مع صلتها مفعولا له هذا وانما ذكره المص بصيغة الجمع لمشاركة غيره معه
كما فرقوا بين حدثني وحدثنا فلا وجه لجعل ابن حجر النون للعظمة ليحتاج الى تكلف
وتعسف في توجهه عن طريق الملامة عن علي بن ابي طالب هو اول من اسلم وله
سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلها سوى تبوك حيث قال له اما ترضى ان تكون
مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي احد العلماء الربانيين بل اوحدهم والشجعان
المشهورين بل اشجعهم استشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن
ملجم لسبع بقين من رمضان ومات بعد ثلث وكما له ثلث وستون سنة
ودفن عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي ابواب كندة على ما قاله الصغاني او في قصر
الامارة عند المسجد الجامع وصلى عليه ابنه الحسن وغيب قبره كما في تاريخ اليافعي ومدة
خلافته خمس سنين الا ثلثة اشهر ونقش خاتمه الملك لله وكنيته ابو الحسن
وابو تراب كناه النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب
بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا تراب فكان احب الالقاب اليه لوروده على لسانه
صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بحيدر وهو الاسد رغما لاهل الحسد ومروياته
خمسمائة وستة وثمانون حديثا وعبد الله والمراد به عند الاطلاق كما اصطلح
عليه المحدثون ابن مسعود الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وطهوره ونعليه قيل وسجادته ومخدته وهو افقه الصحابة بعد الخلفاء ومن اكابر القراء
توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او ثمانين
ومروياته ثمانمائة وثمانية واربعون ومعاذ بن جبل بضم الميم انصاري شهد بدرا وما
بعدها وبعث والي اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثماني
عشرة وهو ابن ثلث وثلاثين ومروياته مائة وخمسون وابي الدرداء عويمر بن
عامر الانصاري كان فقيها عالما عابدا زاهدا شهد مشاهد العظام وسكن الشام
ثم عاد الى المدينة ومات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين ومروياته مائة وتسعة
وسبعون وابن عمر اي عبد الله وهو المراد به عند الاطلاق اسلم مع ابيه وهو صغير كان
شديد المتابعة للسنة توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره وقد
ولد قبل الوحي بسنة ومروياته الفان وسبعمائة وثلثون وابن عباس اي عبد الله وهو المراد به
حال الاطلاق ايضا حبر الامة وعالمها رأى جبرئيل مرتين مات بالطائف سنة ثمان
وستين وهو ابن سبعين وقبره يزار هناك ويتبرك به واما ما على السنة العامة
من انه صلى الله عليه وسلم قال من لم يقدر على زيارة قبري فعليه بزيارة ابن عمي فباطل
لا اصل له وهو احد العبادلة الاربعة وهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله
ابن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير على ما قاله الامام احمد بن حنبل وسائر
المحدثين واما قال الجوهري ان عبد الله بن مسعود احد العبادلة فادخله فيهم واخرج
ابن عمر منهم فغلط نعم اذا اطلق عبد الله فالمراد به ابن مسعود في اصطلاح المحدثين
فانه اجلهم وافضلهم وانس بن مالك الانصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد وطول العمر والبركة فاثمر شاضعه كل سنة
مرتين ودفن من صلبه سوى اسباطه مائة وخمس وعشرون ومات بالبصرة بعد
ان عمر اكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين
ومات سنة احدى او اثنتين او ثلاث وتسعين ومروياته الفا حديث وستة
وثمانون وابي هريرة دوسي واسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلثة وثلثين قولا
كان في صغره يلعب بهرة وفي كبره يحسن اليها فكني بها ويمنع صرفها لكونها علما
حال كبرها ولو صغر وقت صغرها او لانها كانت صغيرة بالنسبة الى غيرها اسلم سنة خيبر وكان

وكان عريف اهل الصفة ومات سنة تسع او سبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون
سنة واحاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلثمائة واربعة وستون وابي سعيد الخدري
بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار كان من الحفاظ
المكثرين والعلماء المعتبرين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن
بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم وقد نقل عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ايضا كما قاله المنذري وغيره وعن جابر بن سمرة وسلمان كما اخرجه ابن ماجة من طرق
كثيرات اي اسانيد كثيرة وطرق جمع طريق وهو جمع الكثرة فتأكيده بالكثيرات
مبالغة للكثرة بروايات متنوعات مختلفة المباني متفقة المعاني كما سيأتي
بيانها وتفاوت شأنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ابو القاسم محمد بن
عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين حملت به امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب
عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام الفيل او قبله بثلثين او اربعين يوما ومات ابوه لما اتى
عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان في حجر عبد المطلب
ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي وليه ابو طالب وذهب به الى الشام
بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام ورجع من بصرى وخرج اليها
مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها بعد ما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت
عنده ثماني عشرة سنة ولما بلغ خمسا وثلثين شهد بنيان الكعبة ولما تم له اربعون
بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ونزل عليه القرآن وفرض عليه
التبليغ والبيان ولما اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر اسري به ليلة الاثنين
وخص بالرؤية بالعين وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلث وخمسين هاجر الى
المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة
الثانية في الجهاد لمن ابتدأ به في غير الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح ابتداؤه فيهما ايضا وفرض
فيها صوم رمضان واما الزكوة فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض الحج في السنة
السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة
حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها
ولم ينضبط ما حج قبلها واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا

وخمسين وتزوج احدى وعشرين امراة طلق ستا ومات عنده خمس وتوفي عن
عشرة لم يوصل بواحدة منها واولاده ثمانية ولما بلغ ثلث وستين اختار الرفيق
الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت من اول ربيع سنة احدى عشرة
ودفن الثلاثاء او الاربعاء عليه افضل التحية واكمل الثناء قال من حفظ على امتي
لاجل تعليم امتي فعلى للتعليل كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وقيل التقدير شفقة
على امتي او صل الحفظ ضبط الشيء ومنعه عن ضياعه وهو هنا قد يكون بحفظ مبنى
او معنى او جمعا بينهما وقد يكون بضبطه في الكتاب وقد يكون بسبب نقله الى اولي الالباب
قال المؤلف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين وان لم يحفظ مبناها
ولم يعرف معناها وهو احقيقة مؤداه اذ به يحصل انتفاع المسلمين لا بحفظه ما لم ينقله
اليهم انتهى والامة جمع لهم جامع من دين او زمان او مكان يطلق
تارة على كل من بعث اليهم ويسمون امة الدعوة واخرى على المؤمنين منهم وهم امة
الاجابة وهم المراد هنا لانهم المنتفعون باحاديث النبوة اربعين حديثا المراد
هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ومعرفة شمائله من امر دينها اي
من جملة امور تتعلق بها مما هم مأمورون بتدينها سواء يكون من الاصول او الفروع المترتبة
عليها وكانه احترز عن الامور العادية الدنيوية التي من لوازم البشرية مما ليس بها
ضرورة في احوال الدينية والاخروية بعثه الله تعالى يوم القيمة في زمرة الفقهاء
بالفروع الشرعية والعلماء بالاصول الدينية وتأخير العلماء للترقي في الاداء والتعبير
بالبعث في زمرتهم للايماء الى انه لم يكن في مرتبتهم فلا يشترط فقه المبنى ولا علم المعنى بكل
كما اشار اليه المص خلافا لمن نازع في هذه الدعوى وفي صنيع المص هذا اشعار بان
من نقل حديثا من كتاب سواء بعينه او يتصرف فيه كحذف اسناده او اختلاف ترتيب
في ابوابه يكون داخلا في حفظ الاحاديث والا ففي الحقيقة لم ينقل هذه الاربعين الا من
سيأتي ذكرهم من المخرجين المتقدمين في التدوين وفضل الله واسع شامل لحفاظ
علوم الدين وان كان يختلف ويتفاوت مراتب المجتهدين كما يدل عليه خير ثوابك
على قدر تعبك ثم لا فرق بين حفظ اربعين حديثا صحيحة او حسنة وكذا ضعيفة
في فضائل الاعمال لا في بيان الحرام والحلال لامتناع العمل بها فيهما في جميع الاحوال هذا وقد

وقد اشرنا في صدر هذا الكتاب الى وجه ايثار هذا العدد في الباب وقد روي من
اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه واذا مات المؤمن بكى
عليه اربعين يوما ويبقى بركة دعاء الوالدين اربعين سنة ولما كمل بايمان عمر عدد الاربعين
من المؤمنين نزل قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقد افاد بشر
الحافي رضي الله عنه بقوله يا اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث كما قال صلى الله عليه وسلم
ادوا عشر اموالكم من كل اربعين درهما يعني بشرط بلوغ دراهمه مائتي درهم فعدد الاربعين
اقل ماله عشر صحيح فكما دل حديث الزكوة على تطهير ربع العشر للباقي كذلك العمل بربع
عشر الاربعين يخرج باقيها عن ان يكون غير معمول بها وفي الحديث الحسن انكم في زمان
من ترك عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما امر به نجا ثم الظاهر ان هذا العدد
ادنى الكمال في الاحوال والا فمن خرج من بيته في تحصيل حديث بصدق نية او تعلم حديثا
واحدا وزاد تكميل غيره في طويته فيبعث مع العلماء والفقهاء وفي رواية بعثه الله
فقيها عالما اي ولو لم يكن في الدنيا فقيها عالما بل يكون ناقلا مجردا وفي الاحياء
من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما قال العراقي رواه ابن عبد البر
من حديث انس وضعفه وفي الجامع الصغير لشيخ مشايخنا السيوطي من حمل من امتي اربعين
حديثا بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما رواه ابن عدي عن انس بسند ضعيف وفي ما بين
الروايتين دلالة على اعتبار مجرد الحمل من غير احتياج الى النقل وبه يندفع قول المص
لا بحفظه ما لم ينقله الى غيرهم اعتمادا على ظاهر ما اختاره من الفاظ الروايات وهو قوله
على امتي ولكن يمكن ان يكون على بمعنى من كقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس اي منهم
على ما صرح به في مجمع مؤدى الفاظ النبوة وكون الحديث شاملا لمن حمل سواء حفظ او لم
او عمل او نقل اولا وهذا التعميم في باب الترغيب اولى كما لا يخفى ثم ما نفاه المص ماخوذ
من مفهوم حديثه فلا يعارض منطوق حديث غيره مع ان اعتبار المفهوم مختلف بين اهل
العلوم وفي رواية ابي الدرداء وكنت وفي نسخة كنت له يوم القيمة شافعا وشهيدا
اي شاهدا على كمال ايمانه وجمال احسانه وفي رواية بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيمة
شافعا وشهيدا كذا ذكره بعض الشراح من المحققين وهذا يؤيد ثبوت واو العاطفة
وفي الاحياء من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها كنت له شفيعا وشهيدا

يوم القيمة قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث ابن عمر وضعفه وهذا يؤيد نسخة كونه
بلا عاطف وذكره السيوطي في جامع الصغير بهذا اللفظ وقال رواه ابن عدي عن ابن عباس
ثم قال وورد ابن النجار عن ابي سعيد بلفظ من حفظ على امتي اربعين حديثا من سنتي ادخلته
يوم القيمة في شفاعتي وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت
اي تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه وفي رواية ابن عمر كتب في زمرة الفقهاء وحشر في زمرة
الشهداء واختلاف الروايات وان كان مؤداها واحدا الا ان فيها اشارة الى
اختلاف مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها او بانضمام فهم معانيها
والعمل بما فيها وتصحيح النية في روايتها ودرايتها وكتابتها واتفق الحفاظ اي حفاظ الحديث
على ان الحديث المذكور حديث ضعيف وان كثرت طرقه اي اسانيده عند مخرجيه عن الصحابة
مرفوعا وموقوفا اذ ليس في جميع طرقه ما يقوى ويقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق منها ان يكون
فيها مجهول او معروف او مشهور بالضعف قال ابن السبكي ليس من وجه يثبت
وقال الدارقطني في علله كل طرقه ضعاف والبيهقي اسانيده كلها ضعيفة والكلام
محتاج الى التقدير ليتم المرام بان يقال هو عطف على مقدار اي ان لم يكثر وان كثرت كذا اورده
الكازروني وفيه ان المقصود ثبوت الكثرة وهو لا يتحقق من تقدير العبارة وقد قال خسرو
ان مثل هذا التركيب واقع في عبارات المصنفين وظاهره غير مستقيم وغاية ما يمكن ان يقال
فيه ان الواو زائدة انتهى وبعده لا يخفى والاظهر ان يقال وان كثرت طرقه فهو ضعيف
فكيف اذا لم يكثر طرقه فهو بالاولى ضعفه هذا وقد اغرب الكازروني حيث فسر الطرق
بطرق السبعة في تحمل الحديث من السماع والقراءة والاجازة والمناولة والمكاتبة
والاعلام والوجادة والصواب ما قدمناه بان المراد بالطريق الاسناد ثم اعلم
ان لاهل الحديث مراتب اولها الطالب وهو المبتدي الراغب ثم المحدث وهو الاستاذ
الكامل الفاضل ثم الحافظ وهو الذي احاط علمه بمائة الف حديث ثم الحجة وهو الذي
احاط علمه بثلثمائة الف حديث ثم الحاكم وهو الذي احاط علمه بالجميع متنا واسنادا
وجرحا وتعديلا وتاريخا كذا في شرح الفوائد المنيفة ثم الضعيف في اصطلاح
المحدثين هو الحديث الذي لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط الحسن فمعرفته موقوفة
على معرفتهما فالصحيح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط وسلم عن شذوذ وعلة و

والحسن ما قصر ضبط راويه عن راوي الصحيح مع بقاء سائر الشروط المتقدمة
في حد الصحيح كذا افاده جلال الدين وتحقيقه في شرح النخبة على ما اوضحت الشرح
بالشرح وقال بعضهم في تعريف الضعيف ما يكون بعض رواته مردودا
بواسطة عدم العدالة والرواية عمن لم يره او سوء الحفظ او تهمة في العقيدة او
عدم المعرفة بما يحدث عنه او الاسناد الى من لا يعرف او بعلل آخر هذا وقد قال
الحافظ ابو طاهر السلفي في اربعينه وروي من طريق وثقوا بها وركنوا اليها
وعرفوا صحتها فعولوا عليها انتهى وكانه اراد بصحتها ثبوتها وهو ان يكون
حسنا لغيره قال المنذري يمكن انه سلك في ذلك مسلك من رأى ان الاحاديث
الضعيفة اذا انضم بعضها الى بعض احدث قوة انتهى وكان هذه المسئلة
مختلف فيها ولعل المص اختار خلاف ما اختاره السلفي والظاهر ان اختيار السلفي
اولى لان ما اختاره المص انما يكون فيما اذا لم يخلو طريق من طرقه عن كذاب او وضاع
هنالك وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات
فتساهل منه او محمول على سند خاص عنده واما خبر من حفظ على امتي حديثا كان له اجر
احد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع وآثار الكذب لائحة عليه وواضحة لديه
وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب اي باب الاربعينيات او في جمع
الاربعين حديثا ما لا يحصى من المصنفات بيان لما وهذه العبارة مبالغة في الكثرة
لا انها محمولة على الحقيقة والمقصود بان لهم في ذلك الاسوة الحسنة فانهم قدوة
الامة فاول من علمته صنف فيه اي في هذا الباب او في جمع الاربعين وهو مفعول
الفعل الاول وفاعل الثاني ضمير راجع الى من والخبر للمبتدا وهو اول قوله
عبد الله بن المبارك اي المروزي وهو الامام المجمع على جلالته وامانته وفقاهته
فانه من اصحاب ابي حنيفة وارباب الوجوه في مذهبه وترتجى المغفرة بحبه وتستنزل
الرحمة بذكره وهو من اتباع التابعين زبدة العباد وقدوة الزهاد توفي منصرفا
من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلث وستون كان ابوه مملوكا لرجل
من همدان عليه الرحمة والرضوان قيل له كيف لا تستوحش في منامك فقال كيف
يستوحش من يجالس النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين يعني

الكتب لان فيها الاخبار والسير والآثار رواه الحاكم في تاريخه عن نعيم بن حماد
ثم وفي نسخة و محمد بن اسلم بالواو الطوسي بضم الطاء نسبة الى بلد من خراسان
العالم الرباني بزيادة الالف والنون للمبالغة في تحقق النسبة والدلالة
على كمال الصفة كما يقال الشعراني واللحياني اي الراسخ في علم الدين الثابت
في مقام اليقين وقيل هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل
هو العامل بعلمه المعلم لغيره وقيل هو الطالب بعلمه مرضات ربه وقالت
الصوفية انه الرباني هو الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني توفي سنة
اثنتين واربعين ومائتين ثم الحسن بن سفيان النسوي بالواو في اصلنا
المعتمد عليه وهو بفتح النون والسين منسوب الى نسا بلد بخراسان وفي نسخة
النسائي بالهمز بدل الواو وهو مقصور وقد يمد والهمز في استعمال المحدثين
اكثر واشهر فتدبر وهو محدث خراسان وقد رحل البلدان وسمع من محدثي
الزمان فيما وصل اليه من المكان وكان له كرامات توفي سنة ثلث وثلاثمائة
وابو بكر بالواو العاطفة الى آخر الاسماء الآتية وكانه اورد بلفظ ثم في الاولين
لعله بالتأخير الزماني فيهما بخلاف من بعدهما الآجري بهمزة ممدودة وضم جيم
وتشديد راء فياء نسبة وهو محمد بن حسين البغدادي كان دينا ثقة وله تصانيف
كثيرة منها كتاب الشريعة حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة خير البلاد واستطابها
في المراد فقال اللهم احييني في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول بل ثلثين
فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد فمات بمكة سنة ستين وثلثمائة وابو بكر
ابن محمد بن ابراهيم اي العطار مستملي ابي نعيم كان ثقة يملي من حفظه توفي باصبهان
سنة ست وستين واربعمائة وقوله الاصبهاني بالباء والفاء مع كسر
الهمزة وفتحها والفتح افصح كذا قاله الامام في كتاب الاسماء والالقاب وفي نسخة
بالباء العجمي واما قول ابن حجر بالفاء لا الباء فمحمول على ما عنده من الانباء ففي القاموس
اصل اصبهان اصبهان اي سمنت المليحة سميت لحسن هوائها وعذوبة
مائها وكثرة فواكهها فخففت والصواب انها اعجمية وقد يكسر همزها وقد
تبدل باؤها فاء واصلها اسباهان انتهى وذكر في المغني فرق بين الفاء والباء فقال

فقال الاصفهاني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة في اهل الشرق وبباء موحدة
في الغرب انتهى والاطلاق يؤيد المشهور بالاتفاق والدارقطني بفتح الراء وسكون
نسبة الى دارقطن محلة كبيرة ببغداد وهو الحافظ ابو الحسن علي بن عمر مات سنة خمس وثمانين
واربعمائة والحاكم اي محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك مات سنة خمس
واربعمائة وابو نعيم اي الاصفهاني كما في نسخة وهو احمد بن عبد الله مصنف حلية الاولياء
مات سنة ثلاثين واربعمائة وهذه الاسماء ساقطة من شرح ابن حجر موجودة
في الاصول المصححة والمتون المشروحة وابو عبد الرحمن اي محمد بن حسين السلمي بضم سين
وفتح لام مخففة منسوب الى سليم قبيلة مشهورة من قبائل العرب وهو صاحب الحقائق
وطبقات الاولياء كان عمدة لائمة استاذ ابو القاسم القشيري وشيخ ابي سعيد بن ابي الخير وثنى
عليه الشيخ عبد الله الانصاري صاحب المنازل كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دأبه في شأن
الائمة توفي سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو سعيد بالياء وفي نسخة ابو سعد وهو يوافق
لما قاله السمعاني وهو المشهور على السنة اهل خراسان وهو احمد بن محمد الماليني بكسر اللام فتحتية
محل معروف من اعمال هرات وقبره هناك يزار ويتبرك به ويقال له الماليني وهو من رواة
ابن عدي الحافظ كان ثقة متقنا وقال شارح دخل الى مصر فمات بها سنة اثنتي عشرة
واربعمائة وابو عثمان الصابوني نسبة الى عمله وعبد الله بن محمد الانصاري وفي نسخة زيادة
الهروي وهو صاحب منازل السائرين ومن المشايخ المعتبرين من اجلاء الحنابلة كان جامعا
بين العلم والعمل والمعرفة حاويا للسنة منسوب الى انصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الاوس
والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة كان كثير السهر وقد حدث وصنف وكان
قويا في نصرة الدين توفي بهراة يوم الجمعة وقت الغروب سنة احدى وثمانين واربعمائة وفي
نسخة بدله ومحمد بن عبد الله الانصاري والظاهر انه انقلاب من بعض الكتاب وقد صحح
الكازروني بان النسخ الاولى هو الصواب وابو بكر البيهقي مؤلف شعب الايمان مات سنة
ثمان وخمسين واربعمائة ولما خص المشاهير بالذكر عمم الباقين فقال وخلائق لا يحصون
بصيغة المجهول اي لا يعدون لكثرتهم من المتقدمين والمتأخرين اي من الصحابة والتابعين
والاسماء المتقدمة ايضا الى هنا ساقطة في شرح ابن حجر فتدبر وقد استخرت الله تعالى
اي طلبت الخير منه كما دل عليه قائد العقل وناقد النقل وقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم

من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس وروى من سعادة ابن آدم استخارته الله
ومن شقاوته تركه استخارته في جمع اربعين حديثا اي من كلام سيد الانام اقتداء بهولاء
الائمة الاعلام اي المشهورين فيما بين الانام وحفاظ الاسلام فانه مثلهم لا يفعلون الا
ما ثبت من المرام وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال
اي لا في الفرض والوجوب والحرمة والحلال لانه ان كان صحيحا في نفس الامر فقد اعطى حقه
من العمل به والا لم يترتب على العمل به مفسدة في دينه وقال شارح يعني اذا ثبت مندوب
بحديث صحيح او حسن يجوز لنا رواية حديث ضعيف في فضيلته والترغيب فيه ليكون كالتابع له
لا انه يحتج به في اثبات امر مندوب فانه تقرر في الاصول انه لا يستدل به في اثبات الاحكام
الخمسة الا بالصحيح او الحسن انتهى والاظهر ان المراد بالاعمال انما هي الافعال المباحة وانه
اذا ورد حديث ضعيف في شانه يترقى الى مقام استحسان فمن حديث ضعيف من بلغه
عني ثواب عمل فعمل حصل له اجره وان لم اكن قلته ومع هذا الجواز المذكور فليس اعتمادي في جمع
الاربعين على هذا الحديث اي المشهور فقط بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
اي في قوله الداخل فيها ليبلغ الشاهد منكم الغائب بكسر اللام الاولى للامر وتشديد اللام الثانية
ويجوز تخفيفها ومنها قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي اي ليوصل الحاضر كلامي الغائب
من المجالس او عن عالم الوجود او الخطاب للصحابة ثم لمن بعدهم وهلم جرا فانه من فروض
الكفاية وهذا تحريض على التعلم والتعليم فانه لولاه لانقطع العلم وانقطع العمل بكثرة
الجهل والحديث اخرجه الشيخان في صحيحيهما في خطبة حجة الوداع واخرجه ابن منده في مستخرجه
عن ثمانية عشر صحابيا وقوله اي وعلى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نضر الله امرأ اي بالتشديد
والتخفيف والاول هو الاكثر اي حسنه وجمله قال المظهر وروي عن سفيان بن عيينة انه قال
ما من احد يطلب الحديث الا وفي وجهه نضرة فكأنه اراد انها دعوة اجيبت او اخبار فصدقت
ولا يبعد ان يراد به النضارة يوم القيامة قال تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال تعالى
ولقاهم نضرة وسرورا فاهل الحديث يكون لهم زيادة نضرة ولغيرهم مزيد حسرة وحكى
ابن العربي عن ابن شكوال انه بالصاد المهملة وهو شاذ بل تصحيف لمبناه وتحريف لمعناه
سمع مقالتي اي مني او من اصحابي واتباعهم فوعاها اي حفظها بقلبه وداوم على تعهده فاداها
اي بلغها كما سمعها من غير تغيير مبناها او معناها رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حسن

صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن جبير بن مطعم وقال صحيح على شرط
الشيخين وابو داود وابن ماجه والترمذي عن زيد بن ثابت وقال حسن صحيح وفي حديث
صحيح نضر الله امرأ سمع منا حديثا فاداه عنا فرب مبلغ اوعى من سامع رواه
احمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود والمبلغ بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرأ
سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من
هو افقه منه ثم من العلماء وفي نسخة ثم انه وفي اخرى ثم اعلم ان من العلماء من جمع الاربعين
في اصول الدين وبعضهم اي في الالهيات والنبويات والحشر والنشر وبعضهم في الفروع
اي الاحكام الفرعية المتعلقة بالافعال العملية وبعضهم في الجهاد اي في فضائل القتال
مع الكفار وبعضهم في الزهد اي قلة الرغبة في دار الاكدار يقال زهد فيه وعنه وزهد ضد
رغب فيه والمراد ترك فضول الدنيا والاعراض عما يشغله عن الاخرى وبعضهم في الآداب
وفي نسخة في الادب وهو حسن الاخلاق والاحوال والاعمال الحميدة من الخصال وبعضهم في الخطب
جمع خطبة وهي الموعظة وهو كلام بليغ يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع الناعية ماخوذ
من الخطب لانهم اذا الم بهم خطب وشان خطبوا اي اجتمعوا الى امره او احتالوا في دفعه وكلها
مقاصد صالحة اي اغراض حسنة رضي الله عن قاصديها بالنيات المستحسنة وقد جمعت
بحمد الله وحسن توفيقه اربعين في الاحاديث القدسية واربعين في فضل الصلوات النبوية ورجوا
من الله ان يكون لي معينا حتى اكمل اربعين اربعينا وقد رأيت من الرأي اي حصل لي رأي صحيح
في الهدى والاعانة على البر والتقوى جمع اربعين اي حديثا كما في نسخة اهم من هذا كله اي مما ذكر فرادى
جميعه وهي اربعون حديثا مشتملة اي من نعتها انها محتوية على جميع ذلك اي في الجملة وفي نسخة
زيادة كله للتأكيد وفي نسخة بنصب مشتملة على الحالية ولا يرد عليه زيادة حديثين لان العدد
لا مفهوم له وقد قيل من زاد زاده الله في حسناته او لانه كان المقصود منها الاقتصار على الاربعين
فعند فراغه عن له زيادة ظهر شيئين لحكمة لعلها ان احدهما من باب الوعظ بمخالفة الهوى وموافقة
الهدى ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث السالفة وثانيهما من باب الرجاء والدعاء ففيه تانيس
النفس من التشديدات الواقعة في خلال الاحاديث السابقة ففي التعقيب بهما تمام المناسبة
وكل حديث منها اي من هذه الاربعين قاعدة عظيمة من قواعد الدين يبنى عليها كثير من مسائل المجتهدين
ويرجع اليها في تحقيق معالم اليقين قد وصفه العلماء بانه مدار الاسلام اي غالب احكامه عليه لاستنباطها

منه ابتداء او بواسطة مقدمات متضمنة اليه كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة ونحوها
او هو نصف الاسلام عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه انه هذا جائز في ان المكسورة
لفظا او حكما كما اذا وقعت بعد العلم وتكلف بعضهم وجوز بكون الجملة خبر الان المقدرة مع
الاسم اي بانه هو نصف الاسلام او ثلثه بضم اللام وسكون كحديث انما الاعمال بالنيات وازهد في
الدنيا وامثالهما ومن نظم الشافعي رحمه الله شعر عمدة القول عندنا كلمات • اربع قالهن خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما • ليس يعنيك واعملن بنية • او نحو ذلك بالرفع واو
للتنويع فيه وفيما قبله وفي نسخة ونحو ذلك وهو بالرفع ايضا للعطف على نصف الاسلام وذكر
الشارح الكازروني انه بالجر عطفا على ان ولا يخفى بعده مبنى ومعنى والمعنى نحو ما ذكر وهو ربع
الاسلام وخمسه كسائر الاحاديث المعتبرة فكل واحد من هذه الاربعين وصف باحد هذه الاوصاف
الاربعة كما ذكره ابن الصلاح في اكثرها فانه ذكر اقوال الائمة في تعيينها واختلافهم في اعيانها
فبلغ ما قيل فيه ذلك سبعة وعشرين كلها مندرجة في هذه الاربعين منها عشرون صحيحة وسبعة حسنة
وبلغها المصنف في اذكاره الى ثلثين وزاد عليها هنا اثني عشر وذكر في السابع والعشرين حديثين
لاجتماعهما على معنى واحد وقال الفاكهاني صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث
حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله
وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد نظمها الشيخ ابو طاهر بن المعوز وذكرنا
نسبة الى الشافعي فيما سبق وقال الامام احمد بن حنبل الاسلام او قال اصول الاسلام تدور
على ثلثة احاديث الاعمال بالنية والحلال بين ومن احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال
ابو داود الفقه يدور على خمسة احاديث الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم
عنه فانتهوا وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا ضرار وروي عن ابي داود السجستاني
قال كتبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة الف حديث انتخبت منها اربعة الاف
حديث وهو يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال بالنيات ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه والحلال بين والحرام بين ثم لو استوفي
شرح هذه الاحاديث لاستدعى الى استنباطات لا تسع الا في مجلدات اذ من جملتها حديث
جبريل فانه يحتاج الى علم الايمان وهو علم الاصول والى علم الاسلام وهو علم الفروع والى علم الاحسان
وهو علم التصوف ثم قال ابن الحجر ثم عد هذه الاربعين ولا وجه له عند ارباب اليقين فالصواب ان يقال

ان يقال اى بعد التراجم بما تقدم من كلامي الشريف في هذه الاربعين او في تأليفها وتصنيفها ان تكون
اسانيد احاديثها باسرها صحيحة اي ثابتة غير ضعيفة فيتناول الحسن بعبارة لطيفة او المراد
ان ما ذكر من الحسن في هذا الكتاب يكون صحيحا لغيره في هذا الباب فيظهر فائدة هذه الاربعين
كونها مشتملة على قواعد الدين اما الصحة فقد شاركها فيها غيره من المصنفين قلت وليس فيه محظور
او صنيعه نوع على نوع معظمها وفي نسخة ومعظمها اي اكثرها حاصل في صحيحي البخاري ومسلم
اي جمعا او فردا الا ان المتفق عليه فيها اثنى عشر وفرد البخاري اربعة عشر وفرد مسلم ثلثة عشر
والباقي لغيرهما ثم الجملة حال في اسم يكون الراجع الى الاربعين واذكرها بالرفع عطفا على التراجم
وبالنصب على يكون محذوفة الاسانيد اذ لا فائدة في ذكرها بالنسبة الى عامة مطالعيها
لا سيما اذ علمت ثبوتها باسنادها الى مخرجها والاسناد هو رفع الحديث الى قائله من النبي
وغيره بذكر رواته فيما بين قائله ليسهل حفظها بسبب قلة لفظها ويعم الانتفاع بها اذ
الاكثرون عاجزون عن حفظها باسانيدها ان شاء الله تعالى ذكره امتثالا لا لاستثناء ولانه
الانتفاع بها ما يحفظ على المصنف شانه فلا وجه لقول ابن حجر اني للتبرك بها ثم اتبعها بالرفع وهو
من الاتباع وفي نسخة بفتح الهمزة والباء والمعنى اعقب هذه الاربعين بباب في ضبط خفي الفاظها
اي الفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها او معانيها وقد التزمت ان اذكرها في محالها كما نص
عليها وينبغي اي يتعين لكل راغب في الاخرة اي ثوابها وما يتعلق به ترغب فيه اي مال اليه ورغب عنه
اي اعرض ان يعرف هذه الاحاديث اي يعلم مبناها ويبحث عن معناها مما دلت عليه واشارة
اليه ويتفكرها ويعمل بها وفي نسخة ان يعرف مقدار هذه الاحاديث اي مرتبتها بالنسبة
الى غيرها لما اشتملت عليه من المهمات وهي بيان العقائد الدينية التي هي القواعد الملية
واصول الشرائع الالهية واحتوت اي انطوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات
اي القلبية والقالبية مما يصلح امر معاش العباد وزاد المعاد وذلك اي ما ذكر من الاشتمال
والاحتواء ظاهر لمن تدبره اي تفكره وتذكره واصل التدبير النظر في دبر الامر وعلى الله
لا على ما سواه اعتمادي اي توكلي في جميع اموري واليه لا الى غيره تفويضي اي انقيادي واستسلامي
واستنادي اي التجائي واعتصامي ولله الحمد اي خاصة او خالصة والنعمة بالكسر العظيمة
فلا نعمة من غيره الا صورة قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وبه اي بسبب عونه التوفيق وهو
لغة جعل الشيء موافقا للاخر واصطلاحا خلق القدرة على الطاعة والعصمة اي الحفظ عن

الوقوع في المخالفة قال الراغب هو فيض الهي يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر الحديث
الاول اقتداء به واقتداء بالسلف الكرام وتنبيها على مزيد الاهتمام بتحسين النية وتزيين
الطوية في تمام المرام قال ابن مهدي ينبغي لمن صنف كتابا ان يبتدئ فيه بهذا الحديث تنبيها
للطالب على تصحيح النية قلت وكذا المطلوب على تصفية الطوية وقال الخطابي كان المتقدمون
من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الاعمال بالنيات امام كل شيء ينشؤن ويبتدؤن
من امر الدين وقد روى هذا الحديث من الائمة فوق ثلثمائة وقيل سبعمائة عن سعيد بن يحيى
سعيد الانصاري وهو تابعي صغير سمع انس وغيره عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه غير الانصاري
عن علقمة ولم يروه عن الانصاري غير التيمي فهو بهذا المعنى غريب في الابتداء ومشهور في الانتهاء
وليس متواترا كما توهمه بعض الفضلاء اللهم الا ان يقال بالتواتر المعنوي وقد روي عن عمر جماعة من الصحابة
كعثمان وعلي وطلحة وسعد وابن عوف وابي مسعود وابن عامر وابن عباس وابن الزبير وانس بن مالك
وابو هريرة وخلق سواهم وابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة من التابعين وقد روي
الحديث من طريق ابي سعيد الخدري وابي هريرة وابن عباس وابن عمر ومعاوية قالوا لا يصح مسندا الا من
حديث عمر رضي الله عنه فلو كان اسناده صحيحا كان ان يكون الحديث متواترا قال الشافعي يدخل هذا
الحديث في سبعين بابا من الفقه يعني سبعين قاعدة كلية من الضوابط الفقهية والا فيزيد عليها
المسائل الجزئية فاندفع به قول من قال اراد به المبالغة وقال ايضا يدخل في هذا الحديث ثلث العلم
قال البيهقي لان كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية احد الاقسام الثلاثة وهي ارجحها لانها
يكون عبادة بانفرادها بخلاف غيرها ولذا كان نية المؤمن خير من عمله ولان القول والعمل يدخل فيهما
النفس والرياء والسمعة بخلاف النية وقال ابو داود وهذا الحديث نصف العلم اقول بل اعظم التحقيق
لان نية المؤمن خير من عمله عن امير المؤمنين قال المص هو اول من سمي بذلك من الخلفاء وذكر في منتظم
ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا في السنة الثانية من الهجرة وامر عليهم
عبد الله بن جحش وسماه امير المؤمنين كذا ذكره شارح وقال اخر قال لعمر اصحابه ما ندعوك فقال انتم
المؤمنون وانا اميركم قالوا اذن انت امير المؤمنين ابي حفص عمر بن الخطاب كناه عليه السلام به وهو
لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الخطأ والصواب كان شديدا في امر الله ودينه مجتهدا محتسبا
في مقام تقية جعل الحق على لسانه واعز الدين في زمانه واستبشر اهل السماء باسلامه كان وفاته بعد ما عاش
ثلثا وستين عاما كما تم سنة اربع وعشرين وخلافته عشر سنين وستة اشهر واربع ليال ودفن خاتمة كفن

كفن بالموت واعطاه يا عمر احاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة وثلثون رضي الله عنه وهو قرشي
عدوي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي بن كعب اوصى له ابو بكر رضي الله عنه بالخلافة
فتولاها يوم مات الصديق وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة
اسلم سنة ست من البعثة وهاجر الى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بها وشهد المشاهد
كلها وفتح البلاد من العراق والسواد والجبال واذربيجان والجزيرة والموصل والشام ومصر و
الاسكندرية فبلغ في خلافته خراج السواد والجبال والعراق في العام الاول مائة الف الف وعشرين
الف الف ومصر الكوفة والبصرة واستقضى القضاة ودون الدواوين وفرض العطيات
وهو اول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز ومناقبه اشهر من ان يذكر وماثره اكثر من ان تحصى
وافرد لترجمته ابو الفرج ابن الجوزي كتابا ومات شهيدا ابو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبة قتله
طعنه وهو يصلي بالناس صلوة الصبح فعاش ثلثة ايام او سبعة ايام ثم توفي وصلى عليه صهيب
ابن سنان الرومي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات قال المص
معناه لا تحسب الاعمال الشرعية الا بالنية قيل هذا على مذهب الشافعي واما على مذهب الحنفية
فمعناه لا يثاب الاعمال الا بالنية لاختلافهم في ان النية هل هي معتبرة في صحة الاعمال ام لا
وهذا الخلاف انما هو في اعمال الوسيلة دون الاعمال المقصودة فان النية معتبرة فيها بلا خلاف
بين الفريقين اقول وبالله التوفيق ان هذا الكلام لم يصدر عن طريق التحقيق فان الشافعية
وكذا المالكية والحنبلية لم يعتبروا صحة شيء من اعمال الوسيلة بالنية الا الطهارة والمسئلة
هذه مجمع عليهم في القضية اذ لا ريبة ولا شبهة ان الطهارة من جملة شرائط الصلوة وكذا
البقية كستر العورة واستقبال القبلة والوقت والنية فلا فرق بين الطهارة من الحدث
والطهارة من الخبث وستر العورة اذ الكل من اعمال الوسيلة فيحتاج الى فرق صحيح وبيان
صريح في تخصيص هذا الشرط بالنية من بين سائر الشروط الشرعية ثم قوله لا يثاب الاعمال
ليس في محله لان الاعمال المستقلة في العبادة عند الحنفية لا يصح ايضا الا بالنية واما
الثواب فهو مترتب بعد صحتها على القبول المتوقف على الاخلاص وتحسين الطوية بان
لا يكون مقرونة بنحو الرياء والسمعة فالاحسن ما قرره المص بقوله لا تحسب لتشمل
الصحة والمثوبة الا ان قوله الاعمال الشرعية يخرج سائر الاعمال مع انها يثاب عليها ايضا
بالنية ففي الاعمال الشرعية اعتبارها بالصحة وفي غيرها بالمثوبة وهذا امر متفق عليه

فينبغي حمل الحديث عليه اما توقف صحة اعمال الشرعية على النية فاجمعوا عليه كما هو مبين في
الكتب الفقهية واما توقف ثبوت المثوبة على غيرها من الاعمال كالوضوء والغسل وستر العورة
وطهارة الثوب ونحوها وكذا البيع والشراء والنكاح والطلاق وامثالها فاتفقوا عليه
كما هو مقرر في كتب الصوفية وبهذا التحقيق اندفع ما اورد بعض الشراح من ارباب التوضيح ان المراد
نفي الاحكام المتعلقة لوجودها كالصحة والكمال ان لا صحة او لا كمال الا بها فان فيه يحملونها
على الاول والحنفية يحملونها على الثاني والاول اولى لانه لما امتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على مجاز
اقرب اليها وهو الصحة اولى كما تقرر في الاصول انتهى وقد عرفت ان الحنفية يقولون بالصحة
في الاعمال المستقلة وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة فيعطون كل ذي حق حقه هذا
مجمل الكلام واما تفصيل المرام فيتوقف على تحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة منها
ان قوله انما هي لتقوية الحكم الذي هو في حيزها اتفاقا ولافادة الحصر وضعا عند اكثر الاصوليين
خلافا لجمهور النحويين فانها عرفا يفيد تاكيد الاثبات لا غير عندهم ثم الحصر اثبات الحكم لما بعدها
ونفيه عما عداه وهو مبني على ان انما غير بسيطة بل مركبة من ان الاثباتية وما النافية فاما
ان تنفي الحكم عما بعدها وتثبته لغيره وهو باطل اجماعا واما عكسه فهو المطلوب اتفاقا واما
اذا قلنا ببساطتها تعين الاول فتامل ونوزع بانها ولو كانت مركبة قد تبدل ما فيها
كافة ثم الحصر اما حقيقي واما اضافي وقد اجتمعا في قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد وفي الاضافي في حديث اسامة انما الربوا في النسية خلافا لابن عباس
حيث ذهب اليه انه من الحقيقي ولم ينازع في فهم الحصر بل عورض بانه اضافي او دفع بدليل
اخر فعن ذلك اتفاق على انها للحصر قال ابن حجر فان قلت حذف انما في رواية صحيحة يدل على
عدم اعتبار الحصر قلت ممنوع لان رواية ذكرها فيها زيادة وزيادة الثقة مقبولة انتهى
وهو وهم منه لان انما هنا للحصر الاضافي دون الحقيقي لان الاعمال لا تتم ولا تصح بمجرد النية
بل لابد لها من فرائض وسنن ومعالجتها باتيان شروطها واركانها واذا كان الحصر اضافيا
فلا تنافي بين وجودها وبين عدمها وبهذا يندفع كلام الفاكهاني حيث دل السياق
على الحصر الاضافي نقل به والا فالاصل الاطلاق ومنه هذا الحديث ثم اعلم ان هذا الحديث ذكره
البخاري في سبعة مواضع من صحيحه كما صرح به في محله وروي في الصحيح بالفاظ اربعة وهي انما
الاعمال بالنيات انما الاعمال بالنية الاعمال بالنيات العمل بالنية كذا قال بعض الشراح وقال

النووي لفظ الاعمال بالنيات لا يصح ورده بعضهم بانه رواه كذلك ابن حبان والحاكم
وابو حنيفة في مسنده ومنها ان الاعمال ثلثة بدنية وقلبية ومركب منهما فالاول كرد المغصوبات
والعواري والودايع والنفقات وازالة النجاسات فلا تشترط فيه النية لصحتها بل لاثابتها
والثاني كالاعتقادات والتوبة والحب لله والبغض في الله وامثال ذلك فلا تشترط فيه النية
وقد اغرب بعض العلماء حيث اوقع الطلاق بمجرد النية اعتمادا على هذا الحديث نعم الثواب والعقاب
يترتب على عزم الطاعة والمعصية وان لم يعمل بما نواه على ما ذهب اليه المحققون من اصحابنا وصرح به النووي
والقرطبي ايضا ويؤيده ما ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك ان بالمدينة
قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قالوا وهم بالمدينة حبسهم العذر
وقال [illegible] في شرف النية اعتبارها في الاخرة بناء على تحقق خلود الطائفتين في المنزلتين لاجل نية كل
منهما الاستمرار على ما نويا بهما في جميع ما جاء انما يبعث الناس على نياتهم ورواه مسلم بمعناه والثالث
كالصلوة والصوم والزكوة والحج فيشترط حصول النية في صحتها بقي الكلام في الاقوال فلا تشترط النية
لصحتها بل لثبوت المثوبة عليها واغرب الفاكهاني في قوله وبعض خصص العمل بما لا يكون قولا واستبعد
لانه لا فرق في ذلك بين عمل بجارحة وبين عمل باخرى انتهى وقد عرفت الفرق بينهما ثم من العجب قوله
اما الافعال فقد استعملت مقابلة الاقوال ولا شك ان الحديث يتناول الاقوال وان علم بالاحوال
ثم اعلم ان الاعمال عادية وعبادية والنية شرعت لتمييز الثاني عن الاول ليترتب عليه الصحة او المثوبة
واما قول شارح من الشافعية وهي ما تعبدنا الله بتركه كالقتل والسرقة فلا تشترط فيه النية اتفاقا
ففيه انه لا تشترط للصحة واما لثبوت المثوبة فلا بد من النية اتفاقا واما قوله تعبدنا بفعله كالوضوء
والصلوة وتجب فيه النية ركنا او شرطا فيقدم لانه ينتقض بستر العورة مع انه شرط اتفاقا ثم العمل
اخص من الفعل وهو كل ما يصدر من الحيوان بقصده قلبيا او قالبيا ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات
متعلق بمحذوف هو الخبر فقيل تقديره انما الاعمال معتبرة بالنيات وانما اعتبار الاعمال بالنيات على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقال شارح الباء للاستعانة او المصاحبة ليعلم منه وجوب
المقارنة او المقاربة لكنها تشعر وجوب استصحابها الى اخر العمل لانه الظاهر من المعية فالاولى
اولى انتهى ولا يخفى انه حينئذ لا تستفاد المقارنة او المقاربة فالحمل عليه اظهر على غاية ان معية النية
في الاعمال الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة العرفية الشاملة للحالة القبلية والبعدية
ومنها ان رواية الاعمال بالنيات لمقابلة الجمع بالجمع واما وجه افراد النية مع جمع الاعمال على رواية كونها

مصدرا وانما جمعت في رواية لاختلاف انواعها والاول حمل النية على ارادة الجنسية
ومنها ان المراد بالنية قصد المكلف للشيء المأمور به ومحلها القلب اجماعا وانما استحب
بعض العلماء انضمام اللسان بالجنان تقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت النية باللسان
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة والتابعين ثم قيل ان جميع النيات المعتبرة في العبادات لا بد لها
من المقارنة للفعل الا الصوم والكفارات فانه يجوز تقديمهما على الفعل والشروع انتهى وتفصيل
محل النية في العبادات الشرعية محلها الكتب الفقهية واما اعتبار الشافعي فوجهه ان تصور اركان
الصلوة حال النية مقرونة بالتحرمة بوصف المعية فلا يظهر وجه تخصيصه بالصلوة دون سائر العبادات
مع انه وقع ظاهر بالنسبة الى الخواص فضلا عن العوام والله اعلم بالمستدل به في هذا المقام وقال البيضاوي
النية لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله وامتثالا لامره وهي في الحديث
محمولة على معنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه بقوله فمن كانت هجرته الى اخره انتهى ونازعه
شارح بما لا طائل تحته وتوضيحه ان مجرد قصد القلب في تصحيح العمل كاف واما المعنى الشرعي فيحتاج
اليه من زيادة قصد الامتثال وتحصيل الاخلاص لاجل ثواب العمل وقبوله وهذا معنى قوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي كلام حجة الاسلام ان النية هي الارادة الباعثة
للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء لان الافعال لا تصح الا بعلم ويحتاج الارادة باعثة للقدرة
حادثة فيها بتحريك العمل وهي بعينها النية روح العمل تؤثر بنفسه بخلاف العمل فان المقصود
منه تأثيره في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الانس والمعرفة اللذين هما
سبب سعادته في الدارين والنية عبارة عن نفس الميل فعلم سر قوله عليه الصلوة والسلام
نية المؤمن خير من عمله انتهى وقد جعلت رسالة في حل هذا المبنى وتحقيق ما فيه من المعنى
وانما لكل امرئ ما نوى والمعنى لكل شخص من الرجل والمرأة جزاء ما نواه في عمله من خير
او شر فهو من باب حذف المضاف وتقديره لكل احد جزاء نيته والاول اولى لرواية
ليس للمرء من عمله الا ما نواه وفي نسخة صحيحة وانما لامرئ ما نوى فالمراد بالمرء الجنس وقد
يكون النكرة فيها بمعنى العموم كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت ولو لم يكن في سياق النفي
ففي هذا المقام اولى فانه في الجملة وقع في سياقه لان انما بمعنى ما والا والحصر ههنا حقيقي مع زيادة
الكل المفيد للاحاطة والمفادة الاختصاص من اللام فتبين بهذا التقرير زيادة افادة هذه
الجملة من جهة العموم الشامل للاعمال الشرعية وغيرها على الجملة الاولى المختصة بالعبادات المستقلة

وتوضيحه ان مفاد الاولى ان صلاح العمل بحسب النية الموجبة له ومفاد الثانية ان جزاء العمل
بحسب نيته من خير او شر وهما ان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان ثم قيل يفيد هذه الجملة ما لا
تفيده الاولى وهي اشتراط تعيين المنوي فمن عليه صلوة وقتية او فائتة حيث لا يكفيه ان
ينوي الصلوة فقط حتى يعينها ظهرا او عصرا مثلا وايضا اذا عمل عملا ذا وجهين من وجوه الثواب
كالتصدق على الاقارب الفقراء ولم ينو الا وجها واحدا فليس له الا ذلك وبهذا اندفع
ما قيل من ان الجملة الثانية تأكيد للجملة الاولى اذ من المعلوم ان الافادة خير من الاعادة
وقد قال بعض المحققين ان هذه الجملة من جوامع الكلم الصادرة عن منبع الحكم الالهية ومهبط
الانوار القدسية اللاهوتية يستضيئ طائفة بعباراتها وطائفة باشاراتها وكل
حزب بما لديهم فرحون ومن اشاراتها ان مدار الاعمال القالبية على الاحوال القلبية فما افاد
منها ملكة فاضلة وتوجها نحو الحضرة الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى وذريعة
الى السعادة العظمى وما اورث منها خلقا رديا وبعدا عن تلك الحضرة كان موجبا للشقاوة
ومنتجا للندامة وبحسب ذلك يتفاوت الاعمال جودة ورداءة فكل عمل اوجب زلفاك
من مولاك كان خيرا لك وما كان بخلافه كان شرا لك ثم ان للنفس تمويهات مزخرفة
وتلبيسات مموهة فربما صورت لك السراب عذبا فراتا واريك الماء الزلال ملحا اجاجا
فاشكل المميز بين ما يدنيك من اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات الرداء في الدنيا
والاخرى فما احوجك الى التمسك بالعروة الوثقى والاعتلاء الى ذروة التقوى بمتابعة الشرع
المؤيد من السماء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال الطيبي في هذه الجملة اشارة
الى ما تثمره النية من القبول والرد والثواب والعقاب فيفهم من الكلام الاول ان الاعمال
لا تكون محسوبة الا بالنية ومن الثاني انها انما تكون مقبولة بالاخلاص وتبعده عن
الرياء والسمعة وتوضيحه انه اشار في الجملة الاولى الى ان الاعمال الشرعية تتوقف صحتها
على النية اللغوية واشار في الثانية الى اعتبار النية بقوله او حاصل المرء كل ما نواه
سواء كان محمودا او مذموما فيعلم منه انه يمكن ان يجعل العادات عبادات كالأكل والمشارب
والمناكح والملابس والطيب ونحوها من المباحات اذ نوى بها التقوية على الطاعة
او قصد اقامة السنة او دفع الرائحة المؤذية عن الخلق لا لاستيفاء اللذات وقت تغلس
القضية بان تصير العبادات عادات فلا يترتب عليه مثوبات بل عقوبات كمن قعد في المسجد

للتفكه بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة والمناظرات على سبيل المباحات والممنوعات ففي الخبر
من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه
انتن من الجيفة وكذا ورد وعيد من تعلم القران لغير الله ونحو ذلك ففي الجملة كل عمل صدر عن العبد
لداعي الحق فهو العمل الذي ينفعه وما لا فلا يفيده بل قد يضره فقد روي ان رجلا في بني اسرائيل
مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس
فاوحى الله الى نبيهم قل له ان الله صدقك وشكر حسن صنيعك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما
فتصدقت به وهذا احد معاني حديث نية المؤمن خير من عمله لان نيته قد تنفعه من غير عمله
واما عمله فلا ينفعه بدون نيته ففي خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له فمن كانت هجرته اي اذا عرفت
ان الاعمال الشرعية لا تصح بدون النية اللغوية وان سائر العبادات البدنية لا تثاب ما لم تقترن
بالنية الشرعية فمن كانت هجرته الى الله ورسوله وهي شرعا مفارقة دار الكفر الى دار
الاسلام خوف الفتنة وفي معناه الهجرة من دار البدعة الى دار السنة وفي الحقيقة مفارقة
ما يكرهه الله عز وجل الى ما يحبه كما ورد المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وهي اعم انواع الهجرة وانما
والمعنى فمن قصد الهجرة وجه الله وابتغاء رضاه فهو كناية عن تخليص النية وتصحيح الطوية
وذكر الله توطئة لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما للهجرة اليه فهجرته الى الله ورسوله
كناية عن شرف الهجرة وانها مترتبة عليه وكونها مقبولة مرضية فلا يغفر اتحاد الشرط والجزاء
في العبارة الصورية وتكرير الاسمين لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر والمهاجر اليه ومحل الحكمة
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله معناه قصدا ونية فهجرته الى الله ورسوله ثمرة ومنفعة
وقال المصنف قوله فهجرته الى الله ورسوله معناه مقبولة انتهى ولا يخفى ان الجار والمجرور على هذا
خبر لقوله فهجرته والاظهر ان التقدير فهجرته الى الله ورسوله مقبولة على حذف الخبر فالجار حينئذ
يتعلق بقوله فهجرته وان في الكلام وضع الظاهر موضع المضمر فانه من اصابتنا الخير ذكره
كما قيل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولا يبعد ان يكون التقدير فتكفيه
هجرته اليهما ثم اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق من المرام في قوله انما لكل امرئ ما نوى
وانما فرض القصة في الهجرة لانها السبب الباعث على هذا الحديث وذلك ان رجلا
من اهل مكة كان يهوى امراة يقال لها ام قيس فهاجرت الى المدينة فهاجر الرجل لاجلها
لا تدينا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم به في حديثه تنفيرا له عن مثل قصده وكان الرجل بعده يدعى

يدعى بمهاجر ام قيس فان قلت اذا كان القصد مشتركا بين العبادة وامور العادة
فما حكمه قلت الحكم بغالب الامر فقد صرح علماؤنا كما في الذخيرة والتجنيس وغيرهما ان الرجل
اذا سعى يوم الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة واقامة الحاجة فان كان معظم مقصوده اقامة
الجمعة ينال ثواب السعي الى الجمعة فان كان قصده اقامة الحاجة لا غير او كان معظم مقصوده
اقامة الحاجة لا ينال ثواب السعي الى الجمعة ثم اعلم ان العمل اما رياء محض بان يراد به غرض
دنيوي فقط ولو مباحا فهو حرام لا ثواب فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا لخبر
الصحيح من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء هو للذي اشرك وحمل الغزالي الاشراك فيه
على المساواة والظاهر ان محمل كلام الامام فيما لم يشترط فيه النية اللغوية لقوله تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا بل محله العبادة التي
يعتبر فيها النية الشرعية وهي الاخلاص في خلوص الطوية كما هو من اخلاق الصوفية لقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما من قصد بجهاده اعلاء كلمة الله ونيل نحو غنيمة
نقص من اجره ولم يبطل لخبر مسلم ان الغزاة ان غنموا تعجلوا ثلثي اجرهم والا تم لهم اجرهم
وقد قيل من حج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج ومن عقد عملا لله ثم طرأ له خاطر
رياء فان دفعه لم يضر اجماعا وان استرسل معه ففيه خلاف والذي رجحه الامام احمد
وجماعة من السلف ثوابه بنية الاول قيل ومحله في عمل يرتبط اوله باخره كالصلوة
والحج دون نحو القراءة ففيها لا اجر بعد حدوث الرياء ولو تم عمله خالصا فاثني عليه
ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل بشرى المسلم ومن كانت هجرته لدنيا اللام للتعليل اي
لاجل عرضها ومتاعها او حصول غرضها وانتفاعها او بمعنى الى كما في نسخة صحيحة
وهو اولى لانه قابله بقوله الى ما هاجر اليه حيث لم يقل لما هاجر اليه كذا قيل والاظهر ان تقابل
الى هنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر اليك وحينئذ لفظ الجلالة في موضعها والهجرة
غير مختصة بصوب المدينة لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها بل المعنى فمن كانت هجرته
لاجل رضى الله ورسوله فهجرته منتهية اليهما والى رضاهما والمعنى هو غاية طاعته
ومن كانت هجرته لغرض الدنيا وما فيها فهجرته منتهية اليها والى هواها والمعنى هو
نهاية شهوته لا يتجاوز عنها وبهذا التقرير يستغني عما قالوه من التقدير هذا وقد ذكر
الكرماني في استعمال دنيا منكرا اشكالا لانها تانيث الادنى وهو افعل التفضيل فكان ظاهره

الدنيا كالكبرى الا انها وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية
واجرائها مجرى الاسمية وقيل النكتة فيه الايماء الى تجريد الدنيا وترك ذوائدها
وهو ماخوذ من الدنو والدناءة وقد تكسر داله ولا يبعد انها نكرت اشارة الى ما
يسمى دنيا من انواع ما في الدنيا وترك تنوينه تخفيفا لكثرة استعمالها ويؤيده انه
روى منونا يصيبها حال مقدرة اي يقصد اصابتها وتحصيلها فشبه قصد الدنيا
وتحصيلها باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود او امراة ينكحها بفتح الياء
وكسر الكاف اي يتزوجها كما في نسخة ثم او للتنويع لا للشك فهو من عطف الخاص
على العام اشعارا بان النساء اعظم ضرر ما في الدنيا او ايماء بانه لما كان قصد النكاح
الذي هو سنة عظيمة من سنن اهل الفلاح اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره
من الامور المباحة والمكروهة ولا يبعد ان مهاجر ام قيس المذكور كان يحبها لمالها
وجمالها فجمعهما في التعريض به ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر
لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما فهجرته الى ما هاجر اليه اي من اصابة الدنيا وتزوج المراة
ولم يذكرهما صريحا للاعراض عنهما وعدم الاحتفال بامرهما وللتنزه عن قصدهما بخلاف ما
تقدم والله اعلم والمعنى من كانت هجرته لدنيا او انتهت هجرته اليها او كانت نهاية هجرته
اليها لا يحصل له ثواب الهجرة سواء حصل غرضه في الدنيا وما فيها ام لا فعلم ان الطاعة
في اصل صحتها وتضاعف مرتبتها مرتبطة بالنيات وبها ترتفع الى خالق البريات
فلا بد للساعي من تصحيح النية وللباني من احكام اساس البنية فانها بدون العمل ينتج
للمثوبة والعمل بدون تصحيح النية موجب للعقوبة اما مثال الثاني فقد ورد من تعلم علما
مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة
واما مثال الاول فقد ورد في مسند ابي يعلى الموصلي مرفوعا ان الله يقول للحفظة يوم القيامة
اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ عنه ذلك ولا هو في صحيفتنا
فيقول انه نواه ونقل الاستاذ ابو القاسم ان زبيدة رؤيت في المنام فقيل لها ما فعل
الله بك في ذلك المقام فقالت غفر لي جميع الاثام فقيل لها بكثرة عمارتك الابار والبرك والمصانع
في طريق مكة وانفاقك فيها من الذهب والفضة فقالت هيهات هيهات ذهب كله
الى اربابه واصحابه وانما نفعنا منه النيات فغفر لي بها السيئات هذا وبيان العارفين معنا

معناه ان اعمال الظاهر متعلق بما وقع في القلوب من انوار الغيوب وان كشوف اسرار الطريقة
وانوار الحقيقة في الباطن بما بدا من جمال الفهم والالهام اذا انفتح سنا برق صفة الفعل
من دنو صفات الجلال والاكرام والنية جمع كلام في تفنيد العمال المعمول له وان لا يسنح في السر
ذكر غيره مصراع وللناس فيما يعشقون مذاهب ثم نية العوام في طلب الاغراض مع
الغفل مع نسيان الفضل ونية الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء ونية اهل
النفاق التزين عند الخلق وعند الخلاق ومن نية العلماء اقامة الطاعة وادامة العبادة
لحرمة ناصبها لا لحرمة جانبها ونية الصوفية ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات
الصورية والحالات المعنوية ونية اهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى
من مطالب السعداء ومناقب الاصفياء وهي الخلاص عن الدركات السفلية من الكفر
والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق الذميمة والحجب النفسية والفوز بالدرجات العلية
وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعة والاخلاق المحمودة والجذبات الالهية والفناء عن انانيته
والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء وهو ما يبعد عن الحق في مقام الاصطفاء فمن كانت
هجرته بخروجه من مقامه الذي هو غاية مرامه سواء كان منزلا من منازل النفس او مقاما من
مقامات القلب الى الله وتحصيل رضاه ورسوله باتباع اعماله والتوجه الى طلب الاستغراق
في استفادة احواله فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء
الى نور الشهود والبقاء وتجذبه من حضيض العبدية الى ذروة العندية وينقله من عالم
الناسوت ويفنى في عالم اللاهوت ويبقى بالحي الذي لا يموت ورجع اليه الانس في منزل
محلة القدس واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه روح الرضى العميم ووجد فيه الروح
المحمدي واحبابا وعرف ان له مثوى ومآبا هذا حال اخص الخواص واما العوام فهجرتهم بسبب
الاقامة بشرط جاهدوا فينا من الكفر الى المعرفة ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل الى
العلم ومن المعصية الى الطاعة ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها واما الخواص فهجرتهم بحكم
لنهدينهم سبلنا من حجب اوصاف الخلق الى درجات تجليات صفات الحق ومن كانت
هجرته لدنيا من تحصيل شهوة الحرص على الجاه والمال ونيل المنال فيبقى بالبعد عن الحق في
اوطان الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
لا نار الجحيم التي لا تحرق الا الجلد ولا تخلص الى القلب فانها بالنسبة الى نار فرقة القلوب وحرقة

القطيعة عن غيب الغيوب كنسيم الحيوة الى سموم الممات ولذا قالوا الحجاب اشد العذاب وانشدوا
شعر في فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وما احسن من قال من ارباب الحال شعر
يا غافل القلب عن ذكر المنيات عما قليل ستثوى بين اموات ان الحمام له وقت الى اجل
فاذكر مصائب ايام وساعات لا تطمئن الى الدنيا وزينتها قد حان للموت يا ذا اللب
ان يأتي وكن حريصا على الاخلاص في العمل فانما العمل الزاكي بنيات هذا وفي معنى الهجرة
طلب العلم وصحبة الصوفية بل كل حركة وسكون يحتاج الى تصحيح النية وفي الخبر ان الله لا ينظر الى
صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم رواه اماما المحدثين اي المصنفين في علم الحديث
من ائمة الحديث لا احدهما ومنهما ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم بن المغيرة بضم فكسر
ابن بردزبة بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاء ساكنة فموحدة
فهاء ساكنة ومعناه بلسان اهل البخارا الحارث بمعنى الزراع كان
مجوسيا ومات عليه البخاري منسوب الى بخارا البلد معروف من اعظم بلدان ما وراء النهر
وفي بعض النسخ زيد الجعفي بفتح الجيم وسكون العين المهملة فالفاء نسبة الى اليمان بن اخنس
الجعفي لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد ولد سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي بخرتنك
قرية على فرسخين من سمرقند سنة ست وخمسين ومائتين فعمره اثنتان وستون سنة
قال خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة سنة وما وضعت
فيه حديثا الا اغتسلت وصليت فيه ركعتين فضائله اكثر من ان تحصى وذكر فيه انه استقصى
وقد افردت بالتأليف روي انه عمي في صباه فرأى الخليل عليه السلام في المنام
فدعا له وتفل في عينيه وبرك عليه فابصر باذن الملك العلام فمن ثم لم ينزل الكتابة في
كرب الافرح وقد روى هذا الحديث في سبعة مواضع من صحيحه وعدد احاديث صحيحه سبعة
الاف ومائتان وخمس وسبعون وباسقاط المكرر اربعة الاف وقد كتب عن احمد
ابن حنبل ويحيى بن معين وخلائق يزيدون على الف وروى عنه مسلم خارج صحيحه والترمذي
وابن خزيمة قيل والنسائي وابو الحسين مسلم بن الحجاج بفتح الحاء وتشديد الجيم
الاولى ابن مسلم القشيري بضم القاف وفتح الشين المعجمة منسوب الى قشير بن
كعب بن ربيعة بطن من العرب النيسابوري بفتح النون والسين المهملة معرب
المعجمة مدينة بخراسان وهو الامام الهمام النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع ومائتين و

تعليلها بعلة الاستعارة

وتوفي سنة احدى وستين ومائتين واحاديث كتابه بعد اسقاط المكرر اربعة الاف ايضا
اخذ عن احمد وحرملة وخلائق وروى عنه الترمذي حديثا واحدا رضي الله عنهما كذا في الشرح جميعها
وفيه توسعة والا فالانسب ان يقال رحمهما الله لان الترضية تختص عرفا بالاصحاب المصطفوية
في صحيحيهما انما خص بهما لان لهما كتبا غيرهما ليست في رتبتهما وهو متعلق برواه لا حال من
الضمير الراجع الى الحديث كما ذكره الحاذق رد في اللذين بفتح الذال وكسر النون هما اصح الكتب
المصنفة اي المؤلفة احترازا عن الصحف المنزلة واما قول الشافعي ما اعلم كتابا بعد كتاب الله
اصح من موطا مالك فذلك قبل وجودهما ثم الاول اصح منهما على الاصح من الاقوال فيهما
وقد رواه غيرهما كالامام احمد وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم حتى صار
شبيها بالمتواتر عندهم وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم خطب به فقال يا ايها الناس
انما الاعمال بالنيات وخطب به عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخرجه البخاري
الحديث الثاني عن عمر رضي الله عنه ايضا اي عادت عنه الرواية عودا ايضا آض فلان
الى اهله اي رجع قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المستفاد من كلام
الرضي ان ما في بينما كافة لانها تكف المقتضي وتمنعه عن اقتضاء المضاف اليه وقد ورد
فيها بينا في بعض الروايات بينا على اشباع الفتحة ليكون الالف الحاصل دليلا على عدم
اقتضائه للمضاف اليه لانه كانه وقف عليه فان الالف قد يؤتى بها للوقف عليها
كما في انا والظنونا ثم بين في اصله يستعمل في الزمان والمكان واما اذا كف بما او الالف
واضيف الى الجملة فلا يكون الا للزمان لانه لا يضاف الى الجمل الا حيث من ظروف المكان
والمعنى في اثناء اوقات شريفة وازمنة لطيفة نحن حاضرون لديه وواقفون بين يديه
ذات يوم اي ساعة نهار ففائدة زيادة ذات في البيان عدم تجوز التوهم في اطلاق
اليوم على مطلق الزمان وهو ظرف عندما فيه من معنى الاستقرار في الخبر اذ طلع علينا رجل
اي ظهر لنا شخص بصورة رجل جنسا والتنوين فيه للتعظيم او للتنكير والمعنى فاجانا وقت
طلوعه حين كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مجلس حضوره وحال ظهور نوره
رجل عالي الجناب شديد بياض الثياب باضافة الشديد الى البياض وفي نسخة
بتنوين شديد ورفع ما بعده وكذا الكلام في قوله شديد سواد الشعر بفتح العين وسكونها
وفيه ايماء الى استحباب البياض والنظافة في الثياب وان زمان طلب العلم اوان الشباب

وفي حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وصح ان من خير ثيابكم البياض فالبسوها
وكفنوا فيها موتاكم وقدم البياض على السواد لفضله وجمع الثياب دون الشعر اشعارا
بان جميعها كذلك او للتفنن في العبارة باستعمال الجمع تارة واعتبار الجنس اخرى وهو
بالتحقيق احرى وفي رواية النسائي عن ابي هريرة وعن ابي ذر اذ اقبل رجل احسن الناس
وجها واطيب الناس ريحا كان ثيابه لم يمسها دنس واغرب ابن حجر في عبارته عن ابي ذر
وابي ذر انتهى وفي رواية لا نحن لا يرى بضم الياء من يرى قال المصنف وروي بالنون المفتوحة
كذا في شرح مسلم عليه اثر السفر برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه اختلاف الاثر والاثر
العلامة من نحو الشعث والغبرة والسفر ماخوذ من السفر وهو الكشف لانه
يكشف احوال الرجال واخلاقهم في احوال الاسفار ولا يعرفه منا اي معشر الصحابة احد
قدم منا للاهتمام ومؤداه وحاصل معناه انه حينئذ اما ان يكون ملكا او جنيا
اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه او غريبا كان اثر السفر في سيماه وفي هذا الحديث
تصريح بانهم راوه وسمعوا كلامه واما حديث الامام احمد عن غير عمر تسمع رجع النبي صلى الله عليه وسلم
ولا نرى الذي يكلمه ولا نسمع كلامه فاما محمول على تلون حال جبريل ان كان القضية
واحدة واما على تعدد القصة لتاكيد تعليم الامة وهذا اولى من قول ابن حجر يرده
حديث عمر الاصح منه واما قول الفاكهاني رواه ابو العباس العذري لا نرى ولا نعرفه
بالنون فانما تصح مع عدم قوله منا احد حتى جلس متعلق بمحذوف دل عليه طلع
اسلم واستأذن واقترب ودنى حتى جلس مائلا الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى بين يديه
ففي الحديث كنا نجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانما على رؤوسنا الطير او متصلا
اليه فيكون كالتفسير له قوله فاسند ركبتيه الى ركبتيه اي اوصل ركبتيه الى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم
لان الجلوس على الركب الى التواضع اقرب وانسب الى كمال الادب وايصالها ابلغ
في الاصغاء وحضور القلب والصفاء والاستيناس بالتوحش عن الناس وكذا الحكمة في وضع
الكف في قوله ووضع كفيه على فخذيه بفتح الفاء وكسر الخاء ويجوز في اللغة كسر اوله وسكون
ثانيه اي فخذي النبي كما في رواية النسائي هذا وقد ابعد ابن حجر عن التحقيق حيث قال اي فخذي جلس
الى الي ههنا بمعنى عند او مع هذا وفي رواية لابي ذر والنسائي عن ابي هريرة انه عليه السلام
كان يجلس مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له مصطبة من طين فجاء جبريل وهو عليها فقال

فقال السلام عليكم يا محمد فرد عليه صلى الله عليه وسلم قال ادنو يا محمد قال ادنه فما زال يقول ادن
مرارا ويقول ادنه حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وصيغة عليكم
بلفظ الجمع للتعظيم اوله ولمن معه على وجه التعميم كما قال الفقهاء انه يندب السلام
بصيغة الجمع على الواحد نظرا لمن معه من الملائكة ولا ينافي تخصيصه بالنداء بعد تعميم الثناء
وقال يا محمد لعل نداءه بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا في التعميم او التحريم محمول
على ما اذا اراد به مجرد العلمية غير التعظيم المستفاد من الدلالة الوصفية الموجبة للتفخيم واما
ما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذاك اما قبل التحريم واما على قصد ما ذكرنا
من التعظيم وقال شارح ناداه باسمه اذ الحرمة تختص بالامة في زمانه وهو ملك معلم انتهى
وفيه انه في هذا المقام تنزل الى مرتبة التعلم او الى حالة تعليم غيره في السؤال والجواب
فمقتضاه انه كان يتادب في الخطاب لا سيما في اول الباب والله اعلم بالصواب وقال
الفاكهاني ونداؤه هذا كان تعمية لحاله اقول وهذا بعيد عن مقام جلاله وحسن سؤاله
اخبرني عن الاسلام وهو لغة الانقياد للاحكام ولذا اجاب عنه عليه السلام بالاركان
الخمسة من ظواهر احكام الشرعية وانما قدم السؤال عنه وان كان التصديق مقدما
بحسب الرتبة لانه جاء لتعليم مراتب الشريعة فبدا بالادنى ثم ترقى الى الاعلى ثم الى
مشاهدة المولى فتكون هذه الرواية هي الاولى من رواية الترمذي بتقديم الايمان
كما في رواية الشيخين عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعنى هذا وقد ذكر ابو عبيد بن ابي حفص
الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان جبريل
سئله عن شرايع الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد
اي شهادتك واقرار عبادتك ان لا اله الا الله ان مخففة من المثقلة وضمير الشان
محذوف ويدل عليه عطف قوله الآتي وان محمدا الخ والمقصود من هذه الكلمة اثبات
التوحيد في الجملة بحسب ظاهر الشريعة والا فتفصيله على وجه الحقيقة اثبات ذات الله تعالى
بوحدانيته منعوتا بالتنزه عن ما يشابهه اعتقادا وقولا وعملا فيقينا وعرفانا
وعيانا فثبوتا ودواما كما ستقف عليه مفصلا وتماما وقال الغزالي للتوحيد لباب
وقشران كاللوز فالقشرة العليا هي القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد
بالقلب جزما واللباب ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرة

عن فعل واحد ويعرف سلسلة الاسباب مرتبطة بمسببها ولب اللب ان لا يرى
في الوجود الا واحدا ويستغرق في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره ابدا وعن ابن حجر
بقوله فلو قال اعلم بدل اشهد او سقطها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله لم يكن
مسلما ويؤيده بحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا مع انه جاء في رواية
صحيحة حتى يقولوا وقد كثر الروايات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم مثل من قال لا اله الا الله
دخل الجنة على ان المراد بهذه الكلمة ضم الاخرى من الاقرار بالنبوة لتلازمهما في اعتبار
الشريعة وان الاقتصار على هذه الكلمة من باب الاكتفاء او للبناء على ان هذه علم للاقرار
بالتوحيد والنبوة فكيف اذا اكملت الكلمة بضم محمد رسول الله فقوله وان محمدا رسول الله
ايماء الى الاقرار بصحة النبوة وما اصلها مثلا زمانه في افادة الدين ضرورة توقف الاسلام
على الشهادتين وقد يقال الشهادة تجيء في اللغة على ثلثة معان الاول بمعنى العلم كقوله تعالى
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون والثاني بمعنى الحضور والابصار
كما قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والثالث بمعنى الاخبار عن العلم والحضور
كقوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وهذا المعنى هو المناسب لمقام الاسلام واما العلم
والمشاهدة فهما من مراتب العلماء الكرام ومناقب الاولياء العظام ومنه قوله تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله وشهد الله انه لا اله الا هو قال المحققون مجرد التوحيد هو الاحتجاب
بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤدي الى الاباحة واسناد القول والفعل الى الرسول
وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف العقدة المؤدي الى التعطيل او
الثنوية والجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف الجمع اتصال الاثبات هو صاحبه الا الحق
فمن شاهد غيره فما ثم جمع والتفرقة شهود لمن شاء هو بالمباينة فقوله آمنا بالله جمع وما
انزل الينا تفرقة اقول فقول لا اله الا الله جمع وقول محمد رسول الله تفرقة كما قيل اياك
نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي جمع المثنيين ايماء بجواز التفرقة على الجمع كالسالك
المجذوب المسمى بالمريد وتقديم الجمع على التفرقة كالمجذوب السالك المسمى بالمراد وهو اكمل
من المريد في مقام المزيد كما اشار اليه قوله سبحانه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه
من ينيب وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته بالبشرية تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة
وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وتقيم الصلوة اي تديمها بمحافظة شرائطها ورعاية اركانها والصلوة

والصلوة لغة الدعاء نقل الى افعال مخصوصة واقوال معلومة لان الدعاء جزء الصلوة
وتؤتي الزكوة اي تعطيها مصارفها من زكى نمى او طهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب
لانه يزيد بركة المخرج عنه ويطهره او يطهر قلب صاحبها عن خساسة البخل ونجاسة حب
الدنيا طلبا لحب المولى ورسمها بالواو على خلاف القياس بناء على اصلهما ثم اعلم
ان الرواية بنصب تقيم وتؤتي وما بعدهما ويؤيده حديث بني الاسلام على خمس ولعل
من جعل الواو استينافية على زعم ان تبيان الشهادتين يكفي في اجراء احكام الاسلام فاجيب
بان الانقياد بها اقل وتوابعهما من المذكورات ونحوها محمل على انه قد يقال المراد بقية
الافعال الخمسة هو الانقياد بقبول فرضيتها واعتقاد ركنيتها اذ انكار وجوبها كفر اجماعا
لانها من المعلوم بالدين ضرورة وتصوم رمضان فيه جواز اطلاق رمضان من غير ذكر
شهر وهو علم للشهر المشهور من رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وسمي به لارتماضهم
من حر الجوع او لاحتراق ذنوبهم بالصبر على حرارة الجوع ومرارة العطش والصوم لغة الامساك
وشرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص وتحج البيت الحج بفتح الحاء وكسرها لغة القصد او
قصد المعظم وشرعا قصد بيت الله في وقت معين بشرائط معلومة والبيت اسم جنس غلب
على الكعبة علما ان استطعت اليه اي الى البيت او الحج المفهوم من تحج يعني ان امكن لك الوصول
اليه سبيلا تمييز عن نسبة الاستطاعة اي ان استطعت سبيل البيت او الحج فانه لكونه اوقع
في النفس وهو الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل في كل ما يتوصل به الى الشيء وهو المراد
ههنا ولذا فسرت في الحديث بالزاد والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه اخرون والحاصل
ان الاستطاعة عند ابي حنيفة بمجموع البدن والمال وعند مالك بالبدن وعند الشافعي
بالمال وفي كتب الفقه تفصيل الاحوال ومن جملة تفاريعه انه هل يجب على الفور او التراخي
وفيه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا بين اصحاب مالك والشافعي واما من حج حجة
الاسلام ثم ارتد والعياذ بالله ثم عاد الى الاسلام فقال ابو حنيفة واحمد والمشهور من مذهب
مالك يجب عليه حجة الاسلام خلافا للشافعي ثم الاستطاعة تطلق على سلامة الاسباب وصحة
الالات وهي قد تقدم على الفعل وتطلق على عرض في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية
ولا يكون الا مع الفعل وهي على ما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل من ان
الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها

وتنكيره للعموم وتقديم اليه عليه للاختصاص اي سبيلا مالي البيت او الحج على اي وجه كان
قريبا او بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وايراد الافعال على صيغة المضارع
لافادة الاستمرار التجددي المناسب لكل منها ففي التوحيد الاستمرار الدائم مدة الحيات
الى الممات ففي الصلوة دونه ثم في الصوم والزكوة دونهما وقدم الاعم واخر ما وجب
في العمر مرة وهو الاشق الاتم ولذا قيل بالاستطاعة والله اعلم وقد نزل عليه صلى الله عليه
يوم عرفة وهو على ناقته في حجة الوداع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا قال اي الرجل صدقت فعجبنا له اي قال عمر فتعجبنا لاجل السائل او من
كلام المتقابل حال كونه يسأله ويصدقه اذ سؤاله يقتضي عدم علمه وتصديقه يوجب
خلاف حاله ثم زال التعجب الناشي عن الجهل بسبب الشيء بعلمهم انه جبرئيل اتاهم في صورة رجل
لتعليمهم امر دينهم قال فاخبرني عن الايمان هو في اللغة التصديق الذي معه امن وطمأنينة
وتحقيق وحقه ان يتعدى بنفسه الا انه لما كان متضمنا لمعنى الاعتراف عدي بالباء في قوله
قال ان تؤمن بالله كذا قرره بعض الشراح وفيه ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام او شطر
لمفهوم الايمان كما هو عند بعض الاعلام فلا اكتفاء به لا يكون الحد على وجه النظام فالاولى
ما قال بعضهم من ان المراد بالمحدود الايمان الشرعي وبالحد الايمان اللغوي فانه متعد
بالباء كما في القاموس آمن به ايمانا صدقه فالمعنى ان الايمان هو التصديق بوجوب وجود
ذات الله المستجمع لصفات الكمال من نعوت الجمال والجلال وحسن الافعال وبكل ما جاء
عنه على طريق التفصيل او سبيل الاجمال قال ابن صلاح هذا الحديث بيان اصل الايمان
وهو التصديق والاسلام وهو انقياد الاحكام وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين
وانما اضاف اليها الاعمال المذكورة لانها اظهر شعائره ثم الايمان قد يطلق على الاسلام
كما في حديث وفد عبد القيس هل تدرون ما الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة الحديث وقد يطلق الايمان على الاسلام
كحديث الايمان بضع وسبعون شعبة ادناها اماطة الاذى عن الطريق واعلاها شهادة
ان لا اله الا الله وقد يطلق الاسلام ويراد به المعنى الاعم لقوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام وكخبر ابن ماجة ما الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وتشهد اني رسول الله
وتؤمن بالاقدار كلها خيرها وشرها حلوها ومرها ومنه ما روي الايمان اعتقاد بالجنان و

وعمل بالاركان واسم الاسلام يتناول اصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان كل
ذلك استسلام فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم من غير عكس كما يدل عليه
قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وخبر احمد الاسلام علانية
والايمان في القلب وفي حديث سعد تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه
فاعاد وهذا التحقيق موافق لمذهب جمهور العلماء من الاشاعرة والماتريدية حيث جعلوا
الايمان مجرد التصديق والاقرار شرط لاجراء الاحكام وهو مذهب الامام وبه اخذ علم الهدى
والاشعري في اصح الروايتين عنه على ما ذكره الكردري وقيل الاقرار ركن والتصديق
شرط وهو قول ساقط علامة للتحقيق واما على ما ذهب اليه بعض الحنفية من ان الاعتراف
شطر للايمان لكنه يسقط بالاعذار في بعض الاحيان فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن
على ما هو المتعارف في الزمان واما عند الشافعي وهو المنقول عن علي كرم الله وجهه من قوله
ان الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان والظاهر ان المراد به
الايمان الكامل وعليه جميع اهل السنة خلافا للمعتزلة حيث قالوا كما ذكر في الكشاف
ان الايمان الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله وكذا عند
الخوارج الا ان المعتزلي يقول مرتكب الكبيرة يخرج عن الايمان ولا يدخل في الكفر والخارجي
يكفره فاذا كان الامر كذلك فلا وجه لاسناد ما قال علي اليه انه كذا عند الشافعي واتباعه
على ما ذكره بعض الشراح من اتباعه والا فيلزم منه انه خالف اهل السنة وتابع اهل البدعة
وليس كذلك فانه لم يقل بالتفريع الذي ذكره الخوارج والمعتزلة وبطلان ما ذكروه ظاهر
اذ حيث جاء في الكتاب والسنة عطف العمل على الايمان فيدل على مغايرته للعمل بالاركان
وما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه انه لو امن شخص ولم يلحق تكليف عمل ومات وهو مؤمن
عند الله اجماعا ثم اعلم ان المراد بالاركان الاتيان بالاوامر المفروضة والانتهاء عن الزواجر
المحرمة واغرب شارح في تفسير الاركان بالاعضاء السبعة وهي العين واللسان والاذن
واليد والبطن والفرج والرجل وان ابا حنيفة واتباعه انكر قبول الايمان للزيادة
والنقصان ووافقه امام الحرمين من الاشاعرة وجوزهما آخرون قال النووي وهو مذهب
السلف والمحدثين قال الفخر الرازي وغيره الخلاف مبني على ان الطاعة اذا اخذت
في مفهومه قبلهما والا فلا لان الايمان اسم للتصديق الجازم مع الاذعان وهذا لا يتغير

بغير طاعة ولا معصية اليه ثم قال المص قال المحققون من اصحابنا المتكلمين ان نفس التصديق
لا يقبلهما والايمان الشرعي يقبلهما بزيادة ثمراته وهي الاعمال ونقصها قالوا وفي هذا
توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وبين المعنى المفهوم من اللغة قال وهذا
الذي قاله هؤلاء وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم ان نفس التصديق يزيد بقوة
النظر ولظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا يعتريهم
الشبهة ولا يتزلزل ايمانهم بعارض ولا يشك عاقل في ان تصديق ابي بكر لا يساويه
تصديق احاد الناس اقول واذا كان الايمان التصديق على وجه التحقيق فلا يقبل الزيادة
والنقصان الا باعتبار ثمراته من الاعمال ومراتب ظهوره وانكشاف نوره في صدور ارباب
الاحوال اذ التصديق عند اهل التوفيق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله عليها
وهو تقليدي وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي والذوقي اما كشفي واقف على حد العلم
او عيني غير واقف عليه والعيني اما مشاهدة او شهود والاول هو الاعتقاد الجازم المطابق
الممتنع الزوال وهو ادنى ما لا بد منه في صحة العمل بالاركان والثاني الاعتقاد الجازم المطابق
الممتنع الزوال الثابت بالبرهان والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة
مراتب الايمان بالغيب والاخيران علم اليقين والرابع هو المشاهدة الروحانية مع بقاء
الاثنينية ويسمى عين اليقين والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال
الاثنينية ويسمى حق اليقين ومجمل الكلام في مقام المرام ان ايمان العوام هو التصديق بالجنان
والاقرار باللسان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود
القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وابانة الخلق
الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء بالله وما قول المص في شرح لمسلم اتفق اهل السنة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين على ان من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا في النار فمعترض
عليه قال ابن حجر بانه لا اجماع على ذلك وبان لكل من الائمة الاربعة قولا انه مؤمن عاص بترك
التلفظ بل الذي عليه جمهور الاشاعرة وبعض محققي الحنفية كما ذكره المحقق الكمال ابن الهمام
وغيره من علماء الانام ان الاقرار باللسان انما هو شرط لاجراء احكام الدنيا فحسب اقول واذا كان
الامر كذلك فينبغي ان يحمل كلام النووي على امتناع اقراره مع قدرته وقت مطالبته ولهذا
اجمعوا على كفر ابي طالب حيث طالبه النبي صلى الله عليه وسلم بالاقرار ولم يعترف خوفا من

من الملامة والعار مع انه كان عارفا بحقية نبوته عليه الصلوة والسلام لما رأى من اثار الانوار
وثبوت دار القرار باستدلال العقلي حيث قال لا بد من دار اخرى لجزاء الخلق والتمييز بين
الفجار والابرار اذ الامر منعكس في هذه الدار حيث اكثر الابرار في المحنة وجمهور الفجار في النعمة والحاصل
ان امتناعه عند مطالبته مع وجود قدرته مبطل للمعرفة كما لو سجد لصنم باختياره او استخف
بنبي او بالكعبة او برمي القرآن في القاذورات ونحو ذلك من المنكرات فانه يحكم بارتداده وبطلان
اعتقاده لذلك ولا يفيده تصديقه القلبي هنالك اذ انقلب ايمانه كفرا ولا يبعد ان يقال الاقرار
حينئذ صار شرطا فيكون ذا وجهين كما قال اصحابنا في الاحرام انه من وجه شرط ومن وجه ركن
وبه يجمع الاقوال المختلفة والله اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله المص لزم ان يكون بعض اليهود والنصارى
مؤمنا عند الله وهو خلاف الاجماع قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي بما اقروا بنبوته
فلم ينفعهم الايمان بالله ووحدانيته هذا وقد اتفق اهل الحق وهم الاشاعرة والحنفية على انه
لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه ولا ينفك احدهما عن الآخر في الشريعة وانهما متغايران
في اصل اللغة فعلم انه باختلال احد من الامرين ينتفي لازم الايمان في الدارين لكن الحنفية
اشد مبالغة في رعاية الملة الحنيفية ومن ثم كفروا باقوال وافعال كثيرة نظرا منهم الى انها
تدل على الاستخفاف بالشريعة كتعمد صلاة بلا وضوئها ودوام ترك سنة استخفافا بها
واستقباح سنة كتحنيك العمامة وهو جعل طرفها تحت حلقه وامثالها حتى روي ان ابا يوسف
رحمه الله ذكر في مجلسه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء فعرضه بعض الجهلاء بقوله
انا ما احب الدباء فسل له السيف وقال جدد ايمانك والا قتلتك وملائكته جمع
ملك على غير قياس والتاء لتأنيث الجماعة وهم اجسام لطيفة نورانية مبرأة من كدورات
نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة
منهم وسائط بين الله وبين انبيائه المبعوثين الى الخليقة ولكل مقام معلوم ومرام
مقسوم وفي حديث مسلم عن عائشة مرفوعا خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن
من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وكتبه اي ما انزل الله على انبيائه اما مكتوبا
في الالواح او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهد او هاتف وذلك بان يعلم ان كلها
وحي من الله مشتمل على احكامه واخباره واعلامه ويعتقد ان القرآن كلام الله غير مخلوق
بل ازلي قديم قائم بذاته منزه عن حرف وصوت وحدوث شيء في صفاته وهو المكتوب

في مصاحفنا المحفوظ في صدورنا المقروء بالسنتنا قال الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب
واربعة منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشر على ابراهيم و
التورية والزبور والانجيل والفرقان ورسله بانه يعرف انهم بلغوا ما انزل اليهم وقاموا
بما اوجب عليهم وانهم معصومون عن الكبائر والصغائر عمدا لا سهوا وخطأ بشرط التذكير الى الحال
والتنبه عليه بحسن المقال وهذا الترتيب في التوقيف مما تقتضيه حكمة عالم الوسائط والتكليف والا
فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم للنبي صلى الله عليه وسلم
اذ فيه اشارة الى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة واستغراقه في لجة بحر الوحدة حيث
لا يبقى فيه اثر البشرية ولا تصور الاثنينية الا انه سبحانه كان يرده في بعض الاوقات
من هذه النسبة الجمعية الى النظر في تربية اصحابه العلية وتدبير مراتب احوال امته المرضية ليجري
عليه احكام التلوين بعد تحققه في مقام التمكين وتلاشيه وذوبه في نيران كبرياء الازل او غرقه في
بحر الفناء وقيام حق اليقين ومن هنا كان يقول لعائشة احيانا كلميني يا حميراء واليوم الآخر
اي يوم القيمة لانه آخر ايام الدنيا ولانه لا ليل بعده ولا نهار اي وتؤمن بوجود الابد الدائم
الذي لا ينقطع وبما فيه من حشر الاشباح مع الارواح والمحاسبة والمجازاة وما وقعه
من الصراط والميزان ودخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها وفي رواية والبعث الآخر
فكان البعث الاول هو الخلق بعد العدم وتؤمن بالقدر بفتحتين مصدر قدر يقدر وقد يسكن
داله وهو ما قضاه الله وحكم به من الامور كذا في جامع الاصول واعاد العامل اما لبعد العهد
كقول الشاعر اذا علم يحيي اليماني انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها او لشرف قدره وتعاظم
امره لانه محار الافهام ومزل الاقدام فلذا اهتم بشأنه ثم قرره بالابدال بقوله
خيره وشره اي حلوه ومره وفي رواية لمسلم وبالقدر كله وليس تؤمن في اصل ابن حجر
من شرحه فهو ساقط من الكتاب او من صاحب الكتاب ويؤيد الثاني عدم تكلمه في
هذا الباب والله اعلم بالصواب قال المؤلف معناه يعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر
قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها انتهى
فالطاعات يحبها ويرضاها ويثيبها بخلاف الكفر والمعاصي قال تعالى ولا يرضى
لعباده الكفر والارادة لا تستلزم الرضاء وقد قال سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر
وفي الخبر كل شيء بقضاء القدر حتى العجز والكيس واجمع السلف والخلف على صحة ما ثبت انه ما كان

كان وما لم يشأ لم يكن ولانه سبحانه اعظم من ان يقع في ملكه ما لا يشاء او يشاء ما لا يكون من الاشياء
وقد قيل قدر الخير والشر قبل خلق الخلق بخمسين الف سنة هذا ولو كان العبد خالق الشر والمخالفة
وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان اكثر ما يجري في الوجود على خلاف مراد المعبود وذلك امر
لا يرضاه امير بلده ولا زعيم قريته وقال الغزالي كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر
من العنكبوت والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب
فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر
منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات على خالق المصنوعات
انتهى فالايمان بالقدر هو التصديق بان ما قدره الله في ازله لا بد من وقوعه وما لم
يقدره مستحيل وقوعه فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا
محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم قال تعالى خالق كل شيء
والله خلقكم وما تعملون وما تشاؤن الا ان يشاء الله وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين
مرفوعا قال كان الله ولم يكن فكتب في الذكر كل شيء ثم خلق الله السموات والارض
ثم ان الله خلق الخلق على ما علم منهم وعلى ما قدره عليهم قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
اي بحسب ما قدرنا قبل ان نخلقه وعن انس مرفوعا من لم يرض بقضائي فليطلب
ربا سوائي ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في ام الكتاب
اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال واما القدر فهو تعلق الارادة بالاشياء
في اوقاتها وهو تفصيل قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو
والاثبات كما يسمى الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا التحقيق
كلام القاضي البيضاوي فذكر القدر دون القضاء من ارباب الاكتفاء او ليكون الايمان
بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء ولعل الاوجه ان يقال انما اختار لفظ القدر لقوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله وكان امر الله قدرا مقدورا وذكر الراغب ان القدر
هو التقدير والقضاء هو التفصيل فهو اخص وقد قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنهما حين اراد
ان لا يدخل في الشام وقت الطاعون اتفر من القضاء فقال افر من قضاء الله الى قدره
اي القدر ما لم يكن قضاء فمرجو ان يدفعه الله فاذا قضى فلا وقيل القدر التقدير والقضاء
الخلق قال الجزري في النهاية القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر

لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء وقال بعضهم مثل هذا باب القدر
ما اعد للبس والقضاء بمنزلة اللبس ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان
في البدء علم ثم ذكر ثم مشية ثم تدبير ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء
فاذا قال كن فكان على الهيئة الذي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم اثبت ثم قضى
فعلم منه انه ما من شيء حيث استقام في العلم الازلي الى ان استقر في اللوح ثم استبان في
في عالم الوجود الا يتعلق به امور من الله سبحانه وقال بعض العارفين ان القدر كتقدير النقاش
الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب ووضع التلميذ الصبغ
عليها متبعا لرسم الاستاذ هو الكسب والاختيار الجزئي وهو في اختياره لا يخرج
عن رسم الاستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه
متردد بينهما فتدبر لتعلم ان كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون وهو اعلم باحوال خلقه منهم قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ
انتم اجنة في بطون امهاتكم وقال عز وجل هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ازلا لا يكفر
احد بخلقه لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى
فمنكم من هو كافر في علمه ومنكم من هو مؤمن في علمه كما في حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي
وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي ومن ثم قال بعض العلماء يجب السكوت عن كيفية صفاته
وعلمه في افعاله ثم اعلم ان الايمان بالقدر على قسمين احدهما الايمان بانه استولى علمه
بفعل عبيده من خير وشر وبما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده واحصاه وان اعمال
العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه وثانيهما انه تعالى خلق افعال عباده كلها من خير
وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وهذا القسم ينكره القدرية والاول
لا ينكره منهم الا قليلون وكفرهم بانكاره كثيرون ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم
القديم والا كفروا كما نص عليه الشافعي واحمد وغيرهما ثم الخير ما يصلح به حال الرجل او ما يرغب
فيه الكل والشر بخلافه وكل منهما اما مطلوب لم يزل مرغوبا فيه كالعلم او عنه كالجهل او مقيد
يكون بالنسبة الى احد خيرا والى الآخر شرا كالمال وكما ان الخير ضربان اخروية وهي النجاة
عن العقوبة ودخول الجنة ثم مشاهدة الجمال الاحدية ومطالعة الكمال الصمدية ودنيوية
وهي ربعة نفسانية وهي الايمان والعرفان وحسن الخلق والحكمة والعفة والشجاعة و

والعدالة وجسمانية وهي الصحة وحسن الصورة وطول العمر والعبادة وخارجية
وهي المال والجاه والاهل والنسب كذلك الشر على هذه الرتب ثم اعلم ان الايمان
بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان اتيان المقدورات واحكامها المختلفة
على اوجهها في ازمنة وامكنة مخصوصة يدل على توحد الحاكم بتقديرها المقتضي لتوحد
المقدر لها ويستلزم ايضا العلم بصفاته كسعة علمه ورحمته على العالمين وآثار
قدرته وانوار حكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم مطيعين او مكرهين والعلم بكمال
صنعه وافعاله العلية وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان
الحذر لا يقطع القدر وقال بعض العارفين ان الله قدر وجود الكائنات بمظاهر
تجلي الاسماء والصفات فلكل ذرة من الذرات لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح
والتحميد والتهليل والتمجيد تنزيها له وحمدا له على ما اولاه من مظهريتها للصفات
الجمالية والنعوت الجلالية والاشياء كلها مقادير للاسماء الله تعالى وصفاته دون
ذاته فانه لا يسعها الا قلب المؤمن المنور بتجلياته فمن الكلام الالهي والحديث القدسي
لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن ولذا قيل القلب عرش
الرب وقال ابو يزيد قدس سره لو وقع العالم الف مرة في زاوية من زوايا
قلب العارف ما احس ولعل من هنا قيل ان الانسان هو العالم الاكبر فقدر ولا ينظر
بعين الحقارة الى الاكبر والاصغر وقد كتب الحسن البصري الى الحسن بن علي رضي الله عنهما
يسأله عن القضاء والقدر فكتب اليه الحسن بن علي من لم يؤمن بقضاء الله وقدره
خيره وشره فقد كفر ومن سأل الله العافية ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر وان الله لا يطاع
استكراها ولا يعصى بغلبة لانه تعالى مالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه
فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا وان عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم
وبين ما عملوا فان لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك ولو جبر الله تعالى الخلق على
الطاعة لاسقط عنهم الثواب ولو اجبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب ولو
اهملهم كان ذلك عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشية التي غيبها عنهم فان عملوا
بالطاعة فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم والسلام قال صدقت
قيل يؤخذ من هذا الحديث تكفير القدرية بانكار القدر لانه جعل الايمان به من جملة اركان

الذين التي تكفر منكر واحد منها ويشهد له تبريته ابي عمر منهم وخبر القدرية
مجوس هذه الامة والاشبه عدم كفرهم لتعارض شبه عندهم فلهم نوع عذر انتهى
والمختار الذي عليه جمهور المتكلمين والفقهاء من اتباع المجتهدين انه لا يكفر احد من المخالفين
الا بانكار ما كان من ضروريات الدين كفناء العالم وحشر الاجساد في المعاد وعلمه تعالى
بالجزئيات والكليات بخلاف ما اذا لم يكن من ضرورياته كقول المعتزلة ان الشر غير
مراد له سبحانه وان القران مخلوق وامثاله الا اذا اريد بالمخلوق المتخلق فان قائله حينئذ
يكفر بلا خلاف وذلك التفصيل لان الجهل به تعالى من بعض الوجوه ليس بكفر هذا
واعلم ان الايمان لا يشترط فيه الاستدلال والبرهان بل يكفي اعتقاد جازم في ذلك
الوجدان اذ المختار الذي عليه السلف والائمة الاربعة واتباعهم من الخلف صحة ايمان
المقلد واما نقل منع الصحة عن الاشعري امام السنة فكذب عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم
القشيري وايضا لما فتح الصحابة رضي الله عنهم اكثر العجم قبلوا ايمان عوامهم كاجلاف
العرب من اقوامهم وان كان بعضهم تحت السيف او اسلم تبعا لغيره ولم يأمروا
احدا اسلم بترديد نظره ولم يسألوه عن دليل تصديقه واما خلاف الباقلاني و
الاسفرايني وابي المعالي فمبني على المتابعة لما ابتدعه المعتزلة ومن الهذيان انه يشترط
لصحة الايمان ما لم يعرفه هؤلاء الاعيان وهم انهم من فهموا عن الله واخذوا عن رسوله و
اثبتوا سنته وطريقته وبلغوا شريعته واما البراهين التي حررها المتكلمون ورتبها
الجدليون فانها احدثها المتأخرون ولم يخض في شيء منها السلف الصالحون ومن ثم
اختار الغزالي وغيره ان الذين لا اهلية فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك
عليهم مخافة ان يقعوا في شبهة لا يمكن ازالتها عنهم ولذا قال الشافعي لان القى الله
بجميع المعاصي ما عدا الكفر اهون علي من ان القاه بشيء من علم الكلام هذا مع انه يقل
ان يرى مقلد في الايمان بالله سبحانه لانا نجد كلام العوام محشوا بالاستدلال في مقام الكلام
واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع على تأثيم المقلد بترك الاستدلال فمحمول على الاستدلال
بالايات المنصوبة في الافاق والانفس واختلاف الاحوال التي هي ظاهرة
عند ارباب الكمال بل واضحة عند الكفار والجهال اما ترى قوله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض
ثم

ثم اعلم ان جميعا من الحنفية ذهبوا الى ان الايمان غير مخلوق وبالغ جمع منهم فكفروا من قال
بخلقه ولعله مبني على ان التصديق لم يحصل الا بالتوفيق او بما اثبت الله في معالم
التحقيق كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وانما ينسب الى العبد اسنادا
مجازيا حيث دخل تحت كسبه بما يسمى اختيارا جزئيا فيكون نظير قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فالايمان من حيث انه فعل الله غير مخلوق بل هو فضل وهبة حات
ومن حيث انه دخل تحت اكتساب قلب العبد فهو امر كسبي وهذا قريب من اصطلاح
الصوفية في مقام الجمع والتفرقة وهذا القول ما انفرد به ابو حنيفة من السلف الصالحين
بل نقله الاشعري عن احمد وجماعة من المحدثين ومال اليه لكن وجهه بان المراد بالايمان
حينئذ ما دل عليه وصفه تعالى بالمؤمن فان ايمانه هو تصديقه في الازل بكلامه القديم توحيده
ووحدانيته وليس تصديقه هذا محدثا ولا مخلوقا تعالى ان يقوم به حادث بخلاف تصديقه
لرسله باظهار المعجزة فانه من صفات الافعال وهي حادثة عند الاشاعرة قديمة
عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعدهم عن قصد هذا المعنى لان ما دل عليه وصفه تعالى
بالمؤمن فهو غير مخلوق قطعا ثم الايمان باق حكما شرعيا مع النوم والغفلة والاغماء
والجنون وغلبة الحال ونظير ذلك بقاء حكم النكاح ونحوه من العقود في هذه الاحوال
هذا وقد منع جماعة من العلماء الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول احد
انا مؤمن ان شاء الله واجازه كثيرون قال السبكي وهم اكثر السلف من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين الاشاعرة وهو قول
سفيان الثوري وقال المصنف في شرح مسلم عن اكثر اصحابنا المتكلمين انه لا يقول انا مؤمن
مقتصرا عليه بل يضم اليه ان شاء الله وعن الاوزاعي وغيره التخيير وهو حسن لمن اطلق نظرا
الى انه جازم في الحال ومن قال ان شاء الله اما للتبرك او للتجهيل بخاتمة الاعمال قال ابن حجر
ووجه جوازه انه ليس القصد بالاستثناء فيه الا التبرك اتباعا لقوله تعالى ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فانه يعم طلب الاستثناء حتى في قطع الوصول
وقد صرح به فيه في لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله مع ان خبره تعالى قطعي الصدق
تعليما لعباده في صرف الامور كلها الى مشيئته انتهى ولا يخفى انه خلط بين الاستثناء
بالتعليق المستفاد من الاية الاولى عند قصد فعله او وعده بقوله في زمن الاستقبال

باعتبار ظهور الخلق وتعلق الارادة كذا

مطلب
انا مؤمن ان شاء الله تعالى

وهو مما لا يخالف فيه احد من ارباب الكمال وبين الاستثناء المتبرك الذي يتعالى قطعي
الحصول كما في الاية الثانية ايماء بانه لا يجب عليه شيء من الافعال وانما الكلام فيما يكون
ذا وجهين متحقق في الحال ومحتمل الزوال في الاستقبال وان الاولى حذفه من الاقوال
والظاهر انه لا يستثنى ليكون الجواب على طبق السؤال اذ السائل ما قصد بسؤاله الا الاستثناء
اتصافه بالايمان في زمان الحال اذ من المعلوم ان احدا لم يطلع على المآل وكذا الاحسن
عرفا في قطعي الوقوع اصلا لانه اذا سئل انت مكي او مدني او جائع او عاطش او شاب
او طويل لا يقال ان شاء الله وكذا سئل ان الرب واحد او محمد نبي فلا يقال نعم ان شاء الله
وكذا ~~اذا~~ سئل لانه يحصل التردد في تصديقه والشك في تحقيقه ولذا قيل في توجيه منعه
انه تركه ابعد عن التهمة بعد الجزم في الحال وتقديره انه قصد غير التعليق فربما اعتادت نفسه التردد
في الايمان لكثرة اشعار النفس بواسطة الاستثناء بترددها في ثبوت الايمان واستمراره
انتهى واجاب عنه ابن حجر بما لا طائل تحته فتدبر ولعل ما صدر من الاستثناء عن
بعض السلف مبني على كثرة خوفهم ان لا يكونوا داخلا في المنافقين حيث قال تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ومن ثم قال البخاري
عن ابن ابي مليكة ادركت ثلثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم من احد
يقول ان ايمانه على ايمان جبرئيل وميكائيل لان ايمانهما مقطوع بها بالعصمة لهما
واما غير المعصوم فهو غير جازم الا بحسب الظاهر لان تحقق السابقة واللاحقة غير معلوم
الا عند المطلع على السرائر ولذا لما سئل ابو يزيد لحيتك احسن او ذنب الكلب
فقال ان مت على الايمان فهي احسن منه والا فذنب الحيوان خير منها وعند الشافعية
خلاف غريب في الكافر فقال بعضهم يقال هو كافر ولا يقال ان شاء الله ومنهم من
يقول هو كافر ان شاء الله قال فاخبرني عن الاحسان اي في الاتيان باعمال
الاركان او المراد به ايقان الاسلام والايمان او الاخلاص فانه غاية الاحسان
حيث قيل تصفية العمل من طلب عوض وكسب غرض وتخليصه من رياء وسمعة
ولو طرأ وعرض وابعد ابن حجر حيث قال ال فيه للعهد الذهني المذكور في الآيات الكثيرة
من القرآن نحو للذين احسنوا الحسنى وهل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى
ان المراد بالحديث المعنى الاخص من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب العرفان وكما سيأتي في

في جواب جبرئيل بما يكون شافيا كافيا في ميدان البيان ودالا على انه اراد به مقام
المشاهدة او المراقبة على التنزل في الامكان قال ان تعبد الله كانك تراه
يعني في غاية الخضوع ونهاية الخشوع كما يقتضيه مقام الادب عند شهود الرب
والمعنى حال كونك شبيها بمن ينظر الى الله ولم يلتفت الى ما سواه فيكون فانيا
عن نفسه باقيا ببقاء مولاه وهذا من جوامع الكلم فان العبد اذا قام بين يدي
سيده معاينا له وفي حضرته لم يترك شيئا من تحسين عمله في خدمته مما قدر عليه
في حالته وهذا المعنى موجود في عبادة العابد مع عدم رؤيته الله فينبغي ان يعمل
بمقتضاه فان لم تكن تراه اي مثل الرؤية المعنوية فانه يراك اي فكن بحيث
انه يراك او فلا تغفل في العمل فانه يراك ففيه الحث على الاخلاص في الاعمال
ومراقبة العبد ربه في جميع الاحوال قال القشيري ولم يتم المراقبة الا بعد تحقق المحاسبة
وقال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة ومعناه اخلاص العبودية
عن رؤية الغير المعبر عنها بالاثنينية بحيث ادرك القلب عيان جمال ذات الرب
والثاني الى مقام المراقبة في الاجلال وحصول الحياء من العلم باطلاع ذي الجلال
وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله وخشيته ولذا جاء في خبر ان تخشى الله كانك
تراه فعبر بالخشية عن العمل مجازا من المسبب باسم السبب او الحالة الخشية اعم من
حالة العبادة فينبغي ان يكون السالك دائما على ذلك المنوال فانه المقام الكمال ولا يبعد
ان يقال معنى تعبد الله تكون عبدا له في جميع الاحوال بوصف الخشية في الحال والمآل
لتنال حسن المآل وقد سئل ابن عطا ما افضل الطاعات فقال مراقبة الله على
دوام الاوقات والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله رقيب باطنك وهذا
وليس معناه فان لم تكن تعبد الله كانك تراه فاعبده كانك يراك فانه خطأ بيّن
لا يخفى على ذوي الادراك واما ما توهمه بعض الصوفية من ان المعنى فان لم تكن فانيا
تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف في تراه مع عدم ملايمته بما بعده من قوله تعالى
فانه يراك وانما يتعلم هنا صدقت لان الاحسان هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص
سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى

ان يقال انه سقط من بعض الرواة نسيانا او اختصارا لانه في بعض روايات
صحيح مسلم وشرح السنة مسطورة واما ما وقع في شرح ابن حجر هنا من قوله قال صدقت
فلا يوجد في اصل من الاصول المعتمدة ولا في نسخة من الشروح المعتبرة نعم رواه
الترمذي في جامعه وفيه صدقت في المواضع الثلاثة وقيل النكتة في تركه على الاصح
من الرواية انه لما صدقه في البعض علم تصديقه له في الباقي وكذا ما قيل من ان في الحديث
دلالة على ان رؤيته تعالى في الدنيا ممكنة مردود عليه فان كان التشبيه في المبنى
يمنع عن ارادة هذا المعنى واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده بقوله وامكانها في الدنيا
عقلا هو الحق ففيه انه ليس الكلام في الامكان العقلي والحديث الذي هو المعتمد
في الدليل النقلي يشير الى انه لا يمكن في الدنيا بل انه مختص تحققه بالعقبى نعم جزاء هذا
الاحسان الذي هو المشاهدة والمراقبة ليس الا الاحسان في الجنة بالرؤية والزلفة
كما يشير اليه قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال فاخبرني عن الساعة
اي عن قيام الساعة كما صرح به في رواية مسلم اي وقت وقوع القيمة وهي جزء من اجزاء
الازمنة عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا باول حالها فانها تقع بغتة او لسرعة
حسابها او على العكس لطولها وهذا باختلاف احوال اهلها او لانها عند الحق
كساعة عند الخلق وليس المراد بها الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة وهي جزء من
اربعة وعشرين جزءا من اجزاء الليل والنهار ثم انها كما تطلق على القيمة وهي الساعة
الكبرى تطلق على موت اهل القرن الواحد من احدهم والقرن ويسمى الساعة الوسطى
كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن الساعة فاشار الى اصغرهم ان يعش هذا
لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد به انقضاء عصرهم ولذا اضاف اليهم
وعلى موت كل واحد وهي الساعة الصغرى ومنه حديث من مات فقد قامت
قيامته ثم الساعة الكبرى قد يراد بها القيمة كما هنا وهي بالنفخة الثانية وقد يراد بها
النفخة الاولى فانها ايضا تقع بغتة في ساعة واحدة حتى من تناول لقمة لا يقدر على
بلعها وهو المراد بقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها
قال ما المسؤول عنها اي عن وقتها والعائد الى اللام هو المستتر فيه اذ يقال سألت
المسئلة عن زيد وسألت عنها زيدا اي ليس الذي سئل عن الساعة باعلم من السائل اي

اي عنها فنفى ان يكون صالحا لان يسأل عنه في امر الساعة لانها من مفاتيح الغيب لا يعلمها
الا هو على سبيل الكناية لما عرف ان المسؤول عنه يجب ان يكون اعلم من السائل فلا يقال
لا يلزم من نفي الاعلمية نفي اصل العلم عنهما مع انهما متساويان في عدم العلم بها وسياق
الكلام يقتضي ان يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل عنه ليفيد العموم لان المعنى
كل سائل ومسؤول متساويان في هذا الامر المجهول هذا خلاصة ما حققه الطيبي
فان قلت فلم سأل جبريل عنها مع علمه بان غيره تعالى لا يعلمها فالجواب انه لينبههم
بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به في هذا الباب وعلى عدم الاستنكاف من قول
لا ادري الذي هو نصف العلم كما نبههم بماله الجواب عنه مما قد سلف له بجنس السؤال
الذي هو نصف العلم فتم على الوجه الاكمل والله اعلم وقد روي عن علي كرم الله وجهه وابردها
على كبدي اذا سألت عما لا اعلم ان اقول لا اعلم وقال بعض السلف اذا اخطأ العالم
فقال لا ادري فقد اصيبت مقالته وقد قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ويقول
الرسل لا علم لنا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري
حتى اسأل جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اسأل الله ثم ذهب فاتاه جبريل فقال
ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه
البزار وسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن معنى قوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لا ادري ثم ذهب فجاء فقال ان الله يأمرك ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وسأل مالك عن اربعين مسألة
فاجاب في اربعة وقال في ست وثلاثين لا ادري قال فاخبرني عن اماراتها بفتح الهمزة
اي علاماتها ويقال امار بلا هاء لغتان لكن الرواية بالهاء قال المظهر وفي نسخة عن
امارتها فافردها واراد جنسها اي علاماتها الدالة على قربها قال ان تلد الامة
ربتها اي سيدتها او سيدها والتأنيث باعتبار النفس فيشمل ابنتها وابنها
وفي رواية ربها اي سيدها وفي اخرى بعلها بمعنى ربها ومنه قوله تعالى اتدعون بعلا
والتذكير باعتبار الشخص فيشمل جنس ولدها ولذا قيل المعنى مالكها ومولاها لاجل
انها سبب عتقها او مولاها بعد سيدها وعدم تأنيثها لاجل الادب مع الله سبحانه
وهذا اشارة الى قوة الاسلام والمسلمين واستيلائهم على الكفرة والمشركين فتكثر

السراري حتى تلد السرية بنت سيدها وهي في حكم سيدها وهي من علامات القيمة
لان بلوغ الغاية منذر بالانحطاط المؤذن بقيام الساعة وقيل اشارة الى كثرة
بيع السراري لعف والزمان وفسخ اهلها حتى يستعبد المرء امه جاهلا بحالها وقيل عبارة
عن كثرة العقوق واضاعة الحقوق فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من المهنة و
المهانة ويلائمه رواية ان تلد المرأة وخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر
قيضا اوكناية عن كثرة بيع السراري حتى تتزوج الانسان امه وهو لا يدري ويناسبه
رواية بعلها بمعنى زوجها والتحقيق ما ذكره الطيبي من انه اشارة الى ان الاعزة
تصير اذلة لان الام مربية للولد ومدبرة امره فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان
بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الاتية تدل على عكس هذه القضية وهي ان الاذلة
ينقلبون اعزة فكلام المعطوفان انتهى ويؤيده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة
ووسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة قال المؤلف قوله ربتها اي سيدتها ومعناه
ان يكثر السراري حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد وقيل
يكثر بيع السراري حتى تشتري المرأة امها وتستعبدها جاهلة بانها امها وقيل غير ذلك
وقد اوضحته في شرح مسلم بدلائله وجميع طرقه وان ترى اي تبصر او تعلم خطاب عام
ليدل على بلوغ الخطب مبلغا لا يختص به رؤية راء دون غيره الحفاة بضم الحاء جمع
حاف وهو من لا نعل في رجله العراة بضم اوله جمع عار وهو من لا شيء على جسده
كذا ذكره ابن حجر والظاهر ان المراد بهم العراة العرفية وهم الذين ليس لهم ما عدا ستر
العورة العالة بتخفيف اللام جمع عائل من عال افتقر اي الفقراء واصله عولة بتحريك
ومنه قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى قال المظهر قوله العالة اي الفقراء واصله
ومعناه ان اسافل الناس يصيرون اهل ثروة ظاهرة رعاء الشاء بكسر الراء
وبالالف الممدود جمع راع والشاء اسم جنس للشاة والمعنى حفاظ الغنم وفي رواية
لمسلم رعاء البهم بضم الموحدة جمع بهمة بفتحها صغار الضأن والمعز وفيه غاية التحقير
بحالهم وفي رواية للبخاري رعاء الابل البهم بضم اوله جمع ابهم بمعنى الاسود الصرف على انه
نعت للمضاف او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة فكيف الجمع
بين الروايات المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فنقل كل راو ما ثبت عنده حفظها او

او حدث الاختلاف بسبب نقل المعنى عند نسيان المبنى او بتداخل الروايات في
المسندات يتطاولون في البنيان اي يتفاضلون في رفعه ويتفاخرون في حسنه
وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة او حال ان جعلتها فعل الباصرة والمعنى
ان اهل البادية واشباههم من اهل الفاقة تبسط لهم الدنيا فيستوطنون البلاد ويبنون
القصور المرتفعة ويباهون العباد فهو اشارة الى تغلب الارذال وتذلل ارباب الكمال
وتولي الرياسة من لا يستحقها وتعاطي السياسة من لا يحسنها ومن ثم صح من اشراط الساعة
ان توضع الاخيار وترفع الاشرار وصح ايضا في الاخبار لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد
الناس بالدنيا لكع بن لكع اي اللئيم بن اللئيم وبالغ في رواية في تحقيرهم فوصفهم بانهم صم
بكم اي جهلة لا يسمعون كلام الحق ولا يتكلمون بالصدق ولعل تخصيص الامارتين من بين
الامارات مع كثرة العلامات على ما ورد في الروايات لجلالة خطبهما وبداهة شأنهما
وقرب وقوعهما ثم انطلق اي ذهب الرجل فلبثت اي مكثت وتوقفت لا ادري من
الرجل مليا بفتح وكسر فتشديد تحتية اي وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام كما في رواية
ابي داود والترمذي قال المؤلف قوله مليا هو بتشديد الياء اي زمانا كثيرا وكان
ذلك ثلاثا هكذا جاء مبينا في رواية ابي داود والترمذي وغيرهما انتهى وهذا يخالف
لرواية ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس اللهم الا ان يقال ان عمر
لم يحضر في الحال بل قام فاخبر الصحابة ثم اخبر عمر بعد ثلاثة ذكره في شرح مسلم على ما نقله
بعض الشراح وخبر ابي هريرة هو قوله فادبر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوه فاخذوا
يردونه فلم يروا شيئا فقال هذا جبرئيل الحديث وقال ابن حجر وفي رواية ابي داود و الترمذي
وغيرهما انه لبث ثلاثا وظاهره انها ثلاث ليال انتهى وهو مخالف لما نقل عن شرح
مسلم ثم انه جعل لبث في حديث الاربعين اصلا ثم قال وفي رواية فلبثت اخبارا
عن نفسه وهو مخالف لما عليه النسخ المصححة اذ كلها بلفظ المتكلم ثم رأيت في شرح [illegible]
قال الشيخ محيي الدين هكذا ضبطناه لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء وفي كثير من الاصول
المحققة لبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح انتهى ولا يخفى انه يشير الى ان ضبطه يخالف
لسائر الاصول في متن مسلم ولعله اعتمد في اربعينه هذا على ما اتفقوا عليه لانه اصح مبنى
واوضح معنى واما لبث بصيغة الماضي الغائب فيحتاج الى التكلف بان يقال فيه التفات

او ضميره الى جبرئيل او النبي صلى الله عليه وسلم والكل بعيد فالاول هو النقل السديد
ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر اتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم لان
الامارات السابقة والتعجب في الحالة اللاحقة اوقعه في التردد او هو شرام ذلك
وهذا القول يكون من المشركة على ان اسم التفضيل كثيرا يراد به اصل الفعل مع ما يقتضيه مقام
الادب من التفويض الى علم الرب ثم الى علم رسوله المتوصل به الى حقيقة مسؤوله وحقيقة
مأموله فان ادب التلميذ اذا سأله استاذه عن شيء يعلم ان يقول في جوابه انت اعلم
فان سماع الحكمة من لسانه [illegible] احلى واحكم قال فانه جبرئيل جزاء شرط مقدر اي اذا كلمتم
العلم وفوضتم الامر الى الله ورسوله واعطيتم الادب في جواب سؤاله فان ذلك الرجل
على تأويل الاخبار اي تفويضكم ذلك سبب الاخبار بانه جبرئيل هنالك قرينة المحذوف
قوله الله ورسوله اعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن شرط مقدر فتدبر ودفع في اصل
ابن حجر قال هذا جبرئيل وهو مخالف للاصول المعتمدة ومتون الشروح المعتبرة ومع
كونه ليس من الرواية لا وجه له من جهة الدراية ثم اعلم ان جبرئيل بكسر الجيم والراء
اشهر الروايات واكثر القراءات ومنها فتح الجيم وكسر الراء ومنها فتحهما مع زيادة
همزة بعدهما وبدونها اتاكم جاءكم قيل كان ذلك قبل موته عليه الصلاة والسلام باشهر
يعلمكم دينكم وفي رواية ابن حبان يعلمكم امر دينكم اي يقرر امر دينكم بطريق السؤال
والجواب ليتمكن في النفوس اشد التمكن في مقام الصواب لان الحصول بعد الطلب اعز
من المنساق من غير التعب واشار الى ان الاسلام والايمان والاحسان هو الدين
الكامل من بين الاديان هذا وجبرئيل ملك متوسط بين الله ورسله ومن خواص الملك
ان يتمثل للبشر فيراه جسما قاله البيضاوي وقال بعض المحققين والسر في التوسيط
ان المكالمة يقتضي المناسبة بين المخاطبين فاقتضت الحكمة توسط جبرئيل ليتلقف
الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة من الله سبحانه تلقفا روحانيا او من اللوح ويلقيه
بوجهه الذي في عالم الحكمة الى صاحب النبوة فربما ينزل الملك الى الصورة البشرية
وربما يرتقي النبي الى الرتبة الملكية ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد في الرب
على التعب في نسبة الجلال واجهة الكبرياء ويأخذ بمجامعه فاذا سري عنه وجد المنزل
ملقى في الروع كأنه المسموع وهذا معنى قوله يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم

فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول
رواه مسلم ورواه البخاري ايضا في كتاب الزكوة لكن مع تغيير يسير لان ظاهر رواية البخاري
انه لم يعرفه الا في آخر الامر وورد ما جاءني في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي حديث
صحيح لابن حبان والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ اتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى
ولى ثم لم يخرج البخاري عن عمر منه شيئا وانما اخرج هو ومسلم عن ابي هريرة نحوه فالحديث
متفق عليه معنى وكان الاولى ان المصنف يذكر ما اتفقا عليه عن ابي هريرة والله اعلم
بمقصوده في هذا المبنى وهذا الحديث متفق على عظم موقعه وجلالته وكاد ان يكون
مدار الاسلام عليه وهو حقيق بان يسمى ام السنة كما سميت الفاتحة ام القرآن لتضمنها
جمل المعاني المندرجة في مفصل المباني ومن ثم قيل لو لم يكن في هذه الاربعين الا هو لسد
سيد المرسلين غيره لكان كافيا باحكام الشريعة ووافيا بقواعد الطريقة والحقيقة
والله سبحانه اعلم قال ابراهيم الخواص ليس العلم بكثرة الرواية وانما العالم من اتبع العلم واستعمله
واقتدى بالسنة وان كان قليل العلم **الحديث الثالث** عن ابي عبد الرحمن عبد الله
ابن عمر الخطاب رضي الله عنهما توفي بمكة وهو ابن اربع وثمانين بعد ابن الزبير بثلاثة
اشهر وقبره غير معروف قال ابن سيرين كانوا يرون انه اعلم الناس بالمناسك بعد ابن
عفان وقال ابو اسحق الهمداني كنا عند ابن ابي ليلى في بيته فجاءه ابو سلمة بن عبد الرحمن
فقال اعمر كان عندكم افضل ام ابنه فقالوا الابن عمر فقال ابو سلمة ان عمر كان في زمانه له نظراء
وان [illegible] ابن عمر كان في زمانه ليس له نظير روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الف حديث
وستمائة وثلاثين حديثا كان واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح كثير الزهد في الدنيا
اعتزل الفتنة فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية ورعا ثم لما بانت الفئة الباغية
ندم على عدم قتاله مع علي كرم الله وجهه قيل وذكر له الخلافة يوم التحكيم فقال بشرط
ان لا يجري بمحجم دم فردوا عنه عمرو بن العاص لما رأى انه لا يولونه شيئا ان استخلف
ويكفي من مناقبه ما روته اخته حفصة ام المؤمنين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان عبد الله
رجل صالح لو انه يقوم الليل فلم يترك قيامه بعد وقال جابر ما منا الا من نال من الدنيا
ونالت منه الا عمر وابنه واولع بالحج ايام الفتنة وبعدها قيل حج ستين حجة واعتمر الف
عمرة وحمل على الف فرس في سبيل الله قال نافع مولاه اعتق الف رقبة وازيد وكان

ابن عمر

ارقاؤه يقبلون على الطاعة ويلازمون المسجد والعبادة ليعتقهم فقيل له انهم
يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له وروى ابن ابي الزناد عن ابيه قال اجتمع
في الحجر مصعب وعروة وعبد الله ابنا الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا فقال عبد الله
ابن الزبير اما انا فاتمنى الخلافة وقال عروة اما انا فاتمنى ان يؤخذ عني العلم وقال
مصعب اما انا فاتمنى امرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين
وقال ابن عمر اما انا فاتمنى المغفرة قال فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وسبب
موته ان الحجاج شق عليه حين قال له ابن عمر بعد ما اخر الصلوة جدا ان الشمس لا تنتظرك
فقال لقد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله ان تفعل فانك سفيه مسلط
فتغيظ عليه فامر رجلا فسم زج رمحه فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض
اياما ولما دخل الحجاج يعوده فسأله عن العلة فقال وما تصنع به قال قتلني الله ان لم
اقتله قال لست بفاعل قال ولم قال لانك الذي امرته به وروي عنه انه قال قتلني الذي
امر بادخال السلاح الحرم ولم يكن يدخل به واوصى ان يدفن في الحل فلم يقدر عليه
لاجل الحجاج فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول جملة حالية بني الاسلام اي اسس الانقياد للشريعة والاستسلام المحققة
على خمس اي خمس قوائم او دعائم وصرح به عبد الرزاق في روايته او خصال او قواعد وفي
بعض الروايات على خمسة بالتاء وهي رواية لمسلم اي اركان او اشياء او اصول
وقيل انما حذف التاء لان اسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوط التاء
اذا كان المميز مذكورا اما اذا لم يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح به النحاة في قوله تعالى يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي عشرة ايام وحديث من صام رمضان واتبعه ستا من
شوال فكانما صام الدهر كله ففي الحديث يجوز من جهة النحو وجود التاء وعدمها شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بجر الشهادة مع ما بعدها على انه عطف بيان
او بدل الكل وهو الاحسن وقال الكازروني هو الرواية ويجوز رفعه بتقدير مبتدا اي احدها
او بحذف خبر اي منها وهذا اولى لانه المرجح عند تعارض حذف المبتدا والخبر عند النحاة
حذف الخبر قاله الكافيجي ويجوز النصب بتقدير اعني قال الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة
للفرزدق ما اعددت لهذا المقام فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ كذا سنة فقال الحسن هذا

موضع بمكة [illegible]

هذا العمود فاين الاطناب فهو تمثيل شبه الاسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد واطنابها
الاعمال الصالحة وفي رواية للبخاري تغليبا ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العمودية الكلهم
الا ان يقال المراد بالاسلام هو الايمان وبالخمسة اركان الاسلام فيكون تشبيها للمعقول بالمحسوس
لانه اوقع في النفوس فشبه بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة وقطبها الذي يدور عليه
الاركان هو الشهادة وبقية شعبه بمنزلة الاوتاد فيكون الايمان مغايرا للاركان كمغايرة
الخباء للعمود والاوتاد واقام الصلوة اصله اقوام فحذف الواو ونقل حركتها الى ما قبلها وقلبها
واجتماع الساكنين عندها وعوض التاء عنها وتركت تخفيفا عند المضاف اليه لقيامه
مقامها واما ما قيل من انه مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره ابن حجر من ان حذفها للازدواج خارج
عن المنهاج وايتاء الزكوة اي اعطائها مستحقيها وتمليكها اياهم وحج البيت بفتح الحاء
وكسرها لغتان مصدران وصوم رمضان هكذا رايت العبادات كما في سائر الروايات
وفي رواية بتقديم الصوم على الحج وهو محمول على ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع الحديث مرتين
فرواه مرتين او روى بعض الرواة بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع في المعنى والا فرمضان
فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة فوق والظاهر
ان المراد بهن جميع ما تعبد الناس في ابدانهم واموالهم لان العبادة اما بدنية محضة
كالصلوة او مالية محضة كالزكوة او مركبة منهما كالحج او كالاضحية لدخول التكبير بالاجماع
فيهما واما عدم ذكر الجهاد لانه غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب جماعة كثيرة الى ان
فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة المشرفة على ما صرح به القرطبي وذكر انه مذهب ابن عمر
والثوري وابن سيرين الا ان ينزل العدو بقوم من العباد او يامر الامام بالجهاد والله اعلم
ثم اعلم ان هذا تعريف الاسلام الكامل عند اهل السنة والجماعة فمن تركها ولو كلها ما عدا
الشهادة على خلاف فرضيتها فهو فاسق على ما ثبت عند الجمهور من الجمع بين ادلة الكتاب
والسنة وخالف احمد واخرون فاخذوا بظاهر خبر مسلم بين الرجل وبين الشرك
والكفر ترك الصلوة وحديث من ترك صلوة متعمدا فقد كفر فكفروا تاركها مطلقا
اي سواء استحل تركها او انكر فرضيتها ام لا وبالغ اسحق فقال عليه اجماع اهل العلم
وقال غيره عليه جمهور اهل الحديث واجرت طائفة ذلك في الاركان الثلثة ايضا
وهو رواية عن احمد اختارها طائفة من اصحابه وبعض المالكية ثم اعلم ان لكل من تلك

الاركان احكاما ظاهرية تبين تفاصيلها في الكتب الفقهية ولها انوار وحقائق
واسرار ودقائق ذكرها ارباب القلوب من الطائفة الصوفية اما التوحيد فسيجيء
بعض بيانه في محل اليوم بشانه واما الصلوة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان في عالم الحس من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى عالم الملكوت ومقام
دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ومعراج في عالم الارواح والكشف من الشهادة
الى الغيب ومن الغيب الى غيب الغيب وهكذا الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح
الاسرار فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى هذا العالم قال الرب تحفة المسافر اذا عاد
الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال
والروحاني بالاذكار ولذا ورد الصلوة معراج المؤمن فالاركان السبعة وهي القيام والركوعان
والسجودان والقومة بين الركوع والسجود على مثال طباق السبع والقعود للتشهد مطلع
شمس الشهود ومنتهى سير الوجود فاذا وصل الى ذلك المقام وانتهى الى عتبة جلال
العلام يقول التحيات لله باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بقوة الايمان
فعند ذلك تتلاقى روحه بروح محمد صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله على لسانه اظهارا لعلو شانه السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل له في تلك الحالة بم نلت هذه المقامات فقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا بالصلوة
عليه ثم دعا الله وتضرع اليه ثم سلم على الملائكة الكرام ومن حضره من الخواص والعوام
واما الصوم ففي الطريقة هو الامساك عما حرم الله على عبده والافطار بما اباح له
في حكمه وفي الحقيقة هو الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن واما
الزكوة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر والباطن بترك الاموال وصرفها الى اسباب
الوصال وتخلية القلب عن الاغيار وتحلية الخاطر بتجليات الانوار واما الحج فهو الاحرام
بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المألوفات والتوجه الى الله بصفاء
الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة والتقرب في
المزدلفة الى مقام الزلفة ورمي ما بين يديك من السوى في وصول المنى وقطع تعلق
الحلوم بالقصر او الحلق ليحصل محو الاثار النفسية بوصول الانوار القدسية ثم الطواف

بالخروج عن الاطوار السبعة بالاشواط السبعة حول كعبة الربوبية والسعي
بين صفا الصفات ومروة المرآة وتحسن عليه سائر المناسك ولله در
القائل الى سبك يا من الى وجهه حجي ومعتمري ان حج قوم الى ترب واحجار لبيك
من قرب ومن بعد سرا بسر واضمارا باضمار رواه البخاري في الايمان والتفسير
رباعيا ومسلم في الايمان والحج خماسيا سداسيا وكذا رواه احمد والترمذي والنسائي

صح

الحديث الرابع عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذلي اسلم
قديما بمكة روي انه قال رايتني سادس ستة ما على وجه الارض مسلم غيرنا هاجر
الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها وشهد بيعة الرضوان
وصلى بالقبلتين وكان رسول الله يكرمه ويقربه ولا يحجبه وكان ابن مسعود كثيرا
يدخل عليه واذا قام يلبسه نعليه واذا جلس ادخلهما في ذراعيه وكان يمشي
معه وبين يديه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام وكان معروفا في
الصحابة بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسواكه ووسادته وطهوره
في السر وروي في بعض طرق حديث العشرة المبشرة بالجنة انه احدهم وقال
صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها
ابن ام عبد وقال من احب ان يقرا القرآن غضا كما انزل فليقرا على قراءة
ابن ام عبد وكان رجلا قصيرا نحيفا يكاد قيامه يوازي جلوس طوال الرجال وقد
روي عن علي انه عليه الصلوة والسلام امره يعني ابن مسعود ان يصعد شجرة
فصعد فنظر اصحابه الى حموشة ساقيه فضحكوا فقال النبي عليه السلام لرجل
عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال فيه ابو موسى لا تسألوني ما دام هذا الحبر
فيكم ودخل عليه عثمان بن عفان في مرض موته فقال ما تشكو قال ذنوبي قال
فما تشتهي قال المغفرة قال الا آمر لك بطبيب قال الطبيب امرضني قال الا امرت
لاولادك فقال اني اخشى عليهم الفقر بعد ان علمتهم سورة الواقعة يقرؤونها
كل ليلة توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة ودفن
بالبقيع روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة حديث وثمانية واربعين
حديثا روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم قال

حدثنا اصل معناه اخبر احادثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الصادق اي في اقواله وافعاله واحواله مع الخلق المصدوق اي فيما ياتيه من الوحي
المطلق والجمع بينهما للتاكيد وقيل المصدوق فيما وعده سبحانه او المصدوق بمعنى
المصدق والجملة اعتراضية لا حالية لتعم الاحوال بالكلية ان احدكم بكسر الهمزة على
حكاية لفظه صلى الله تعالى عليه وسلم وجزم به المصنف في شرح مسلم وجوز غيره فتحها
والخطاب لبني آدم والمعنى ان واحدا منكم يجمع خلقه بصيغة المجهول اي يضم ويحرز مادة
خلقه وهو ما يخلق هو منه في بطن امه اي في رحمها اربعين يوما حال كونه نطفة كما في
نسخة صحيحة اي منيا سائلا في مدة الاربعين مجتمعة او متفرقة وهو الاظهر اذ الجمع انما يكون
بعد التفرقة وذلك ان النطفة اذا وقعت في الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا
طارت في بشرة المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين ليلة ثم تنزل
دما في الرحم فذلك جمعها ووقت كونها علقة وقد روي ذلك عن ابن مسعود
والصحابة اعلم الناس بتفسير ما سمعوه واحق بتاويل ما نقلوه فليس لمن بعدهم ان يرد
عليهم كذا حققه الطيبي وجاء تفسير الجمع بمعنى آخر عند الطبراني وابي منذر بسند صحيح
على شرط الترمذي والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد خلق عبد
فجامع الرجل المراة طارت ماؤه في كل عرق وعضو منها فاذا كان يوم السابع
جمعه الله ثم احضره كل عرق له دون آدم في اي صورة ما شاء ركبه ويؤيد هذا المعنى
قوله عليه السلام لمن قال ولدت امراتي غلاما اسود لعله نزعه عرق هذا والخلق في
الاصل بمعنى التقدير يستعمل في ايجاد الشيء بمادة وغيرها فالايجاد بالاسباب والمواد
يتعلق بعالم الملكوت والغيب وهو مظهر الامر والقدرة فالاشباح للكائنات من
عالم الخلق اقتضت المادة والمدة والارواح للكائنات من عالم الامر لم تقتض شيئا
من تلك العدة وهذا معنى قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالت الصوفية خصوصية الاربعين
لموافقة تخمير طينة آدم وميقات موسى عليهما السلام وذلك لاختصاصها بالكمال
لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال اما الاول فلانها غاية الآحاد من غير
تكرار واما الثاني فلانه قد استتم كل مستقيم البنيان على اربعة اركان كالطبائع
والفصول الاربعة قال القرطبي وهذا الترتيب العجيب وان خفيت علينا حكمته فقد [illegible] لنا

لنا حقيقة وهو انه كذلك سبوح في علمه وثبت في قضائه وحكمه والا فمن الممكن
ان يوجد انواع الانسان واصناف الحيوان بل وجميع المخلوقات في اسرع من لحظة
وايسر من النطق بلفظه كيف لا وقد سمع السامعون انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون اقول ولعل حكمة التدريج في عالمي الاصغر والاكبر نفي توهم
القدم وثبوت تقدم العدم والله اعلم وقال الخطابي الحكمة في تاخير كل منها اربعين
يوما ان يعتاد الرحم لانه لو خلق دفعة واحدة لشق ذلك على الام ويخاف عليها
الغم وايضا فيه اظهار آثار قدرة الله تعالى واشعار اكثر نعمه على عبيده ليعبدوه
ويشكروا الله على جميل نعمه وايضا تقليبه في هذه الاطوار المباينة تاكيد لامر البعث
لان من قدر عليه ابتداء يقدر على اعادته انتهاء بل هي في العادة ادخل فيها واهون
منها هذا وفي بطن امه متعلق بيجمع على انه ظرف مكان له وقوله اربعين يوما ظرف زمان له
واغرب الكازروني فيما اغرب حيث قال في بطن امه صفة لخلقه او حال منه اي مادة
خلقه الحاصلة في بطنه او حاصلة وقوله اربعين يوما ظرف لذلك المقدر فتدبر
ثم يكون اي عقيب هذه الاربعين يصير خلقه علقة وهي قطعة دم جامد وطري وهو
الاظهر وسمي بها لانها اذ ذاك تعلق بالرحم مثل ذلك اي مقدار الزمن الذي
هنالك يعني اربعين يوما ونصبه على انه صفة لعلقة والاشارة الى الخلقة والمعنى
علقة مماثلة للخلقة في انها تكون من اربعين يوما ثم يكون مضغة اي قطعة لحم قدر ما
يمضغ كذا قاله الشارح والظاهر انه قطعة لحم كانها ممضوغة مثل ذلك واما ما ذكره
الفاكهاني على ما وقع في اصله ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك وفي شرحه فذلك الاول
اشارة الى المحل الذي اجتمعت فيه النطفة وصارت علقة وذلك الثاني اشارة الى
الزمان الذي هو الاربعون وكذا القول في قوله ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك
فهو مبني على خلاف الاصول المعتمدة من متون هذه الاربعين ثم الظاهر ان ثم
في هذا الحديث وقع موقع الفاء اذ لا مهلة بين الاربعينين واما قوله تعالى ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية فقال البيضاوي واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات انتهى وهو مرفوع بهذا الحديث كما لا يخفى والتحقيق المرضي
ما ذكره الرضي من ان افادة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافيها كون الثاني المرتب

يحصل بتمامه في زمان طويل اذ كان اول اجزائه متعقبا لما تقدم كقوله تعالى ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة نظرا الى تمام صيرورتها علقة ثم قال
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما نظرا الى ابتداء كل طور ثم قال ثم انشأناه
خلقا آخر اما نظرا الى تمام الطور الاخير واما استبعادا لمرتبة هذا الطور فيه
كمال الانسانية عن الاطوار المتقدمة والله سبحانه اعلم ثم اي في الطور الرابع حين
يتكامل اجزاؤه ويتشكل اعضاؤه يرسل اليه الملك بصيغة المجهول وفي نسخة
بغير اليه وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ثم يرسل الله الملك وهو مخالف للاصول
المحررة نعم ضبط في بعض النسخ بصيغة المعلوم من غير ذكر الجلالة فيرجع الى هذه العبارة
مآلا ولعله صحف عليه باليه بالجلالة لديه والمراد بالملك الموكل بالرحم والمراد بالارسال
امره بها والتصرف فيها اذ ثبت في الصحيح انه موكل بالرحم من حين كانت نطفة
او ذاك ملك آخر غير ملك الحفظ ويعجن النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير قوله تعالى
منها خلقناكم ان الملك ياخذ من تراب مدفنه فيبدده على النطفة ولكونه سلالة
من طين جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف
المركبات من الطين فيه حرص النملة والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر
النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمايم الصفات وفيه
شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء
الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الاخلاق فان قلت قد ورد
في صحيح مسلم برواية حذيفة بن اسيد لا ابن مسعود كما في المشارق انه اذا مر بالنطفة
ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها
ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ثم يكتب اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير
بعد الاربعين الاولى وهو مناف لهذه الرواية فالجواب ان لتصرف الملك اوقاتا احدها
حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة وهو اول علم الملك بانه ولد وذلك عقيب الاربعين الاولى
وحينئذ يامره ربه بكتب رزقه واجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره
وخلق اعضائه وذلك في الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده
انه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لان التصوير بعد الاربعين الاولى غير موجود عادة كذا في

في شرح مسلم وقد استفاض بين الناس ان النطفة اذا قدرت ذكرا يتصور بعد الاربعين
الاولى بحيث يبين منه كل شيء حتى السوأة فيحمل رواية ابن مسعود على النبات
او الغالب او باختلاف في خلق العباد على ما اراد وفي رواية اخرى لمسلم ان النطفة تقع
في الرحم اربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك وفي اخرى لمسلم ان ملكا موكلا بالرحم
اذا اراد الله ان يخلق شيئا باذن الله لبضع واربعين ليلة الحديث وفي
رواية في الصحيح يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم باربعين يوما وفي اخرى لخمس
واربعين فيقول يا رب اشقي ام سعيد وفي اخرى عند الشيخين ان الله تعالى قد وكل بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة والمعنى يقول وقت النطفة
يا رب هذه نطفة ونحو ذلك في البقية وفي رواية في سندها السدي وهو مختلف
في توثيقه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان التصوير لا يكون قبل ثمانين يوما وبه اخذ
طوائف من الفقهاء وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد وثمانون يوما لانه
لا يكون مضغة الا في الاربعين الثالثة ولا تخلق قبل ان يكون مضغة فينفخ اي الله تعالى
او الملك فيه الروح اي بعد تكمل جسده وتصوير شكله وفي نسخة بصيغة المجهول
قال القاضي عياض وابن الهمام وغيره ظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في
المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد ان يتشكل بشكل ابن آدم ويتصور
بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا
آخر اي بنفخ الروح فيه وقال القاضي اتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد اربعة
اشهر اي عقيبها كما صرح به جماعة وعن ابن عباس انما ينفخ بعد اربعة اشهر وعشرة ايام
واخذ به احمد قيل وهذا الحكمة في كون عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا لانها بالشروع في التحكي
من غير ظهور حمل يتبين براءتها منه والعشرة احتياطا وان الروح ينفخ فيها كما قاله
ابن المسيب وتبعه احمد فيما روي عن ابن عباس ثم اعلم ان ظاهر آيات القرآن شاهد
بان التصوير يكون من الله تعالى وقد ورد في بعض الروايات اضافة ذلك الى الملك
الموكل على الرحم والجمع ان ظاهر القرآن اولى قال تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
كذا ذكره بعضهم والاولى ان الاضافة الى الله حقيقية والنسبة الى الملك مجازية
كما جمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل وهذا

جمع لطيف يؤدي الى جمع شريف مستفاد من قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وقد جمع بعضهم بين القرآن والخبر بان الملك الموكل بالرحم من اعوان اسرافيل
وهو ناظر اليه واسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة في العرش كما ورد به الخبر ان الله تعالى
جعل لكل ما خلق صورة مخصوصة في ساق العرش وتلك الصور حكاية عما في
علم الله تعالى الازلي فيأخذ اسرافيل الصورة المختصة بتلك النطفة ويلقيها الى ملك الارحام
وملك الارحام يلقيها الى الجنين فيصور بتلك الصورة المختصة فحيث ما اضاف الى
نفسه تعالى التصوير فلانه هو المقدر للصور في الاصل حقيقة وحيث ما اضيف الى الملك
فلانه المباشر لها حيث ما رأى في نسخة اسرافيل واما نفخ الملك في الصورة فبسبب
يخلق الله عنده فيها الروح والحيوة وقد قال بعض العارفين في الحديث الشريف
معنى لطيف بين الاشارة بعد بيان العبارة وهي انه اذا سقطت من
صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم
لتصرفات ولاية الشيخ اذ هي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد احواله
الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ وتدبيره فانه تعالى يتصرف ولاية الشيخ
المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام
الى آخر الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي صدر منها الى عالم
الانس فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق
الآن ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه واوليائه يلقي الروح من امره على من
يشاء من عباده وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه يكون آدم وقته فيسجد له الملائكة
اجمعون اي فينقادون له ويصلون عليه ويعظمون امره ويكرمون شانه ويؤمر اي
الملك عطف على فينفخ باربع كلمات اي بكتابة اربعة احكام مقدرة من الله
على جبهته بخط النوار كتابة ذلك بكل ما هو لائق هنالك يكون بين عينيه او بطن كفه
او ورقة تعلق بعنقه كما قال مجاهد ويؤيده قوله تعالى وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه واعلم ان الكتابة الشرعي في ام الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا خص
كل انسان اذ لكل كتابة سابقة وهي ما في اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة
اشير اليها في الحديث ثم ظاهر سياق هذا الخبر ان هذا الامر والكتابة بعد الاربعين الثالثة

الثالثة وفي رواية البخاري ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون
علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح كالصريح في ذلك لكن في روايات
آخر لمسلم وغيره ان كتابة تلك الامور عقيب الاربعين الاولى وبها اخذ جماعة
من الصحابة وجمع بعضهم بان ذلك يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب له
ذلك عقيب الاربعين الاولى ومنهم من يكتب له عقيب الاربعين الثالثة ولا يبعد
تكرر الكتابة والله اعلم ثم ظاهر رواية البخاري ان النفخ بعد الكتابة وفي رواية البيهقي
عكسه واما رواية الكتاب فيحتمل البعدية والقبلية لان الواو لمطلق الجمعية وفي صحيح
ابن حبان بخمس وهي الثلاثة الاتية والاثر والمضجع اي القبر ولا تنافي لان الزائد
على تلك الاربع اعلم به صلى الله عليه وسلم بعد اخباره او هذا الزائد يكتب لبعضهم
دون آخرين يكتب رزقه اي ما ينتفع به حلالا او حراما مأكولا او غيره قليلا او كثيرا
والجار بدل كل من قوله اربع او المضاف مقدر فيه ويروى يكتب على الاستئناف
معلوما وكذا مجهولا فيتغير اعرابه ما بعده واجله اي مدة عمره طويلا او قصيرا وعمله
صالحا او طالحا وفي رواية صرفه اي صنايعه الشاملة لاعماله وشقي اي وهو شقي
في الاخرة او سعيد فيها وكان مقتضى ظاهر العبارة ان يقال وشقاوته وسعادته
فعدل عنه اما حكاية الصورة ما يكتب لانه يكتب شقي او سعيد او التقدير انه شقي او سعيد
فعدل لان الكلام مسوق اليهما والتفصيل الآتي وارد عليهما كما حققه الطيبي وظاهر
الحديث يدل على ان الامر بالكتابة ابتداء منه تعالى والاحاديث الصحيحة تدل على ان الامر
بها بعد ان يسأل الملك عنها فيقول يا رب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهل
هو شقي او سعيد ومن تلك الاحاديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها
الملك بكفه فقال اي رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما الاثر باي ارض
يموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب اي اللوح المحفوظ فانك تجد قصة هذه النطفة
فيها فينطلق فيجد قصتها في ام الكتاب انها تخلق وتأكل رزقها وتطأ اثرها
فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها ومنها انه يقول يا رب مخلقة
او غير مخلقة فان كانت غير مخلقة قذفتها الارحام دما وان قيل مخلقة قال يا رب اذكر ام انثى

وذكر ما مر ثم السعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات والمبرات
المرضية ونقيضها الشقاوة وهي اما قلبية او بدنية او ما حول البدن فالقلبية هي
المعارف والحكم الدينية والكمالات العلمية والعملية والبدنية الصحة والقوة واللذات
الجسمية وما حول البدن من الاموال والاسباب الدنيوية المعينة للامور الدينية
والاحوال الاخروية وقدم الشقاوة ليعلم ان الشر كالخير من عند الله وبتقديره
على ما قضاه ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر في المرتبة الربوبية
وما احسن قول الشاعر وكم اديب فهيم قلبه مستكمل العقل عديم وكم جهول مكثر
ماله ذلك تقدير العزيز العليم وتحقيق هذا المقام انه تعالى له صفتي جمال وجلال
او نعتي لطف وقهر فالسعداء واعمالهم ومآلهم ومنازلهم مظاهر اللطف وفائدة
بعثة الانبياء وانزال الكتب من السماء ترجع اليهم انما انت منذر من يخشاها كما ان
فائدة نور الشمس لاهل البصر فهي اشارة وبشارة لهم بالسعادة والاشقياء
وافعالهم ومثويهم ومأويهم مظاهر القهر وفائدة البعثة لهم الزام الحجة عليهم
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهي في الحقيقة نعي عليهم بالشقاوة قال
البيضاوي من وجده مستعدا لقبول الحق اثبته في عداد السعداء ومن رآه قاسي القلب
فاسدا بالطبع للحلول متبانيا عن قبول الحق كتبه في ديوان الاشقياء وهذا لا يمنع
من حاله وقوع ما يتغير ذلك في مآله فان علم كتب اوائله واواخره وحكم عليه وفق
ما يتم به عمله وما يختم به امره كما اشار اليه بقوله فوالذي الخ فصيحة اي اذا كانت الشقاوة
والسعادة مكتوبة فوالذي لا اله غيره اكده بالقسم لتاكيد امر القضاء في القضية
ليعلم ان الكسب لا مدخل له في الحقيقة ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة اي فيما يبدو للناس
وهو من اهل النار كما في خبر مسلم حتى ما يكون بالنصب وفي بعض النسخ المصححة بالرفع قال
الطيبي حتى هي الناصبة وما نافية ولم يكف يكون عن العمل فهي منصوبة بحتى واجاز غيره
ان يكون حتى ابتدائية فيكون على هذا بالرفع وهو مستقيم ايضا كذا ذكره الشيخ ابن حجر
العسقلاني في فتح الباري شرح البخاري وقال بعض الشراح يكون في الموضعين بالرفع
لا لان ما نافية كافة عن العمل بل لان المعنى على حكاية حال الرجل لا الاخبار عن المستقبل
نحو مرض حتى لا يرجونه انتهى ولا يخفى ان وجه النصب اظهر ورواية الشهر واغرب ابن

ابن الحجر تبعا للقرماني حيث اقتصر على تعيين الرفع وعلل بان ما الخفت حتى وقيد
ان ما النافية ما يليق وان كان اعتبرها كافة فلا يصح نفي العدم صحة الاستثناء حينئذ
بقوله بينه وبينها الا ذراع اي قدره وهو مثل يقرب بمعنى المقاربة كحديث
من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا فالمراد
التمثيل بالقرب من موته ودخوله عقيبه في جنة فيسبق عليه الكتاب اورد الفاء
ليدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى تضمينا لمعنى يغلب اي فيغلب عليه
كتاب الشقاوة قبل النفخ عند الولادة المستند الى اللوح المأخوذ من ام الكتاب وهو
العلم الازلي المعلوم به في هذا الباب والكتاب في المتن يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون
بمعنى المكتوب فيعمل اي في تلك الحالة بعمل اهل النار اي ويموت على ذلك فيدخلها
اي مع اهلها هنالك لان بذر الشقاوة والسعادة قد اختفى في الاطوار الانسانية
لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية الطغيانية او الايمانية وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة اي بان يستغفر
ويتوب منه فيدخلها اذ الخاتمة نسخة السابقة وفي هذا الحديث اثبات القدر كما هو
مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ومن تبعهم من اهل البدعة قال القاضي وغيره الاول
نادر جدا بخلاف الاخير فانه كثير وجودا ولعله لخبر ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية
تغلب غضبي فلله الحمد والمنة ثم الحكمة في اخفاء القضية ان يعلم انه لا عبرة بالصورة بل
بالاخلاص وحسن السيرة وان لا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح الافعال
ولا يحقر اهل الشقاوة في ظاهر الاحوال اذ الامر منوط بمطلق القضاء في الازل وان يعلم
ان ما يجري في العالم من الايمان والكفر والطاعات والسيئات من الكليات والجزئيات
بتقديره وايجاده في عباده وفق مراده اذ لا مؤثر في الوجود الا الله الملك المعبود لا علة
لفعله ولا معقب لحكمه ثم القدر سر لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فلا يجوز
البحث عنه فانه تعالى لا يسأل عما يفعل ولذا قال علي كرم الله وجهه لمن سأله عن القدر هو
طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر خفي
عليك فلا تفتشه ولله در من قال تبارك ما اجرى الامور بحكمة كما شاء لا ظلما اراد ولا هضما
فمالك شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا وان شئت مت كظما ثم فرعا

الحديث الشريف ايماء الى ان ذلك الى مبدا احواله ومنتهى امآله من غير اعتبار اعماله
وفيه سر قول من عرف نفسه فقد عرف ربه ثم منهم من نظر الى السابقة ومنهم من نظر الى
الخاتمة اللاحقة والاول اولى وفي المرتبة اعلى فان فيه ملاحظة فعل الحق مجردا عن
الخلق والانسب الى مقام التفريد وحال التوحيد بل هو مرتبة الجمع بخلاف الاخير فانه يشير
الى منزلة التفرقة رواه البخاري ومسلم وكذا الاربعة وفي بعض روايات هذا
الحديث وانما الاعمال بالخواتيم وفي حديث الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من
سعد في بطن امه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله
مكانها من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة
فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى الآيتين وفي رواية للبخاري
انما الاعمال بخواتيمها كالوعاء فانه اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه
خبث اسفله وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله
بعمل اهل النار ثم يختم له وان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة
واخرج احمد والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده
كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده
اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم
فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل النار وآبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص
منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال سددوا
وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له
بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما فقال فرغ ربكم من
العباد فريق في الجنة وفريق في السعير واخرج احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر
ان يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له يا رسول الله آمنا بك
وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه حيث يشاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك فلنختم الكلام على

هذا الحديث العظيم بهذا الدعاء الكريم **الحديث الخامس** عن ام المؤمنين كبقية
ازواج سيد المرسلين لقوله تعالى وازواجه امهاتهم اي في حرمة النكاح وباب التعظيم
والتكريم دون نحو النظر والخلوة وسائر ما يتعلق بالاجنبيات من التحريم ام عبد الله
كناها صلى الله عليه وسلم بابن اختها اسماء عبد الله بن الزبير او بسقط من رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمي عبد الله وهو ضعيف كما ذكره في الاذكار عائشة بكسر الهمزة
التحتية كما يقول العامة رضي الله عنها اسلمت صغيرة وتزوجها صلى الله عليه وسلم
وهي بنت ست سنين بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال
منصرفه من بدر سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع وبقيت معه تسعا وعاشت
بعده اربعين سنة مروياتها الف ومائتا حديث وعشرة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من احدث اي ابتدع بامر حادث بان ابتدع من قبل نفسه واخترع من
عند عقله في امرنا هذا اي شاننا وشرعنا او امرنا المهم عندنا وفي رواية في ديننا هذا اي ايراد
اسم الاشارة بدلا او صفة افادة التعظيم وايماء الى ظهور التفخيم واشعار بان
امر الدين كمل وظهر ظهور المحسوس بمقام التكريم ما ليس منه اي من اصوله او هو ما ينافيه
بحسب مبانيه او معانيه وفي نسخة ما ليس فيه اي ما ليس فيه مستند من الكتاب او السنة
او اجماع الامة سواء كان فعلا او قولا او حالا فهو رد بمعنى المردود ويشمل اي ذلك المحدث
مردود عن جنابنا ومطرود عن بابنا فان الدين اتباع آثار الآيات والاخبار واستنباط
الاحكام منها لارباب الآثار وقد كمل الدين كما اشار الى ذلك في الكتاب المبين فمن رام
الزيادة عليه حاول امرا غير مرضي لديه لانه من قصور فهمه رآه ناقصا بدون احداثه او ما
احدثه مردود فلا تقبلوا وبمقتضاه لا تعملوا فالضمير الى الشخص او الامر والاول
ابلغ والثاني اظهر كذا قاله بعض الشراح والصواب ان يقال الضمير الى من او الى ما فتفكر
ثم في ايراد الرد بصيغة المصدر مبالغة عظيمة فتدبر وقال المؤلف قوله رد اي مردود
كالخلق بمعنى المخلوق رواه البخاري ومسلم وكذا ابو داود والنسائي وفي رواية لمسلم
من عمل عملا اي من اتى بشيء من الطاعات البدنية او الحالات القلبية او بشيء من الامور
الدنيوية او الاخروية سواء كان محدثا لاحقا او معتقدا على الامر سابقا وكان من صفته
انه ليس عليه امرنا اي اذننا وحكمنا بل اتى به على حسب هواه وان خرج عن غرضه فيما نواه فهو رد

او ردوه وعليه غير مقبول فيما نسب اليه فهذه الرواية اعم وفي افادة الدراية اتم
فهذا الحديث عماد في التمسك بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام بحبل الله الاقوى وفي رد المحدثات
والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى   اذا ما دجا الليل البهيم وظلما   بامر فظيع
مشوش اسوداد حما   فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى   واعمى البرايا من الى البدع
انتمى ثم اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم في ابطال المنكرات وحوادث الضلالات
وقد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال
مجاهد السبل البدع وروى الدارمي انه صلى الله تعالى عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا سبيل الله
ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه ثم تلا الاية وقال عز وجل فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
قال ميمون بن مهران من فعلها التابعين الرد الى كتابه والى رسوله في حياته والى سنته
بعد مماته وقال عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي حديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول في خطبته ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد البيهقي وكل ضلالة في النار
وروى الدارمي ان ابن مسعود انكر على جماعة اجتمعوا في المسجد يعدون الاذكار بالحصا وقال
اليهم ان يعدوا سيئاتهم وانهم مفتحوا باب ضلالة واخرج البيهقي ان ابن عباس قال
ان ابغض الامور الى الله تعالى البدع وان من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور
واخرج ابو داود عن حذيفة كل عبادة لم يفعلها الصحابة فلا تفعلوها وقال الغزالي السكوت
عما تكلم فيه السلف جفاء والكلام فيما سكتوا عنه تشدق وورد عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة اي ولو مستحسنة لان من البدع ما
استحسنه السلف ومنها ما استحسنه الخلف فمن قبيل الاول جمع القرآن كما اتفق
عليه الشيخان وكذا جمع عثمان بن عفان وكما وقع لعمر رضي الله عنه في جمع الناس لصلوة التراويح
في المسجد بعد تركه عليه السلام لذلك بعد ما فعله ليالي وقال عمر نعمت البدعة هي لانها
وان حدثت في الجملة الان انها ليس فيها رد للفعلة المتقدمة بل مقوية لتلك الحسنة
فانه عليه السلام علل تركها بخشية الفرضية فزال بوفاته عليه السلام توهم عود القضية
ومن امثلة الثاني بناء نحو الربط وخانات السبيل فانهما من معنى الخيرات الجارية الاطلاق في

الدارمي

في الاحكام الواقعية وكما التصنيف في العلوم الشرعية من الاصول والفروع الفقهية
وما يتعلق بها من الالات الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية والمعاني والبيان
والمحسنات البديعية وقال الشافعي ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا
او اثرا فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة
المحمودة وقال الامام ابو شامة شيخ النووي من احسن ما ابتدع في زماننا كل عام في اليوم
في صلوة الرغائب
الموافق ليوم مولده عليه السلام من الصدقات واظهار السرور والزينة فان ذلك
مع ما فيه من الاحسان الى الفقراء يشعر بمحبته سيد الانبياء وتعظيم سند الاصفياء كذا
ذكره ابن حجر ثم قال وصلوة الرغائب اول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان
بدعتان مذمومتان فلا تغتر باستحسانهما وحديثهما موضوع كما بينه المصنف في شرح المهذب
وغيره ممن قبله وبعده انتهى وفيه ان الصلوة خبر موضوع واحياء كل ليلة بالعبادة
مشروع واذا لم يصح حديثهما لم يلزم عدم فضلهما ثم لا يعتقد سنيتهما مع انه جاء
في ليلة شعبان قوموا ليلها وصوموا يومها على ما رواه الترمذي وفي خبر انه
تعالى يغفر ليلتها لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي خبر انه تعالى يطلع ليلتها فيغفر لجميع خلقه الا
لمشرك او مشاحن وقد اخرج البيهقي انه عليه السلام ليلتئذ وقال في هذه الليلة
يكتب كل مولود هالك من بني ادم وفيها يرفع اعمالهم وينزل ارزاقهم ويعين
اجالهم وقد سماها الله سبحانه في القرآن انا انزلناه في ليلة مباركة اي مواسم
الخيرات ومنازل المبرات فصلاة مائة ركعة في كل ركعة قرأ الاخلاص عشر مرات
باي طريق لا يكون من البدع المذمومة مع ما ورد عن ابن مسعود ان ما رآه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن ثم قال ومنه الوقود ليلة عرفة او المشعر الحرام والاجتماع
ليالي الختوم اخر رمضان فيكره ما لم يكن فيه اختلاط الرجال بالنساء فان تضام اجسامهم
فانه حرام انتهى وهو ليس على اطلاقه فان التوقيد المشعر بالتعظيم كتعظيم ليلة المولد
والاجتماع عند ختم القرآن من المستحبات كما هو في التبيان نعم ما يترتب عليه من المفاسد
وتشويش خاطر العابد والساجد والاسراف في المال باعتبار عدم الاحتياج الى الكثرة
السراج لا سيما في الليلة القمراء وامثال هذه الاشياء يكون من الامور المنكرة وقد
اغرب بعض الشافعية وعد منها مداومة الامام في صبح الجمعة قراءة سورتي السجدة وسورة

الاثم وكذا فوائد الاضطجاع بين سنة الفجر وفرضه لكن فيه ملحظ لطيف
وسر شريف لئلا يتوهم الفرضية بالمواظبة السنة بلا قول وكان على الائمة
الحنفية ان يقرؤوا السورتين في بعض الاوقات الرضية ليرتفع الوهم بالكلية
وقد بلغني ان اثنين من اهل ما وراء النهر لما رجعوا الى بلادهم وسئلوا عن غرائب
ما رأوا في سيرهم ومعادهم فقال واحد رأيت الشافعية بمكة يصلون صلوة
الفجر ثلاث ركعات فقال الاخر انما كان ذلك يوم الجمعة لا جميع الاوقات
واما ابن حجر ما رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما في كل جمعة
فمحمول على الاغلبية لا الكلية والا فالمواظبة دليل الوجوب في القواعد الاصولية
واما ادخال ابن حجر صلاة بلال شكر الوضوء في البدعة المستحسنة فمدفوع لان
الصلوة باعتبار اصلها مشروع مع انه صلى الله عليه وسلم قررها فهو من السنة
المقررة والعبادة المحررة ثم اعلم ان الانسان له روح نوراني من عالم الملكوت
ونفس ظلمانية من عالم الملك ولكل منهما نزاع وسوق الى عالمه فغاية الانبياء
تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح حتى يتجلى فيها الوجود
الحقيقي ذات الله وصفاته وافعاله فالواجب على العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد
عرق النفس الجاني ان تؤمن بذلك وتكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله تعالى
هذا هو الدين القويم والطريق المستقيم فمن احدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بان
ايس عن الله وتعلق قلبه بما سواه ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله واثاره ولم
ينطمس ظلمات ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مريدا بل يتبع الا شيطانا مريدا
الحديث السادس عن ابي عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير بفتح الموحدة
صحابيان انصاريان رضي الله عنهما ولد على راس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح
وحنكه عليه السلام بتمرة وهو اول مولود ولد في الانصار بعد قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين
روي له مائة واربعة عشر حديثا قتل بقرية من قرى حمص سنة اربع وستين ولم
يتفرد بروايته هذا الحديث بل رواه ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وفي رواية انه اهوى الى اذنيه باصبعيه وفيها

وفيها تاكيد للتصريح بسماعه من النبي عليه السلام وهذا هو الصحيح ولا التفات الى
اختلاف فيه قال المصنف والمراد به ما نقله الشيخ صلاح الدين بن العلائي عن يحيى بن معين
ان اهل المدينة يقولون لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم واهل العراق يصححون سماعه منه
وليس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا في الحديث الحلال بين
والباقي يقول عن ان الحلال بين اي واضح غير خفي حله نظرا الى ما نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون على تحليله ومنه ما لم يعلم فيه منع على اظهر القولين كما بين في محله وان
الحرام بين في اكثر النسخ المصححة باعادة ان لتاكيد القضية وهو ما دل دليل ظاهر على تحريمه
من كتاب او سنة او اجماع امة ثم التحريم اما لمفسدة جلية او مضرة خفية كالربوا
ومذبوح المجوس واما لمفسدة واضحة او مضرة لائحة كالسم والخمر وكذا سائر المسكرات
والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب كما افتى به ابن حجر
ونقل فيه نص ارباب المذاهب الثلاثة من الشافعية والمالكية والحنابلة قال وهو مقتضى الافيون
كلام الحنفية يعني ان وصل الى حد السكر واما الافيون فصرح علماؤنا بانه يحرم اكله واذا
اعتاده يجب عليه استعماله وبينهما مشتبهات اي امور مشتبهة لوقوعها بين اصلين
متغايرين او وجودها بين دليلين متعارضين بحيث يعسر ترجيح احد الطرفين فيقع الاشتباه
في الحكمين اذ لكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز ان تعد من الحلال المبين ولكونها ذات جهة
من الحرام لم يجز ان تعد من الحرام المبين لا يعلمهن اي لا يعرف حكمهن كثير من الناس وقد جاء
واضحا في رواية الترمذي ولفظه لا يدري كثير من الناس امن الحلال ام من الحرام بعض
لتعارض الامارتين وتناقض العلامتين واما العارفون المحققون والعلماء المجتهدون
وقليل منهم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن نص او اجماع
الا انه اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما بدليل شرعي ظهر له فاذا فقد فالورع تركه كما يدل
عليه الحديث فيما بعده قال المصنف وللعلماء فيه ثلثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف
فالاول دليله قوله عليه السلام كالراعي يرعى حول الحمى فيدل على ان ذلك حلال والثاني
دليله قوله عليه السلام استبرأ لدينه وعرضه والثالث دليله التعارض او قوله عليه السلام
الحلال بين والحرام بين فالمشتبه ليس منهما قلت فينبغي ان يقال مكروه ثم رأيت الخطابي
صوب الكراهة وفسر الامام احمد واسحق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل

او شربه كالنبيذ او لبسه كجلود السباع او كسبه كبيع العينة وفسره احمد مرة باختلاط
الحلال والحرام قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا لا يخفى حكمها على اهل الدين
نعم منها اذا اشترى شيئا في الذمة وقضى ثمنه من مال حرام ومنها معاملة من في ماله
حرام ولذا قيل هذا زمان المشتبهات والورع عن المحرمات والاظهر ما اعتمده الغزالي
من ان من كان اكثر ماله حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق الكلام وتفصيل الاحكام
للارشاد الى التحرز من الحرام وذلك لا يحصل الا بالاتقاء عن المشتبه لتمام النظام قال فمن اتقى
الشبهات فيه وضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشانها فقد برئ اي فمن اجتنبها في المعاملات
واحترز عنها في الاستعمالات استبرأ اي طلب البراءة لدينه من الذم الشرعي وعرضه من الطعن
المتوقف لاتهامهم اياه بمواقعة المحذورات اذا لم يتق الشبهات قال المصنف صان دينه
وحمى عرضه عن وقوع الناس فيه واما قول ابن حجر فقد استبرأ بالهمز وقد تخفف ففيه انه
لفظ فقط غير موجود في الاصول وتخفيف الهمز المتحرك غير صحيح الا حال الوقف عند بعضهم
وحمل الشارح المظهر العرض على النفس حيث قال طهر دينه وبدنه من العقوبة فجعل
العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه او سلفه ولما كان موضعه
النفس حمل عليها اطلاقا للمحل على الحال والحاصل ان ما اشتبه امره في الحل والحرمة
ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام وانه لو وجد في بيته مالا يدري انه له ام لغيره
فالورع تركه كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته وقال اخشى ان يكون
من الصدقة ولا يحرم لانه في يده والاصل انه لا يكون من الصدقة كما ان الاصل في الثوب
الطهارة وكذا ترك المعاملة مع من في ماله شبهة ربوا ونحوه اولى ما لم يتيقن حرمته
فانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي بشعير اخذه لقوت اهله او ضيفه مع علمه
انه يربوا ويثمن الخمور كذا ذكره شارح ففعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز او لعلمه ان شعيره
ليس فيه شبهة لما كان هناك من قرينة او لم يكن موجودا الا عنده فكان ضرورة
وفي عطف العرض على الدين اشعار الى ان طلب براءته مطلوب للمتقين ومن ثمه ورد
ما وقى به العرض فهو صدقة وجاء في الاثر من وقف موقف التهمة وفي رواية من عرض نفسه
للتهمة فلا يلومن من اساء الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجلين رأياه مع امرأة على رسلكما
انها صفية خوفا عليهما ان يظنا به شيئا فيهلكا فقالا يا رسول الله من كنا نتهمه فلا نتهمك فقال

فالورع

فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا
وروي ان انسا خرج لصلوة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه
وقال من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله قيل ورفعه الطبراني فلو امره احد ابويه
باخذ شبهة او اكلها فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعه وتوقف آخرون
ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام اي يسهل على نفسه واكثر تعاطي الشبهات افضاه
الحال متدرجا الى ارتكاب المحرمات المقطوع بحرمتها وان لم يعلم ما هنالك اذ قد يأثم
ثم اضطر في التحري بذلك او المعنى انه يعتاد المساهلة في المعاملة ويجسر على شبهة ثم
شبهة اغلظ منها ثم اخرى الى ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخرى او المعنى وقع
في الجملة في ارتكاب المحرمات لان الذي ارتكبها من المشتبهات ربما كان حراما فيقع فيه
بخلاف المحتاط فانه اذا امتنع من الشبهات فبالاولى انه لا يرتكب المحرمات ولذا
جاء في خبر الترمذي لا يكون احد من المتقين حتى يترك ما لا باس به مخافة ما به باس
وقال الحسن ادركنا قوما كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في باب من
الحرام ومن ثم قيل الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة الى الكفر وقال بعض السلف المعاصي
بريد الكفر وقيل انه حديث ويؤيده قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فاذا تاب
صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه وكلما زاد
زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران وفي رواية ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ
الحديد قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة القرآن وحاصله ان من اكثر
من مواقعة الشبهات اظلم قلبه لفقدان نور الورع فيقع في الحرام ولا يشعر بالحرام وحاصله
ان ما قارب الشيء خالطه غالبا ومنه قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها نهى عن
المقاربة حذرا من المواقعة والميسر من الخمر ليس محذورا في نفسه وانما حرم لئلا يتدرج
منه الى الكثير المحذور وكذا الخلوة بالاجنبية لا محذور فيه الا لكونه داعية بالتدريج الى الوطئ
المحرم وكذا قبلة الصائم اذا حركت شهوته انما يكره لئلا يتدرج الى الوطئ المفسد للصوم
ومنه قوله عليه السلام لعن الله السارق يسرق البيضة فيقطع يده اي يتدرج من سرقة
ما لا قطع فيه الى سرقة ما يقطع به هذا وفي رواية الصحيحين ومن اجترأ على ما شك فيه من الاثم اوشك

لفقدانه

ان يقع فيها استبانه اي الحرام الذي ظهر ونبه وفي رواية لغيرهما ومن يخالط الريبة
يوشك ان يجسر على الحرام المحض وفي حديث مرسل من يرعى بجانب الحرام يوشك ان يخالطه
ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكبائر ومحصل الامر ان الحرام البين ابتلاء للعامة
والشبهة اجتنابها للخاصة كالراعي اي حاله كحال الراعي للابل ونحوها يرعى اي ذواته
حال او صفة لان الراعي في المعنى كالنكرة حول الحمى بكسر الحاء ما يحمى من الارض لاجل
الدواب ويمنع دخول الغير وهذا غير جائز الا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله
ولرسوله وقد حمى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة عن ان يقطع شجرها او يصاد صيده وفي معناه
الخليفة اذا حمى لاجل الصدقة كما وقع من عمر رضي الله عنه يوشك قال المصنف هو بضم
الياء وكسر الشين اي يسرع ويقرب ان يرتع بفتح الياء والتاء اي الراعي عن ماشيته فيه
اي في الحمى لعدم الاحتماء بناء على تساهله في المحافظة وجرأته على الرعي والمخالفة فيستحق
العتاب او العقاب وهذا ضرب مثل وفائدته تجلية المعاني المعقولة بصور المحسوسات
لزيادة كشف المعقولة وله شان عجيب في ابراز الحقائق ورفع الاستار عن وجوه الدقائق
ثم نبه بكلمة الا على امور خطيرة في الشرع في ثلثة مواضع من هذا الحديث ارشادا الى
ان كل امر دخله حرف التنبيه لجلالة شانه التنبيه يستحق ان يتنبه المخاطب له ويستانف
الكلام لاجله فقال الا وهي مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فتفيد التنبيه على تحقق
ما بعدها ولافادة التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما تلقى به القسم كقوله
تعالى الا ان اولياء الله وان لكل ملك اي من ملوك العرب حمى يمنع الناس عنه
ويعاقبون عليه كما في الجاهلية فقيل هو عطف على الا بناء على انه يفهم من لفظة
الا انبه ومن قوله ان لكل ملك احقق فبهذا التاويل صح العطف اذ عطف المفرد
على الجملة لا يصح الا باعتبار ان يتضمن المفرد معنى الفعل كما في قوله تعالى فالق الاصباح
وجعل الليل سكنا على قراءة الكوفيين والاولى ان يقال هنا انها واو الابتداء التي
سمتها النحاة واو الاستيناف الدالة على انقطاع ما بعدها عما قبلها في الحكم كما ذكره
صاحب المغني او هي عطف على الكلام السابق ولفظ الا متوسطة اي ان الحلال بين
كذا وكذا وان لكل ملك حمى او على مقدر يناسب المقام كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى
اوكلما عاهدوا ثم لما كان التورع والتهتك مما يتبع ميلان القلب الى الصلاح والفساد نبه على

على ذلك بقوله الا وان حمى الله محارمه اي المعاصي كما في بعض الروايات ويطلق
المحارم على المنهيات وعلى ترك المامورات قال المصنف معناه الذي حماه الله ومنع
دخوله هو الاشياء التي حرمها انتهى الحديث ويشير اليه قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها
الا وان في الجسد مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ وهي كما قيل صغيرة في الجرم كبيرة في الخطر اذا
صلحت بفتح اللام وضمها والفتح افصح صلح الجسد كله اي اعضاء البدن جميعها من العين
والاذن واللسان وسائر الاركان واذا فسدت بفتح السين وضمها والاول
هو الرواية على ما صرح به الكازروني فسد الجسد كله لما روي انه عليه السلام رأى رجلا
يعبث بلحيته او يلعب بثوبه في صلاته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه الا وهي
اي تلك المضغة الموصوفة القلب سمي به لتقلبه في امره وانقلابه بعقباه وتردده
وفي الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح وقد قال الشاعر قد سمي القلب
قلبا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل والمعنى ان صلاح الجسد تابع لصلاح
القلب وفساده تابع لفساده لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسية
فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة وان صدرت عنه ارادة فاسدة
تحرك الجسد حركة فاسدة فاهم الامور مراعاة القلب في انقياد الرب فمن صلح قلبه
بالايمان والمعرفة والعلم ونية الخير والاخلاص صلح الجسد كله بالاعمال المرضية والاحوال
البهية واذا فسد القلب بالجحود والشك والكفران فسد الجسد بارتكاب الفجور والعصيان
فعلى المكلف ان يقبل عليها في جميع الحالات ويمنعها عن الانهماك في الشهوات حتى
لا يبادر الى الشبهات ولا يستعمل جوارحه باقتراف المحرمات ثم اعلم ان الجمهور ذهبوا
الى ان العقل في القلب ويؤيده قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها وقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلعدم انفكاكه
عنه كانه عينه ونسب الى ابي حنيفة ان محله الدماغ وهو مذهب الحكماء بدليل انه
اذا فسد ولا يبعد ان يكون له تعلق ما بالدماغ في حال من احواله فيختل باختلاله
والحاصل انه كالملك في القصبة والاعضاء كالجند او كالرعية وفيه من الاشارة انه حمى
الله سبحانه فلا ينبغي ان يتعرض لما يقتضي من نقصان شانه وشينه بالقبيح والبدن
كمزرعة فان عذب ماؤه عذب زرعها وان ملح ملح وهو كالعين والاعضاء كالانهار وكهو

في محل العقل

كالارض والاعمال كالنبات كما يشير اليه قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا ثم ان الانسان يتميز عن الحيوان بالقلب الذي هو محل العقل
الكامل فيميز بين مصالح الامور ومنافعها وبين مفاسدها ومضارها ويطلع به على
الكليات والجزئيات ويفرق به بين الواجبات والجائزات والمستحيلات واذا عرفت
ان هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الكلية بل من حيث هو محل للملك الخاصية
الالهية علمت انه اشرف الاعضاء واغر الاجزاء وان غيره مسخرة له ومطيعة فيما استقر
فيه ان خيرا فخير وان شرا فشر فعند ذلك انكشف معنى قوله اذا صلحت الى اخرها وهنالك
وقيل الحواس مع القلب بمنزلة بيت الملك له خمس طاقات بث هو منها كل عليها فالاشياء
من الاحوال ثم مما يصلحه تدبر القران وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة
الصالحين واسه الاعظم اجتناب المحرمات واحتراز الشبهات فان اكل الحلال ينوره ويصلحه
واكل الشبهة والحرام يصديه ويقسيه ويظلمه وكذا قال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا قال التوالي الطعام بذر الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما
وان دخل شبهة خرج شبهة انتهى وقيل انه يخاف على اكل الحرام ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعا
لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ولما شرب ابو بكر رضي الله عنه جرعة من لبن استقاها فاجهده ذلك
حتى تقيأها فقيل له اكل ذلك في شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به وقد قال يوسف بن اسباط
اذا تعبد احد قال الشيطان انظروا من اين مطعمه فان كان مطعمه سوءا قال دعوه لا تشتغلوا به
دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم شره وقد سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الاول فقال
انظر كسرتك التي تأكلها من اين تأكلها وقم في الصف الاخير وهذه مصيبة عظمى وبلية
كبرى في زماننا هذا اذ المكاسب فسدت والمحارم كثرت مع ضرورة المخالطة والحاجة
الملجئة الى المعاملة وعلى هذا فالخلاص بعيد والامر شديد وقد بلغني عن شيخ مشايخ العالم
الرباني مولانا اسمعيل الشرواني انه قال من يوم دخلت الصرة والوظيفة في الحرمين
الشريفين ذهبت الولاية وسبب ذلك انهم كانوا قبل ذلك يتعيشون بالمكاسب الشرعية
من التجارة والزراعة او المواهب الغيبية والفتوحات المكية من حيث لا يحتسبون ثم
ابتلوا في هذه الازمنة باكل مال الحرام كعشور جدة او الشبهة كالصرة فصار اماتهم و

واذانهم وقراءتهم ونحو ذلك كلها معلولة وبعيد كونها خالصة مقبولة وبحكم البلية اذا
عمت طابت لم يبق في قلوب اهلها تحاش من تناولها بل عرض لهم مرض الاستسقاء حيث لا
الاكتفى لهم بشرب الماء ولا يقنعون بمقدار الضرورة حتى يكون لهم في الجملة نوع من المعذرة
فان الضرورات تبيح المحظورات بل يتعدون عن حد الفقراء ويصلون الى مرتبة الاغنياء ثم
يزاحمون المساكين على حقوقهم من سكنى الخلوة ووظيفة الخدمة ولا يفرقون بين الحل والحرمة
فنسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة عند العاقبة قال بعض العارفين القلب هدف
سهام القهر واللطف ومظهر الجمال والجلال ومنشأ البسط والقبض ومبدأ المحو والصحو
ومنبع الاخلاق المرضية والاحوال الردية فاذا وقعت هذه المضغة في بحار المنكرات
مالت من تأثير القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة السيئات
واذا وقعت في بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق الى المشاهدة فاستنارت الصورة
بنورها فتنورت العقل والحس والروح والصورة فيتولد من حسن جوارها خشوع
في هيئة وصلاح الجوارح في خدمته ثم له ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة
في تجويف الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا نسب اليه الصلاح والفساد
في الامور الدنيوية والاخروية وله باطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العاكسة التي
هي مهبط الانوار الالهية الصمدانية وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لا
الاوامر واجتناب الزواجر وهي خلاصة تولدت من الروح الروحاني ويعبر عنها
بالنفس الناطقة قال تعالى ونفس وما سواها وبالروح قال عز وجل قل الروح من امر ربي
وهو مقر الايمان كما في القران اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام
كما قال عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد مقر المشاهدة لقوله سبحانه وتعالى
ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد لقوله انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين
خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي لكن معرفته كما هي متعذرة
والاشارة الى حقيقتها على ارباب الحقائق واصحاب الدقائق متعسرة رواه البخاري
ومسلم وكذا الاربعة على ما في الجامع الصغير ولفظه الحلال بين والحرام بين وبينهما امور
مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشتبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن
وقع في المشتبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى الا وان لكل ملك حمى الا ان حمى الله

في ارضه محارمه الحديث وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عمر مرفوعا ولفظه الحلال بين
والحرام بين فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وروى الترمذي وابن ماجة والحاكم في
مستدركه عن سلمان مرفوعا ولفظه الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه
وما سكت عنه فهو مما عفى عنه **الحديث السابع** عن ابي رقية بضم الراء
وفتح القاف وتشديد الياء التحتية قاله المصنف ابنته لم يولد له غيرها تميم بن اوس
الداري نسبة الى جد له اسمه الدار وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال فيه ايضا
الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه ابوه وقد بسطت القول في ايضاحه في اوائل
شرح مسلم قاله المصنف رضي الله عنه كان نصرانيا وقدم المدينة فاسلم وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم
قصة الجساسة والدجال انه وجده هو واصحابه في البحر فحدث النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه اذ لم يقع نظيره لغيره في روايته فيكون من
رواية الاكابر عن الاصاغر قال ابن السبكي اسلم سنة تسع هو واخوه نعيم ولهما
صحبة وقال ابو نعيم كان راهب اهل عصره وعابد اهل دهره في فلسطين وهو اول
من اسرج السراج في المسجد واول من قص في زمن عمر باذنه انتقل الى بيت المقدس
بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان عليه السلام اقطعه بها قرية وكان كثير التهجد
يختم القرآن في ركعة قام ليلة بقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية
حتى اصبح مات سنة اربعين ودفن ببيت جبرين وهو بيت جبرين من بلاد فلسطين وهو
قرية من قرى الخليل روى له ثمانية عشر حديثا لمسلم منها واحد وهو هذا الحديث
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدين اي دين الاسلام يعني مداره وقوامه
ومعظم مرامه النصيحة مأخوذ من النصح ضد الغش من نصحت العسل اذا صفيته
وهي كلمة جامعة تعبير بها ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر هذا المعنى بكلمة
واحدة تجمع معناها غيرها كما قالوا في الفلاح ليس كلمة اجمع لخير الدنيا والآخرة منه
وزيد في المشكوة ثلاثا ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية استفصلت لرفع
الحالة الابهامية قلنا معشر السامعين من الصحابة والظاهر ان السؤال وقع من
بعض ارباب الحال الكمل لما كان يرضي بقية ارباب الكمال نسب اليهم الفعل لمن اي
النصيحة لمن والنكتة في الابهام اولا ثم التبيين ثانيا كون القضية اوقع في النفس حا

ما اذا هجمه من اولة وهلة وفي حال غفلة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لله اي بالايمان
بوجوب وجوده وآثار كرمه وجوده وبصفاته الثبوتية والسلبية والاضافية وبافعاله
المحمودة المرضية بان يعلم ان كل ما سواه فانما حدث بقدرته القوية ومشيته الجلية وحكمته
الخفية وباحكامه بان يعلم انها غير معللة وان المراد من شرعها منافع عائدة الى العباد
ولا يجب عليه شيء وان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله ثم باخلاص الطاعة واجتناب
المعصية وهذه الاوصاف راجعة الى العبد في نصيحة نفسه فان الله غني عن العالمين وعن نصح
الناصحين وحكي ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله من الناصح لله قال الذي
يقدم حق الله على حق الناس هذا والمفهوم من شرح لابن حجر زيادة عز وجل هنا في المتن
وهو غير موجود في الاصول ولكتابه بان يعتقد انه كلامه ويعتبر بمواعظه ويتدبر في عجائبه
وغرائبه ويعمل بمحكمه ويسلم في متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين
وطعن الطاعنين وينشر علومه ويبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه
ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ويحفظ مبانيه ويراعي معانيه ويعمل بما فيه والمراد بالكتاب
القرآن لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية او الجنس
المضاف يفيد العموم كما قرر في الاصول ولرسوله بالايمان به وبجميع ما جاء به والانقياد
لاوامره والانتهاء لزواجره ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ونصرة ملته
ونشر دعوته واحياء سنته ومحبة اهل بيته وصحابته والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
او الجنس ليشمل الانبياء والملك ايضا لانهم رسل الى الانبياء كما قال تعالى جاعل الملائكة
رسلا ولائمة المسلمين بان ينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم والامام من له خلافة الرسول
في اقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابي ومن النصيحة لهم الصلوة
خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم انتهى وتنبيههم بالاخير ما اذا كانوا عدولا
في حكمهم والا فلا خفاء عنهم وحرمانها عن المستحقين اولى اذا لم يخش ضررا منهم وفي بعضها
العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام واحسان الظن بهم فيما استنبطوه من فروع
الاسلام وعامتهم بارشادهم الى مصالحهم ومنافعهم والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ودفع الضرر عنهم وجلب الخير اليهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم
وشفقة صغيرهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر

وقد قال بعض السلف من وعظه اخاه سرا فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الناس فهي فضيحة
هذا ولم يقل ولعامتهم للاشعار بان عامة الامة اتباع للائمة رواه مسلم منفردا به عن تميم
وليس له في صحيحه عنه سواه واخرجه البخاري في صحيحه تعليقا وفي بعض النسخ رواه البخاري ومسلم
وهكذا في الاذكار والمشكوة ورياض الصالحين لكن فيه مساهلة ومسامحة لان العبارة
تقتضي ان يكون البخاري في صحيحه روى هذا الحديث متصلا مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق تميم الداري وليس كذلك بل انما اورده في ترجمة باب بدون ذكر تميم الداري
كذا وجد نعم تقدم انه روى صدر هذا الحديث في تاريخه عن ثوبان فالصواب الاكتفاء بقوله
رواه مسلم والله اعلم **الحديث الثامن** عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت اي امرني ربي وفائدة العدول عن التبيين عدم التعيين والتعويل على شهادة
العقل اذ ليس يامره غيره عز وجل ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم اذ تعديته الى المفعول
بغير حرف الجر كامرتك الخير لكن ما امرت به والمراد بالناس عبدة الاوثان دون
اهل الكتاب كما ذهب اليه اكثر شراح الحديث لان غاية مقاتلتهم ليس ما ذكر فقط بل
اما ذاك او اعطاء الجزية والمراد بهم الاعم لكن خص منه اهل الكتاب بالاية ذكره الطيبي قيل وهو
الاولى لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينة مع كل من خالف الاسلام قال ابن الصباغ في الشامل
لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فرض عليه التوحيد والتبليغ واول ما نزل اقرأ باسم ربك
الذي خلق ثم فرض الصلوة بمكة وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج بالسنة السادسة
او التاسعة واما الزكوة فقيل بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يؤذن له بمكة واذن له
بالمدينة لمن ابتداء به ثم ابتداءهم به دون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك وابيح ابتداؤهم
في الاشهر الحرم والحرم واما قول الخطابي ان المراد بالناس عبدة الاوثان لان اهل الكتاب
يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف حتى يقروا بالشهادتين فمحمول على رواية
ابي هريرة من اقتصارها على لا اله الا الله لا على رواية ابن عمر حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
مع انه التحقيق ان المراد بلا اله الا الله كلمتا الشهادة وان الاقتصار عليها من باب الاكتفاء
او صار هذه الكلمة علما للجملة ولذا ورد في كثير من الاحاديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة
ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واما قول ابن حجر ان تخصيص جمع من الشراح الناس
بما قاله الخطابي وهم فانما هو وهم منه لعدم فهم كلامهم وغفلته عن مرادهم على ما قررنا بيانه وحررنا برهانه

هذا وفي رواية حتى يقولوا وهي صريحة في عدم اشتراط لفظ الشهادة وفي الرد على من يقول
بعدم صحة التقليد في باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب التأييد قال النووي
وهو مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف واشتراط تعلم ادلة المتكلمين
ومعرفة الله بها وان لم يكن من اهل القبلة خطأ ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق
الجازم وقد حصل ولانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة
بالدليل وقد تظاهرت هذه الاحاديث في الصحيح يحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي
انتهى ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة خصهما بالذكر من بين اركان الاسلام اهتماما
بشأنهما لانهما اما العبادات البدنية والمالية واساسهما والعنوان على غيرهما ولذا
سمي الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام وقد قرن بينهما في القران امرهما والمعنى المقاتلة
حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا الاحكام والاتيان بالشهادتين لا يجوز
معهم حيث اتوا بنظام الكلام ولا يتوقف اجراء احكام الاسلام على اداء الصلوة وايتاء
الزكوة باجماع العلماء الاعلام واغرب ابن حجر في هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل تارك
الصلوة واجماع عليه اكثر العلماء لانه عين الامر بالقتال ولا يخفى ما فيه من ترتيب الكلام
اذ القائل بقتل تاركها لا يخرجه عن كونه مسلما بل يقتله حدا كقتل القاتل قصاصا وهو مناف
لان يكون غاية للمقاتلة مع ان المقاتلة مع الكفار والقتل مع الفجار على ان ان ثبت فيه لم يقولوا
بقتل تارك الزكوة وقد وقع الاجماع على قتال مانعيها بطريق الامتناع كما وقع في زمن
الصديق والفاروق ومن تبعهما من اهل التحقيق ولم ينقل من السلف والخلف انهم قتلوا
احدا بترك صلوة او زكوة بل ولم يشترط احد لمريد الاسلام التزام صلوة ولا زكوة بل
روي عن الامام احمد انه قبل اسلام من اشترط ان لا زكوة ولا جهاد ومن اشترط
ان لا يصلي الا صلاتين ومن اشترط ان يسجد من غير ركوع وهذا مبني على ان الاسلام يصح
على الشرط الفاسد ثم يؤمر بالشرائع كلها وهذا هو المناسب لمقام التدريج في احكام
الاسلام وقد جاء في حديث ضعيف على ما قيل انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقبل من
اجابه الى الاسلام الا باقام الصلوة وايتاء الزكوة وهذا الايتاء في قتال اهل الردة وانما قاتلهم
اداء الزكوة بعد انقياد احكام الاسلام وحديث ابي هريرة في صحيح مسلم كالتصريح لما ذهبنا
اليه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم خيبر حين اعطى الراية لعلي فقال علي علام اقاتلهم قال

على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا منك
دماءهم واموالهم الا بحقها فجعل مجرد الاجابة اليهما عاصمة للنفوس والاموال الا بحقها
ومنه حديث معاذ لما بعثه الى اليمن امره ان يدعوهم اولا الى الشهادتين وانهم ان اطاعوه
بهما اعلم بالصلوة ثم بالزكوة نعم فقاتل قوما او اهل قرية اتفقوا على ترك الصلوة وكذا
في ادنى شعائر الاسلام كالاذان على ما صرح به علماؤنا الاعلام الا انه لا يجوز قتل كل فرد
منهم بعلة ترك الصلوة والاذان اجماعا الا ما قال الامام احمد من ان تارك الصلوة متعمدا
كافر يقتل بعد بصير كافرا وحديث تركها والجمهور اولوا الحديث بان المراد بقوله من ترك صلوة
متعمدا فقد كفر اي النعمة او قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او محمول على المستحل فاذا
فعلوا ذلك اي ما ذكر من الشهادتين والاقامة والايتاء واطلاق الفعل على المشار اليه
مع ان بعضه قول اما باعتبار انه عمل اللسان المعبر عن عمل الجنان او على سبيل تغليب الاثنين
على الواحد عصموا بفتح الصاد اي حفظوا مني اي من تعرضي دماءهم واموالهم فان قيل
جعل غاية المقاتلة وجود ما ذكر فمقتضى الحديث ان من شهد واقام واتى يترك القتال معه
وان جحد سائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ليس كذلك اجيب بان الشهادة بالرسالة
يتضمن التصديق بجميع ما جاء به مع ان قوله الا بحق الاسلام يدخل فيه جميع ذلك وانما
خصها بالذكر لما قدمناه هنالك والمراد بحق الاسلام القتل بالقصاص والزنا والقطع
بالسرقة وغرامة ما اتلف من مال اخيه المسلم ونحو ذلك فانها حدود واجبة الاحكام بحق
الاسلام والمسلم التزمها باسلامه فيقام عليه بمقتضى التزامه والمعنى فاذا فعلوا ذلك
لا يتعرض لهم بسبب من الاسباب يحدث هنالك الا بحق الاسلام وحسابهم اي محاسبة
بواطنهم على الله تعالى اي انا احكم فيهم بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى الله عز وجل
باطنا فرب عاص يصادف عند الله عز وجل خيرا في الباطن ورب بالعكس لحديث نحن نحكم
بالظواهر والله اعلم بالسرائر وبخبر ما امرت ان اشق على قلوب الناس ولا بطونهم وقال
لاسامة فهلا شققت عن قلبه وفيه دليل على ان من اظهر الاسلام وابطن الكفر قبل اسلامه
وهو ما ذهب اليه الجمهور وقال مالك واحمد لا تقبل توبة الزنديق وكذا قال بعض علمائنا رواه
البخاري ومسلم اي ما عدا قوله الا بحق الاسلام ولما كان الاعتبار لاكثر الكلام صح اسناده
الى مسلم في هذا المقام فاندفع قول ابن حجر وتعجب من المصنف مع شدة تحقيقه وحفظه كيف ادعى ان

اتفق كلام الشيخين خرجاه انتهى ويؤيد ما قلنا ان السيوطي ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير
وقال رواه الشيخان والاربعة عن ابي هريرة مرفوعا ولفظه امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله وذكره في الكبير ايضا وقال رواه ابن جرير والطبراني في الاوسط
عن انس ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها قيل وما حقها قال زنا بعد احصان او كفر بعد اسلام
او قتل نفس فيقتل بها وفي حصر الثلاثة في معرض البيان دلالة على ان تارك الصلوة لا يقتل
فتامل ولا يترك قول ابن حجر ان سياق الحديث وان كان في الكافر لكن المسلم اولى منه
بذلك لانه تركها مع اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر الاصلي فانه ممنوع ومدفوع بان المسلم
معصوم الدم الا ان ترك احدى الثلاثة المذكورة على ما ورد بصيغة الحصر في حديث
صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الحديث كما سبق في اصل الكتاب
وجاء في رواية للشيخين عن ابي هريرة امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي
رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه واخرجه مسلم عن جابر بهذا
اللفظ وزاد ثم قرأ انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر واخرجه مسلم عن انس ولفظه
امرت ان اقاتل المشركين حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا
قبلتنا وان ياكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلوتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم
واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واخرج الذهبي عن يونس بن بكير عن
قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكوة
ومنهم من منع الزكوة ولم يكفر كما صرح به غيره فنهض ابو بكر لقتالهم فاشار اليه عمر وغيره
ان يفتر عن قتال مانعي الزكوة فقال والله لو منعوني عقالا او عناقا كانوا يؤدونه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعها فقال عمر كيف يقاتل الناس وقد قالوا
لا اله الا الله وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن من فرق بين الصلوة
والزكوة فان الزكوة حق المال وقد قال الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا رايت الله شرح صدر ابي بكر

للقتال فعرفت انه الحق انتهى وبهذا يندفع قول ابن حجر ومن العجب ان حديث ابن عمر هذا
الذي ساقه المصنف في قتال مانعي الزكوة ولم يبلغه ابابكر وعمر رضي الله عنهما مع شدة ملازمتهما
واختلاف ايديهما فاستدل ابو بكر بالحديث الثاني وعمر بانه اقتصر على قول لا اله الا الله
انتهى ولا يخفى ان عمر وغيره رضي الله عنهم ذهبوا الى ان اكثر الاحاديث فيه الاكتفاء بالشهادتين
في الغاية فلا يجوز قتال مانعي الزكوة كما لا يجوز تارك الصلوة واختار ابو بكر انه يجوز قتال
قوم تركوا من شعائر الاسلام شيئا من ترك صلوة وزكوة وجمعة وجماعة واذان
ونحوها من حقها ورجعوا الى قوله رضي الله عنه فيكون اجماعا واما قتل احد بترك صلوة او
زكوة او جمعة ونحوها مع اقراره بالفرضية فلا يعرف له سند مرضي في الفقهية وحاصل جميع
الاحاديث انه امران يقاتل الكفرة حتى يقروا بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا للاحكام
الملية ثم اعلم ان في هذا الحديث اشارة الى نور التوحيد وظهور التفريد وهو ممنوح
فنا ءاثار الخلق بتشعشع انوار بقاء الحق وله مراتب منها التوحيد النظري ان علم
بالاستدلال او التقليدي ان علم بمجرد تصديق المخبر الصادق في مقام الكمال وسلم القلب
في توحيد الرب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد بوصف الالوهية
متوحد باستحقاق العبودية كما اشار اليه في الحديث انه به يحقن الدماء والاموال ويتخلص
من الشرك الجلي في الاحوال ومنها التوحيد العلمي وهو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة
صفاته وخلاصه من سجن ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاغيار حيران في فضاء
انوار عظمة الجبار وهائما تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف انه الموجد الحق والمؤثر
المطلق هو الله الواحد القهار وان كل ذات فرع من نور ذاته وكل نعت من علم وقدرة
وارادة وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من اثار افعاله واسرار مصنوعاته
ومشاهدة ونور المراقبة ومنها التوحيد الحالي وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما
لذات الموحد بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا في غلبة اشراق نور التوحيد
واستتار حاله في نور علم التفريد كما قال بعض اهل التأييد فلما استنار الصبح ادرج ضوءه
باسفاره اضواء نور الكواكب واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث
لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك
هنالك قال الجنيد التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل ومنها

ومنها التوحيد الالهي وهو ان الله تعالى كان في الازل موصوفا بالوحدانية في الذات
وبالاحدية في الصفات كان ولم يكن معه شيء والان كما كان كل شيء هالك الا وجهه
ولم يقل يهلك لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا وفي هذا المعنى انشد العارف الانصاري
لنفسه شعرا شريف المبنى ظريف المعنى ما وحد الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية ابطلها الواحد توحيده اياه توحيده ونعت من ينعته لاحد
ثم اعلم ان كل جمع ليس بعده تفرقة فهو الحاد وزندقة فنرجع عن هذا التدقيق ونقول
في مقام التوفيق ان التحقيق هو ان في كلمة الشهادة اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك
الجلي والخفي وسائر نقوش الكونية ثم تحليته بالمعارف والحكم الالهية والاعتقادات
الحقية واحوال المعاد وغيرها من الامور الاخروية لان من اثبت ذات الله بجميع اسمائه
وصفاته التي دل عليها اسم الجلالة ونفى غيره وصدق رسالة البشير بنعت الصدق والا
فقد وفى بعهده عهده وبذل نهاية جهده في بداية جهده وامن بجميع ما وجب من الكتب
والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض في الحديث لاعداد سائر الاعداد ثم اقامة الصلوة
ارشاد الى ترك الراحات البدنية واتعاب الالات الجسدية وهي ام العبادات التي اذا
وجدت لم يتأخر عنها البقية ولذا استغنى عن عدد ما عداها وعن ترك السيئات بعدها
فان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم ايتاء الزكوة هو الاعراض عن الفضول المالية بل عن كل
الموجودات الوهمية وبذل المال الذي هو شقيق الروح لاستفتاح ابواب الفتوح ورفع
المانع عن الاشتغال بمقامات ارباب الكمال ولعدم الانس بالفاني عن الباقي من مطالعة
الجمال ومشاهدة الجلال والله سبحانه اعلم بحقيقة الاحوال **الحديث التاسع** عن ابي هريرة
قيل بالتنوين وصوبه جماعة لانها جزء علم واختار اخرون منع صرفه كما هو الشائع على
الالسنة العلماء من المحدثين وغيرهم لان الكل صار كالكلمة الواحدة واعترض عليه بانه
يلزم عليه رعاية الاصل والحال معا في كلمة بلا زم لفظ هريرة اذا وقعت فاعلا
فانها تجر باعراب المضاف اليه نظرا للحال ونظيره ضعف في جنس المؤلف قال ابن حجر ويجاب
بان الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لا من جهتين كما هنا وكان الحامل عليه الخفة واشتهار
هذه الكنية حتى نسي الاسم الاصلي بحيث اختلفوا فيه اختلافا كثيرا انتهى ولا يخفى ان هذا
مما لا يليق بالفاضل ولا يشفي الغليل فالمعتمد ما قدمناه في الخطبة ان هريرة صارت علما

اختلف في اسم ابي هريرة على خمسة وثلاثين قولا

كان يطلع عليها وهي كبيرة وسبب تلقيبه بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه انه قال كنت
احمل يوما هرة في كمي فرآني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة
فقال يا ابا هريرة واختلف في اسمه على خمسة وثلثين قولا اصحها ما ذكر المصنف بقوله
عبد الرحمن وقد روى ابن اسحق عنه انه ابدل به في الاسلام عن عبد شمس اسمه في
الجاهلية ابن صخر رضي الله عنه اسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم
الملازمة التامة رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه في باب القناعة وغيرهم ثم كان من احفظ
الصحابة قال البخاري روى عنه اكثر من ثمان مائة ما بين صحابي وتابعي توفي سنة سبع
وخمسين بالمدينة ودفن بالبقيع وما اشتهر ان قبره بقرب عسقلان لا اصل له وانما
ذاك صحابي آخر اسمه حيدرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما نهيتكم
عنه سواء كان نهي تحريم او تنزيه ليشمل الحرام والمكروه فاجتنبوه اي اجعلوه في جانب
واتركوه وفي رواية فدعوه قاله في حجة الوداع حين خطب قائلا ايها الناس فرض عليكم
الحج فقال اقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم
لوجب ولما استطعتم وهذا الخطاب ونحوه مختص لغة بالموجودين عند نزوله وعام لمن
من بعدهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة ان هذه الشريعة عامة الى يوم القيمة
حكمي على الواحد حكمي على الجماعة وما امرتكم به فأتوا وفي نسخة فافعلوا منه اي مما امرتكم
وجوبا في الواجب وندبا في المندوب ما استطعتم ما قدرتم عليه فانه سبحانه يريد
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولا يكلف نفسا الا وسعها وفي هذا الحديث والآية
الموافقة له تخصيص عموم قوله تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ثم هذا
الحديث موافق لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله عز وجل واتقوا الله حق تقاته
فقيل منسوخ والاصح ان تلك مبنية لهذه وانما تبين هنا على تفسير حق تقاته بامتثال امره
واجتناب زجره واما على المشهور من تفسيره بان يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى فالاولى
النسخ فانه لما نزلت تحرجت الصحابة رضي الله عنهم منها وقالوا اينا يطيق ذلك
فنزلت والاظهر ان هذا التفسير بيان للتقوى الخاصة وما سبق لتقوى العامة ثم اعلم
انه يؤخذ من الحديث ان النهي اشد من الامر لانه لم يرخص في شيء منه والامر مقيد
بالاستطاعة ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها الا

الا الصديقون وقد يؤخذ من هذا الحديث مبنى القاعدة المشهورة وهي ان درء
المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفعها على
نفعها لان اعتبار الشارع بالمنهيات اشد منه بالمأمورات وهذا يوافق الحكمة
البدنية ايضا من ان الاحتماء اولى من استعمال الدواء فانما اهلك الذين من قبلكم اي
صار سبب هلاكهم كثرة مسائلهم اي ما لم يحتج اليها الضرورات وقيل الاستفسار
بحسب الاختبارات ويتعمق في الاشارات وذلك كقصة بني اسرائيل في قضية البقرة
ونحوها واختلافهم قال المصنف هو برفع الفاء لا بكسرها يعني لف ولمعنى اي عصيانهم
على انبيائهم او ترددهم في انبيائهم ثم اعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم وقد تضمن
احكاما منها وجوب ترك المنهيات ومنها وجوب فعل المأمورات لان الامر فيهما
للوجوب ومنها تحريم الاختلاف الموجب للاختلال وكثرة السؤال من غير ضرورة
داعية الى تلك الحال لانه توعد عليه بالهلاك والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه وقد قال تعالى
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف فلانه سبب تفرق القلوب ووهن
الدين وظهور العيوب كما جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض وانه حضوا وذلك
حرام وسبب الحرام حرام واما كثرة السؤال عن غير ضرورة به فتشعر بالتعنت وتفضي
اليه وهو حرام انتهى وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال
وروى احمد انه عليه الصلاة والسلام نهى عن الاغلوطات وهي اشكل المشكلات
وورد سيكون اقوام من امتي يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل اولئك شرار امتي
وقال الحسن شرار عباد الله الذين يتتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي
ان الله اذا اراد ان يحرم عبده بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم اقل الناس
علما وكان ابي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من افاضل الصحابة اذا سئل احدهم مسألة
يقول او قعت فان قيل نعم قال فيها بعلمه او حال غيره وان قيل لا قال دعها حتى تقع ثم هذا
كله فيمن يسأل تعنتا وتكلفا واما من سأل حاجة ونحوها فهو مثاب لقوله تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لا سيما اذا كان المسؤول عنه معدن الحقائق ومنبع
الدقائق وان كنت لابد مستشرا فمن اعظم البحر تستشرب وفي الحديث اشارة الى
وجوب اتباعه عليه السلام وتسليم ما جاء به من الاحكام من غير معارضة ولا مدافعة اذا لم

شيئاً يقرب الى الله الا امر به ولا شيئاً يبعد عنه سبحانه الا نهى عن ذلك وهو امور
لا يرشد اليها بمجرد العقل اذ العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك رسوم الربوبية بل
تلك اسرار يكاشف بها من حضرة القدس وحظيرة الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى
لانه من بين الخلق تخلق باخلاق الحق فذا الموفق محمود وهذا محمد فاق الشهود ودرى الغائب
وجا مثالك ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة مثال الجنين في بطن الام فانه لو قيل له ان الله
خلق السموات والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر ما يفهم ذلك ولا يهتدي اليها
هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك ذلك الجنين ما اشتغلت عينك بمشاهدة عالم الشهادة
ولا تقوضت بيضة وجودك بعد ما ولدت فاذا مت قيل لك فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فتستيقظ من رقدتك بموتك وترى عالماً ما رأيته بعينيك كما قال
بعضهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واما اهل الله وخاصته فوجدوا ذلك ذوقاً ومالوا
الى ما هنالك شوقاً وقد قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً رواه البخاري ومسلم
عن ابي هريرة خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم
الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك الذين من قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فدعوه هذا وقد قال تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم قيل انها
نزلت لما سألوه عن الحج وقالوا في كل عام والمعنى ان جميع ما يحتاج اليه من امر الدين لا بد ان
يتبين في القرآن المبين فلا حاجة الى السؤال وانما المحتاج فهم ما فيه بمساعدة احاديث سيد
المرسلين قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقد صح ان اعظم المسلمين
جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وعن انس نهينا ان نسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وكان يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية العاقل فيسأله ونحن
نسمع ورواه احمد انهم رشوا اعرابياً برداء حتى يسأل لهم ولعل هذا هو السبب لسؤال
جبرئيل عليه السلام **الحديث العاشر** عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب اي احسن جيد مأخوذ من الطيب والمعنى طيب الثناء مستلذ
الاسماء قيل فهو من اسمائه الحسنى لصحة الحديث به كالجميل لحديث ان الله جميل يحب

الجمال رواه البيهقي بسند صحيح عن ابي سعيد واما ما زاد ابن عدي سخي يحب السخاء
ونظيف يحب النظافة فسنده ضعيف وكذا ما رواه الترمذي ان الله طيب يحب
الطيب نظيف يحب النظافة جواد يحب الجود ففي اسناده مقال والحاصل ان
معناه متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن سمات النقصان والزوال لا يقبل
من الاعمال والاقوال والاموال والاحوال الا طيبا لقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والمعنى الا طاهراً خالصاً من المفسدات كالعجب والرياء
او حلالاً احترازاً من مال المغصوبات والربوا واعلم ان الطيب يطلق بمعان منها
المستلذ طبعاً نحو هذا طعام طيب نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
ومنها الحلال ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ومنها
الطاهر كقوله تعالى الطيبون للطيبات اي الطاهرون من العيوب للطاهرات
من الذنوب والله عز وجل طيب بهذا المعنى اي هو طاهر منزه عن جميع النقائص
والآفات لا يقبل من الاعمال الا طاهراً من المفسدات ولا من الاموال الا طاهراً
من المحرمات ثم اعلم ان انتفاء القبول قد يؤذن بانتفاء الصحة كما في حديث لا يقبل
الله صلوة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ وقد يفسر القبول بالثواب ومنه خبر
احمد من صلى في ثوب قيمته عشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل له صلوة ما كان
عليه ومنه قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فمعنى الحديث لا ينبغي ان يتقرب
الى الملك المتعال الا بما يكون حلالاً من خيار ماله كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون ولا يقبل الا عبداً متحلياً بفضيلتي العلم والعمل نقياً من الشبهات
نقياً من النجاسات سليماً قلبه من الآفات ثم هذه الجملة المصدرة توطئة لما هو
الغرض من سياق هذا الحديث وهو استعمال اكل الحلال لحيازة الكمال المستلزم
لاجابة الدعاء في غالب الاحوال ولذا قال وان الله عز شانه وجل
برهانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فسوى بين الرسل وامتهم في خطاب
المقال لعموم وجوب اكل الحلال ولذا قال فقال اي به كما في نسخة صحيحة وفي اخرى الكشف
بقوله تعالى يا ايها الرسل هذا الخطاب والنداء ليس على ظاهره لانهم ارسلوا
في ازمنة مختلفة فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي بهذا في زمانه ليعتقد السامع

انزما نو ذا به جميعا حقيق بالاخذ والعمل به كذا في الكشاف وفيه نفحة اعتزالية
لانهم لما لم يثبتوا قدم الكلام وحملوا على ذلك لنظام المرام لكن الحق ان الله متكلم في الازل
وانه لم يكن ثم مخاطب فالخطاب على ظاهره واجيب عن هذا بان التعلق التنجيزي حال
العدم بان يطلب من المكلف الفعل او النهي في حال العدم محال بالاتفاق والمراد بالخطاب
للمعدوم كما حققه شارح المختصر التعلق العقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد بشرائط
التكليف يوجه عليه حكم في الازل بما يفهم ويعقله فيما لا يزال انتهى وقد يقال يمكن
الجمع بين التوجيهين بانه كما تعلق العلم الازلي بهذا الخطاب ظهر على وفقه التعلق التنجيزي
بخطاب الرسل واحدا بعد واحد في هذا الباب ويؤيده ان هذا كله محفوظ في ام
الكتاب كلوا من الطيبات اي الحلالات ولو كانت من المستلذات وقدمه على
قوله واعملوا صالحا اي كل ما يصلح من العبادات ليكون اشارة الى ان الصالح من
الاعمال لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي حلالات ما ملكناكم واعطيناكم اسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم على غاية
احتياطهم حتى لا ياكلوا الا الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف اليه ومن تبعيضية
جنابة لهم عن الاسراف في الكمية او اشارة الى ان جملة رزقه لحصول الكثير فما كول
ومع هذا هو حريص على زيادة تحصيله والاكل للاباحة او للوجوب كما لو اشرف
على الهلاك في المجاعة او للندب كموافقة الضيف ومعاونة الصوم وقوة العبادة
قال سهل بن عبد الله اداب الاكل ان يكون حلالا وهو ما لا يعصى الله فيه وصافيا
وهو ما لا ينسى الله فيه وقواما وهو ما يمسك النفس والعقل وتماما وهو ان يؤدي
شكر المنعم وفي الآية اشارة الى ان الحرام رزق وهو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة
ودليلنا من الكتاب قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد علمنا
ان جميع المكلفين ليس ياكلون حلالا فانهم قد يسرقون ويغصبون فيتغذون به
ومن السنة حديث ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فدل على ان جميع ما اكلته
كل نفس رزقها حلالا كان او حراما مع اجماع الامة على ان الله يرزق البهائم ما
ياكله وليس يملك لها فدل على ان اصل الرزق لا يشترط فيه الملك قال ابو هريرة
ثم ذكر الرجل استطرادا بان عقب كلامه بذكر الرجل الموصوف استبعادا لانه لانه

ان النبي عليه السلام مر

لانه تعالى لا يقبل دعاء آكل الحرام لبعد مناسبته عن جنابه الاقدس لتكدر وقته
ونفسه وقلبه فلفظة ثم للترتيب في الوجود لا في رتبة الشهود يطيل السفر منصوب
المحل بانه صفة للرجل لانه في المعنى كالنكرة او حال كما جوز الوجهان في قوله تعالى
يحمل اسفارا او قيد الاطالة لانها اقرب الى الاجابة لان طول الغربة يقتضي زيادة
الكربة والمعنى يطيل السفر في العبادات كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك
لا يستجاب له الدعوة فكيف بمن هو منهمك في المعصية والغفلة اشعث
اي متفرق الشعر كما هو من لازم السفر اغبر متغير الوجه في الاكثر صفتان اخريان او حالان
مترادفان من فاعل يطيل او متداخلان في هذين الحالين ايضا اشارة الى ان
رثاثة الهيئة من اسباب الاجابة ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم رب اشعث
اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ولذا ندب في دعاء الاستسقاء
يمد يديه اي يرفعهما الى السماء لانها قبلة الدعاء قائلا يا رب اعطني كذا يا رب
جنبني كذا والمراد بهما التكرار والاكثار ويؤيده انه اخرج البزار مرفوعا اذا قال
العبد يا رب اربعا قال الله لبيك عبدي سل تعطه ولذا غالب ادعية القرآن
مصدرة بذكر الرب فان نعت الربوبية يناسب حالة العبودية وقد قال جعفر
الصادق من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
لان الله حكى عنهم في آخر آل عمران انهم قالوه خمسا ثم قال فاستجاب لهم ربهم وفي الحديث
ان الله كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا خائبتين رواه احمد
وابو داود والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي موسى وحسب ذلك ان في رفعهما
صح اشعارا الى الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولذا قال صلى الله عليه
سلوا الله ببطون كفكم ولا تسئلوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم
واما ما ورد في صحيح مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل ظهورهما الى السماء فيحمل على
خصوصية دعاء الاستسقاء لما فيه من الايماء الى انقلاب الاحوال كما ذكر في تقليب
الرداء وروى احمد انه صلى الله عليه وسلم فعله وهو واقف بعرفة وحملوه على انه جمع
بين الوجهين فالاول لحصول مطلوب من النعماء والثاني لرفع ما وقع به من البلاء
وجاء ايضا انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى جهة القبلة وهو مستقبلها وجعل بطونهما

عما يليه وكعله لبيان الجواز او لدفع ما يتوهم به من الحجة فجعل يديه بمنزلة الجنة ثم في دفعهما الى السماء ايماء الى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلاق ومعبد العمال ومحل الضياء ومنزل الصفاء ومطعمه حرام حال من فاعل قائلا وهو مصدر ميمي بمعنى المفعول وكذا قوله ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي هو بضم الغين وكسر الذال ذكره المصنف وهو بتخفيف الذال المعجمة في اكثر النسخ المعتبرة وفي المصابيح ورد مشددة اي والحال انه قد حصل تغذيته وتنميته وتربيته بالحرام فهو اشارة الى حال صغره كما ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه في امره فاني الاستفهام للاستبعاد اي كيف ومن اين يستجاب اي يجاب الدعاء لذلك اي الرجل الموصوف بالاشتغال او لاجل كون مطعمه ومشربه وملبسه حراما من الابتداء الى الانتهاء وقد قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا يوجد الا قليلا في كثير من الاحوال فليكتف بغيره بما يحفظ روحا لئلا تموت جوعا وما احسن قول بعض الظرفاء يقول سالي الجهول بغير علم دع المال الحرام وكن قنوعا فلما لم اجد مالا حلالا ولم اكل حراما مت جوعا لكن قال بعض العارفين واذا كنت مضطرا باكل الميتة فينبغي انك ما دمت تلقى غنما لا تاكل من حمار وما دمت تجد حمارا لا تاكل من كلب وما دمت تصادف كلبا لا تباشر خنزيرا ففيه الاشارة الى انه وقت الابتلاء بالمحرمات والشبهات ينبغي ان يراعي ما يوجد اقرب الى الحلالات ثم اعلم ان المراتب في هذا الباب ان يتحرز عما حرمه فتوى العلماء وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله لقوله عليه السلام فيما سياتي وان افتوك وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو ورع المتقين ثم الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على الطاعة او يتطرق الى بعض اسبابه معصية او كراهية وهو ورع الصديقين رواه مسلم وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام وعليه العمدة في الكسب بالحلال واجتناب الحرام واخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقال سعد بن ابي وقاص يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد اطب

اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به وقد قيل له لم يستجاب دعوتك دون الصحابة فقال ما رفعت لقمة الا وانا عالم من اين جاءت ومن اين خرجت وجاء في حديث انه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز الركاب فقال لبيك ناداه ملك من السماء لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك **الحديث الحادي عشر** قيل انه مبني على السكون وقيل على الفتحة المقدرة وقيل بالفتحة اللفظية عن ابي محمد الحسن كناه بذلك وسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بن علي بن ابي طالب وقع في اصل ابن حجر هنا رضي الله عنهما وهو في غير محله لتوهم رجع الضمير الى علي وابي طالب فالصواب تاخيره كما في النسخ المعتبرة على ما سياتي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجر على انه بدل من ابي محمد او بيان للحسن ويجوز رفعه على انه خبر مبتداء مقدر هو ونصبه بتقدير اعني اي ابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وريحانته اي طيب قلبه او رزق ربه او راحة روحه ولبه وهو ماخوذ من قوله عليه السلام في شان الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية من الجنة ولد في نصف رمضان سنة ثلث من الهجرة على الاصح ومات سنة خمسين مسموما من زوجته بادشار يزيد ابن معاوية لها على ذلك كما قيل ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء وروى له ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة باخيه الحسين بعد خمسين يوما من ولادته رضي الله عنهما اي عن الحسن وعلي ومن جملة مناقبه وعلو مراتبه ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال للحسن اني احبه فاحبه وعن معاوية قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يمص لسانه او شفته يعني الحسن وانه لن يعذب لسان او شفة مصهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد روي انه حج خمس عشرة حجة ماشيا والنجائب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلث مرات وربما اجاز الواحد مائة الف وقد احصن سبعين امراة ولما بايعه الناس بعد ابيه ولي الخلافة سبعة اشهر واحد عشر يوما ثم تركها خشية سفك الدماء مطابقة لما روى الحسن البصري عن ابي بكرة قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب جاء

فيه بالطيف على الحسن

الحسن حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا سيد وان الله سيصلح به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين قال حفظت منه وفي نسخة ضعيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دع ما يريبك الى ما لا يريبك هو بفتح الدال وضمها لغتان والفتح افصح واشهر
ومعناه اترك ما شككت فيه واعدل الى ما لا تشك فيه ذكر المصدر واشار فيه الى
انه الى متعلقه بمقدر كاعدل او اذهب والمعنى خذ ما ايقنته حسنا وحلالا
واترك ما شككت في كونه حسنا ام قبيحا وفي كونه حلالا ام حراما ويقال دع ذاك
الى كذا اي استبدله به والامر فيه للندب تحز عمر رضي الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة
خير من المسئلة وروي عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء اسهل من الورع اذا
اربك شيء فدعه وقال ابو ذر تمام التقوى ترك بعض الحلال خوفا ان يكون حراما
وقيل لابن ادهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت اشار به الى
ان الدلو من مال السلطان وهو مشتبه ثم اعلم ان الريبة تقع في العبادة والمناكح
وسائر انواع المعاملة ومن ثم كان الخروج من الخلاف في كل مسئلة يجمع باجماع علماء
الائمة لانه ابعد عن الشبهة فالمعنى اترك ما تشك فيه من الاموال انه من نوع الحرام
او الحلال او ما تردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي عنه او لا او سنة او بدعة
واعدل الى ما تشك فيه من الاحوال والمقصود ان يبني المكلف اموره في الوجا
على اليقين واما بلسان العارف فمعناه اذا كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن نقي القلب
مراقبا للغيب وتعرف لمة الملك من لمة الشيطان والالهام من حديث النفس
وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة دع ما يريبك من الاغلوطات العقلية
والشبهات النفسية والشيطانية الى ما لا يريبك مما ينزل بقلبك وعقلك
ورد حك من الالهام الالهي وكما ان ترك ما يريبك مأمور به فترك ما يريب
الغير مما يصعب على افهام العامة اولى كما اشار الى ذلك الامام الاعلى انى لاكتم من علمي
جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن
يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا رواه الترمذي
بكسر التاء والميم وبفتح الاولى وحكي ضمها والكل بالذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة
على طرف جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة وكان من اوعية الفقه والحديث

والحديث لقي البخاري وخلقا كثيرا توفي بترمذ من وراء جيحون في رجب سنة تسع
وسبعين ومائتين والنسائي بفتح النون والسين مقصورا وممدودا منسوب الى نسا
خراسان وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب رحل واجتهد واتقن الى ان
تفرد فقها وحديثا وامامة وديانة ومات بمكة سنة ثلث وثلثمائة كذا ذكره
الشارحون ونسبوه الى جامع الاصول ونقل ابن حجر انه مات بالرملة والله اعلم
ورواه ايضا ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال الترمذي حديث حسن صحيح اي حسن باعتبار
اسناد وصحيح باعتبار اسناد آخر والجمع بينهما باعتبار التردد فيه هل هو مترق من درجة
الحسن الى الصحة ام لا بحذف كلمة او كما يحذف من الذي بعد فلا يرد ما قيل من ان الجمع
بينهما في حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن قاصر درجة عن مرتبة الصحيح
كما يظهر ذلك من تعريفهما في اصول الحديث وذكر ابن الصلاح وجها آخر وهو انه اراد بالحسن
اللغوي وبالصحيح الاصطلاحي وهو ما تستحسنه النفس ويميل الطبع اليه انتهى ولا يبعد
ان يكون الامر بالعكس بان يراد الصحيح الثابت سنده فقد يقال حسن لذاته وصحيح لغيره
هذا وعند الترمذي وغيره زيادة فيه وهي فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة
ولفظ ابن حبان فان الخير طمأنينة وان الشر ريبة وقد اخرجه احمد ايضا عن انس رضي
والطبراني عن وابصة بن معبد والخطيب عن ابن عمر وروى ابو نعيم في الحلية والخطيب
عن ابن عمر مرفوعا دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لن تجد فقد شيء تركته لله
وروي باسناد ضعيف عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل دع ما
يريبك الى ما لا يريبك قال وكيف لي بالعلم قال اذا اردت امرا فضع يدك على صدرك
فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة
زاد الطبراني وقيل له فمن الورع قال الذي يقف عند الشبهة ومن ثمه تنزه يزيد بن
زريع عن خمسمائة الف من ميراث ابيه فلم يأخذها وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين
وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الى ان مات وقد قيل ينبغي ان التدقيق في التوقي
عن الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله وتشابهت اعماله بخلاف المنتهك
في المحرمات ومن ثم قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض تقتلوا الحسين ولم تسألوا
واستأذن رجل بعض السلف ان يكتب من محبرته فقال هذا ورع مظلم وقال لا تخرج

مثل ذلك ما ينفع ورعى ولا ورعك هنالك وقد قال بعض علمائنا هذا زمان الشبهات
اي وقت استعمالها وترك المحرمات والمعنى ان كثرة الشبهات وقلة الحلالات اوجبت
ان يكون الورع منحصرا في ترك المحرمات ويؤيده صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم في زمان
لو تركتم عشر ما علمتم لهلكتم ويأتي على الناس زمان لو عملوا بعشر ما عملوا النجوا وفقنا الله
لمرضاته ورزقنا ذوقا حسنا مقرونا بالطاعة الحديث الثاني عشر عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
بفتح اوله ذكره المص يعنيه بكسر ثالثه اي لا يهمه من العنا بمعنى الاعتنا والمعنى
ما لا ضرورة فيه ولا منفعة له والضمير المستتر المرفوع راجع الى ما والضمير المنصوب الى
المرء بمعنى الشخص الشامل للرجل والمرأة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام
كثيرة ومن جملتها فعله ما يعنيه وتركه مصدر مضاف الى الفاعل الراجع الى المرء
وما لا يعنيه مفعول والمجموع مبتدا ومن حسن خبره وانما قدم الخبر لاشتمال المبتدا
على ضمير يرجع الى متعلق الخبر فهو من باب على التمرة مثلها زبدا ثم اعلم ان الذي يعني الانسان
من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش
ويستر عورته ويعف فرجه ونكية يسكنه وبضرورة سلامته في معاده وهو
الاسلام والايمان والاحسان على ما مر بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة
الى ما لا يعنيه ان سلم من سائر الآفات وجميع الشرور والمخاصمات وكان ذلك من
الفوائد الدالة على حسن اسلامه وثبات مقامه وحقيقة لتقواه ومجانبة لهواه
لاشتغاله بمصالحه الاخروية واعراضه عن اغراض الدنيوية واغراض الشهوية من التوسع
في الدنيا الدنية وطلب المناصب والرياسات النفسية ومحل الكلام انه ينبغي للمرء
ان يشتغل بالامور التي يكون فيها صلاح معاشه ومعاده ويتصرف في الدنيا بقدر
اخذ زاد لحصول مراده ويسعى في الكمالات العلمية والحالات العملية التي هي وسائل
الى حصول السعادات الابدية ووصول النعم السرمدية وقد قال انس استشهد
غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدريك لعله كان
يتكلم فيما لا يعنيه وروي انه عليه السلام قال لابي هريرة تريد ان يجري عليك النعم قال

قال نعم يا رسول الله قال اذا فاتق الله وكف عن المحارم ودع الكلام فيما لا يعنيك
وكان الصديق الاكبر يقول يا ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وقال موروق مقت الله
للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه في الكلام ان تكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر
حالا ومالا فانك به تضيع زمانك وتحاسب على ما نطق به لسانك اذ تستبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير ولو صرفته في الفكر والدعاء ربما ينفتح لك من نفحات رحمته
ما يعظم جدواه ولو سبحت بني لك قصر في الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من كنوز
الجنة واخذ بدله بدرة كان خاسرا في التجارة ثم حسن الاسلام عبارة عن كماله
وتمامه والاستسلام لاحكامه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزل السكينة
على القلب الحديث حسن بل صرح ابن عبد البر بانه صحيح رواه الترمذي وغيره
في الجامع الصغير للسيوطي انه رواه الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة واحمد والطبراني
عن الحسين بن علي والحاكم في الكنى عن ابي بكر والشيرازي عن ابي ذر والحاكم في تاريخه عن علي بن
ابي طالب والطبراني في الاوسط عن زيد بن ثابت وابن عساكر عن الحارث بن هشام
هذا وفي اصل ابن حجر زيادة وهكذا خالف الحفاظ الاصول فقال ابن حجر والاثبات فيه رواية مالك له
في الموطأ عن الزهري مرسلا لان للزهري فيه اسنادين اصحهما مرسل وهو ما رواه
مالك والاخر موصول وهو ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم على الارسال وبذلك
يجاب عن قول احمد والبخاري وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا اقول ولك ان تجيب
وهو ان اسناد المرسل صحيح واسناد الموصول حسن ولا تنافي بينهما فلا يحتاج الى قول
ابن حجر على ان له طرقا مرفوعة اذا اجتمعت اكتسبت قوة ولعل هذا من اسباب تحسين
المصولي انتهى ولا يخفى انه لم يقل احد بضعف هذا الحديث حتى احتيج الى تحسينه بتعدد
طرقه بل لعل تعدد طرقه باسانيد حسنة اوجب ابن عبد البر ان يقول بتصحيحه وكانه اراد
انه حسن لذاته صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه صحيح ومن ثم قال ابن عبد البر رواته
ثقات ثم هذا الحديث من جوامع الكلم الجزلية لاندراج المعاني الجليلة في اندماج المباني
القليلة ولعله مستفاض من قوله تعالى فيما وصف به المؤمنون الكاملون قد افلح
المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ولهذا لما راى
عليه الصلاة والسلام من يعبث بلحيته في صلوته قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفيه اشارة

لان اللغو يكون في القول والفعل والخاطر وقد قال ابو داود وهذا الحديث ربع
الاسلام وروي عنه عليه السلام انه قال في صحف ابراهيم من عد كلامه من عمله قل
كلامه الا فيما يعنيه وروي ان رجلا وقف على لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة فقال
الست عبد بني فلان قال بلى قال فما الذي بلغ بك ما ارى قال قدر الله وصدق
الحديث وترك ما لا يعنيني وعن الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله
فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات ان شهيدا كما في رواية فقال آخر ابشر بالجنة
فقال صلى الله عليه وسلم او لا تدري فلعله تكلم بما لا يعنيه او بخل بما يعنيه واخرج العقيلي مرفوعا
اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه **الحديث الثالث عشر** عن ابي حمزة
بحاء مهملة وزاء معجمة كنيته بقلة وفيه كناه صلى الله عليه وسلم بها لاجتنائه اياها
انس بن مالك رضي الله عنه الانصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما صح عنه ان النبي عليه السلام لما قدم المدينة كان عمره عشر سنين وان ام سليم اتت به
النبي صلى الله عليه وسلم اي في السنة الاولى من الهجرة فقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله
وقد قالت له يوما يا رسول الله ادع الله له فقال اللهم كثر ماله وولده وادخله الجنة وفي
رواية اكثر ماله وولده وبارك له فيه قال فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي
مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا بنتين على ما قيل وان ارضي لتثمر
في السنة مرتين واني ارجو الثالثة واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم الى ان توفي
وهو عنه راض ثم توطن بالبصرة وكان آخر الصحابة بها موتا سنة تسعين
عن مائة سنة او عشرين سنة مات بقصره بالطف على فرسخين من البصرة
ووصى ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل وهو احد المكثرين روى له الفان ومائتا حديث ومنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا بدليل ما سبق في حديث جبريل من تعريف اصل
الايمان انه التصديق فقط ونفي اسم الشيء على نفي الكمال عنه مستفيض شائع في
كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قيل فاذا حصل هذه المحبة يلزم ان يكون
مؤمنا كاملا وان لم يأت بسائر اركان الطاعة اجيب بان هذا مبالغة كان
الركن العظيم فيه هذه المحبة نحو لا صلاة الا بطهور وهذا الحصر بالنسبة الى حقوق العباد

العباد دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان احدكم بان يترقى من حضيض التقليد
الى ذروة التحقيق والتأييد حتى يحب لاخيه اي المسلم كما في رواية الاسماعيلي
وكذا رواية احمد والنسائي ولفظه حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية اذ ما بعدها
خلاف ما قبلها وان بعدها مضمرة ولهذا نصب يحب ولا يجوز رفعها لان عدم الايمان
ليس سببا للمحبة ما يحب لنفسه اي من الطاعات والمباحات كما جاء في رواية النسائي من الخير
كذا قاله الشارح ولكن رواية الاسماعيلي والنسائي وابن منده حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب
لنفسه اي مثل ما يحب لنفسه فان عين ذلك المحبوب محال ان يحصل في محلين قال النووي في شرح مسلم
وليس هذا من الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام بذلك يحصل بان يحب له حصول مثل ذلك
من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص النعمة عن اخيه شيئا من النعمة عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال
وذلك سهل على القلب السليم انتهى وكذا من كمال الايمان ان يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه
ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فيكون من باب الاكتفاء وكما اكتفي في
الحديث السابع بترك ما لا يعنيه عن فعل ما يعنيه ثم رأيت خبر احمد افضل الايمان
ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتحقيق ذلك ان المؤمنين
متحدون بحسب الارواح متعددون باعتبار الاشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة
في ابدان متفرقة بحيث لو تألم البعض تألم الكل كما جاء في الحديث الآخر المؤمنون كالجسد الواحد
اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وذلك لان ايمانهم من اثر نور
الهداية شريعة وطريقة ومن اثر انوار اسمائه وصفاته حقيقة فارواحهم انحدث من ذلك
النور المقتضي للالفة والرحمة فان حزن واحد حزنوا وان فرح واحد فرحوا وهذا مقام
الجمع بالروح وهو ان يجتمع عند تجلي الروح لرفع تفرقة الطبيعة وهناك مقام اعلى يقال له جمع
الجمع وهو ان يجتمع عند تجلي الحق عن تفرقة الغير روحانيا ونفسانيا ملكيا وملكوتيا فلا يرى
غير الله لاختفاء ما سواه من جميع الاشياء كما تختفي النجوم عند اشراق الشمس في السماء
او كما لها رواه البخاري ومسلم ورواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم
عن انس لكن لفظه والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه وقال الجار ما يحب
لنفسه ولفظ احمد لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه
من الخير هذا وقد ورد لا حرج على من كره الاقتباس بالمحال وروى احمد والحاكم وصححه

ابن مالك بن مرارة قال يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب ان احدا من الناس
فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو البغي فقال لا ليس ذلك من البغي ولكن البغي من بطر
او قال سفه الحق وغمط الناس **الحديث الرابع عشر** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل دم امرئ بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي لا يحل اراقة دم شخص وهي
كناية عن قتل مسلم اي يشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله كما في رواية البخاري ومسلم
وجامع الاصول وقال ابن حجر والحكمة في حذفه لا يظهر ولعل الاكتفاء به وقع في رواية لهما
لكن الاولى ان يختار لفظ الاكثر والاكثر فتدبر الا باحدى ثلاث اي ثلاث خصال والتقدير
لا يجوز قتل مسلم بسبب من الاسباب الا بارتكاب احدى خصال ثلاث وهي زنا المحصن
وقتل النفس بغير حق والارتداد ففصل ذلك بتعداد المتصفين به المستوجبين القتل
لاجله فقال الثيب بالرفع وهو الرواية كما صرح به الشارح الكازروني فيقدر المبتدا
اي احدها او الخبر اي منها او مضاف اي خصلة الثيب او زناه او بقيام الثيب الزاني فيه
وهو الاظهر فتامل ويجوز نصبه بتقدير اعني ووجه بالبدل وهو اسم جنس يشمل الرجل والمراة
الزاني بحذف اليا تخفيفا كالمتعال وفي نسخة صحيحة باثبات اليا والمراد بالثيب المحصن
وهو المكلف الحر الذي اصاب بعد التكليف نكاحا صحيحا ولا بد من تحقق وطئ عندنا
لمقابلة بقوله عليه السلام البكر بالبكر ثم للامام لا للآحاد رجمه ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا
لما ثبت ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله بعث محمدا نبيا وانزل عليه كتابا وكان
فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم
وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا الحديث رواه مسلم وغيره وكان
ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه وفي صحيح البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت ان يطول
بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها
الله الا وان الرجم حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف
ورجم علي ايضا كما في صحيح البخاري وغيره وحكموا على ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم ممن
يعتد باجماعه واما البكر والمكلف غير المحصن فان كان حرا فيجلد مائة وان كان رقيقا
فيجلد خمسين ولا تغريب عندنا ثم الحكمة في قتل الزاني ان في الزنا مفاسد من اختلاط
الانساب وتضييع الاولاد ونوب كل رجل على كل امراة المقتضي طبعه وهواه فيهيج

فيهيج الفتن والحروب بين الانام بعد التشبه بالبهائم والانعام والله رؤوف بالعباد
وهو لا يحب الفساد ثم حكم اللواطة يعرف بادلة اخرى تفصيلها في محلها الآخر والنفس
بالنفس اي وقاتل النفس فيقتل قصاصا بالنفس التي قتلها عدوانا بشروط معتبرة
في الفروع وهو مخصوص بولي الدم ولا يحل قتله لاحد سواه حتى لو قتله غيره لزم القصاص
وظاهر الحديث المطابق لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يؤيد مذهب
ابي حنيفة في ان المسلم يقتل بالذمي وان الحر يقتل بالعبد خلافا للائمة الثلاثة في اعتبارهم
تساويهما في الحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد وفي الاسلام لقوله عليه السلام
لا يقتل المسلم بالكافر ودفع بان المراد بالكافر الحربي بدليل ما روى الطحاوي في مسنده
ان النبي عليه السلام قتل مسلما بذمي وقال انا احق من وفى بذمته وكذا رواه ابو حنيفة
وابو داود في مراسيله وعبد الرزاق والدارقطني ويؤيده الشافعي والدارقطني
عن علي من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا واما الحديث المختص الذي في التاريخ
الاوسط للبخاري وسنن ابي داود من قوله عليه السلام لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد
بعهده فمحمول على الكافر الحربي المستامن جمعا بين الادلة وان المقابلة في الآية رد على اهل
الجاهلية في عدم اعتبار المماثلة بالكلية كما يدل عليه قوله سبحانه والانثى بالانثى
فان الاجماع على انه يقتل الذكر بالانثى والانثى بالذكر فتدبر واما استدلال الامام بقوله صح
والحكم في القصاص ورد بانه لا مساواة في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح
سليم كبيرا ضعيفا او رجل امراة مع نقصان عقلها ودينها عن دية الرجل فثبت انه
لا اعتبار بالمساواة في ايجاب القصاص في الانفس وان الكامل ما يقاد منه للناقص
وممن قال بان الحر يقتل بالعبد سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وقتادة والثوري
محتجين بقوله عليه السلام المسلمون تتكافا دماؤهم بلا قود وذهب النخعي والثوري في احد
قوليهما الى ان الحر يقتل به وان كان عبده محتجين في ذلك بما رواه النسائي من
حديث الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه
ومن جدعه جدعناه ومن خصاه خصيناه قال البخاري وانا اذهب اليه وقال
غيره لم يسمع الحسن من سمرة الا حديث العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ حجة على من
لم يحفظ وبان اعتبار الاتصال اولى من اعتبار الانفصال وقد قال بعض العرفا

كتب الله سبحانه القصاص على القتل كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح
الا انه عند شهود الجلال الصمداني كما قال من احبني قتلته اي بسيف المجاهدة او بنور
المشاهدة ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ان كان
متوجها اليه بالكلية كان فيضه به متصلاً به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات
لم يتصل به غاية الاتصال ومن كان ناقصاً في دعوى محبته لم يكن مستحقاً لكمال مودته
ومن كان الله ديته فله حيوة الارواح والبقاء برب الثقلين والتارك لدينه يعني
به المرتد بعد يقينه وفي رواية المسلم التارك للاسلام وهو اظهر في المراد المفارق
اي بقلبه واعتقاده او ببدنه او بلسانه للجماعة اي المعهودين وهم جماعة المسلمين وهو
تأكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة المسلمين وخرج من جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة
التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان لم يتب واستثناء المرتد باعتبار
ما كان قبل ردته حضوراً وعلاقة الاسلام مرتبطة بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا
وانما يقتل لانه من قراره على الردة مع اصراره فلا انتظام عقد الاسلام فوجب قتله حفظا
للاحكام واختلف في المراة المرتدة فقال الثلثة هو واحد فتقتل لقوله عليه السلام من بدل
دينه فاقتلوه رواه الشيخان وهو عام في الرجل والمراة ولان اشارة الحديث المذكور
الى ان العلة تبديل موجودة في المراة وقال ابو حنيفة لا تقتل لنهيه عليه السلام عن قتل
النساء كما في الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من بدل دينه فاقتلوه وفي
اثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن ارتددن لا يقتلن ولكن يحبسن ويدعين
الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة في قتل الرجل بالردة انه اقوى على الاضرار لحوق بالكفار
فكثر سوادهم وحارب المسلمين فكفت عاديته بالقتل وهذا مفقود في المراة فانها
ليست من اهل الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن حجر هذا منقوض بنحو الشيخ
والزمن فمدفوع بانه من النوادر في هذا الجنس ثم في هذا الحديث دليل على انه لا يقتل بالبدعة
ونفي الاجماع استجابي عن نقل التواتر كالروافض والخوارج وكذا تارك الصلوة لا يقتل
واما قوله عليه السلام من ترك الصلوة متعمداً فقد كفر فليس على ظاهره فلا قال لاحد فانه
الجمهور اولوه بان معناه قارب الكفر او شابه الكفر او كفر نعمة ربه او جره الى الكفر
في اخر امره او حملوه على مستحله فيدخله في حد المرتد واما تفسير الشافعي للحديث بانه الخ

استحق عقوبة الكفر فليس ظاهراً في المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته في الدنيا والاخرة
مع انه ليس بقابل الكفر في المعاد واما ما ذكره بعضهم من ان المرتد تبدل دينه في المفارق
بعض دينه فدخل في الحديث اهل البغي والخوارج تجب المقاتلة معهم حتى رجعوا الى الحق
ففيه ان الكلام في القتل لا في المقاتلة اما ترى ان الاجماع على عدم جواز قتل باغ بانفراده
او خارجي او رافضي وحده فانه لا يلزم من جواز المقاتلة جواز القتل اما ترى ان مانعي
الزكوة يقاتلون بخلاف من تركها من غير قتال فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت
الموافقة بين هذا الحديث وما سبق من حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بل هذا الحديث مبين لاجمال قوله الا بحق الاسلام
فانه محصور في هذه الثلثة من الاحكام كما جاء وتصريحاً مرويا عنه عليه السلام ثم خص من عموم
هذا الحديث رفع الغائل فانه الى الامر الى قتل حل اراقة دم او التقدير لا يحل تعمد قتل الا في احد
الثلاثة وقد ابعد من قال بدخوله في المفارق للجماعة ولا يخفى ان الارتداد حال الاشقياء
من اهل القهر الالهي والطرد الكلي لا يفتح لهم باب القلب فبانية الالهام ولا باب السمع
والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار فارتدوا اثمه طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا
بظلمات الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والنار وحبسوا في ظلمات دار البوار
فنسأل الله لطف العزيز الغفار رواه البخاري ومسلم وتقدم انه رواه الخمسة وقد اخرج
احمد ايضاً لكن عن ابي امامة بن سهل قال كنا مع عثمان وهو محصور في الدار فقال انهم
ليتوعدونني بالقتل قلنا يكفيهم الله يا امير المؤمنين قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل
نفساً فيقتل بها فوالله ما احببت بديني بدلا منذ هداني الله ولا زنيت في جاهلية
ولا اسلام قط ولا قتلت نفساً فبم يقتلونني الحديث الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن اي ايماناً كاملاً بالله واليوم الاخر
اكتفى بطرفي ما يؤمن به لان المدار عليهما او خص اليوم الاخر بالذكر لان الخير والشر وجزاء
الثواب وخوف العقاب كلها راجعة الى الايمان باليوم الاخر فمن لم يعتقده لم يرتدع
عن شر ولم يقدم على خير وتكرير الشرطية في كل جملة للاهتمام والاعتناء بكل خصلة
مستقلة فليقل بسكون اللام وبكسرها اي فليتكلم قولا خيراً او فليذكر خيراً ما فيه منفعة

أو ليصمت بضم الميم ذكره المص أي ليسكت وليترك مما فيه مضرة وشر أو التنويع والمعنى
إذا أراد المؤمن أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا كان أو مندوبا فليتكلم به
وإن لم يظهر له خيره أنه حرام أو مكروه أو مباح فليمسك عنه فالكلام المباح مأمور بتركه مخافة
انجراره إلى حرام أو مكروه أو خشية من غفلة عن ذكره تعالى وفكره ولذا قال الصديق الأكبر
ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله وفي الخبر ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيمة إلا على ساعة مرت بهم ولم
يذكروا الله فيها وفي حديث آخر من صمت نجا فاعلم أن الصمت في وقته صفة الرجال
لما في الكلام من الآفات العظام واختلاف الأحوال من حفظ النفس وإظهار الإتيان
من نتيجة الأشكال وبه يظهر لمعان الطوارق ويطلع شموس الحقائق كما أن النطق في موضعه
من أنفس الخصال وأشرف الشمائل ولذا قال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس وقال
غيره الجاهل إذا تكلم فهو كالحمار فإذا سكت فهو كالجدار وفيه إشعار بأن سكوته في مقام خير من
كلامه إذ لا ضرر في سكوته مع ظهور الشر في رفع صوته ولقد صدق من قال وحقق فتكلم
وسدد ما استطعت فإنه كلامك حي والسكوت جماد فإن لم تجد قولا سديدا تقوله
فصمتك عن غير السديد سداد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن في صحف إبراهيم عليه السلام على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وجاء في خبر إنك
لن تزال سالما ما سكت فإذا تكلمت كتب لك أو عليك وروى أحمد والترمذي والنسائي
أن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لم يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
القيمة وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها
سخطه إلى يوم القيمة والأحاديث في هذا المعنى كثيرة المبنى وقال الفضيل لا حج ولا رباط
ولا جهاد أشد من حبس اللسان على العباد وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان
السكوت من ذهب ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام بطاعة الله من فضة
لكان السكوت عن معصية الله من ذهب وهو صريح في أن الكف عن المعصية أفضل من
الطاعة التي لا يكون تركها معصية وفيه إشارة إلى أن الصمت أفضل من الكلام لكن ذهب
جماعة من السلف إلى تفضيل الكلام ويؤيدهم هذا الحديث حيث قدم الكلام في موضع
المرام وأمر بالسكوت عند عدم وجود قول الخير خوفا من وقوعه في الشر فيفيد أن قول الخير غنيمة و

والسكوت عن الشر سلامة والإيمان مشتق من الأمن والأمان لمن فاته الغنيمة والسلامة
فاته الأمن أما أن يتكلم أو يسكت فإن تكلم إما بالخير وهو ربح وإما بشر فهو خسران فإن
سكت فإما عن شر فهو ربح فإما عن خير فله خسران فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي أن
يكتسبهما وخسرانان فينبغي أن يجتنبهما وما أحسن ما قال بعض أرباب الكمال زيادة
المرء في دنياه نقصانه وربحه غير محض الخير خسران وقد قال تعالى إن الإنسان لفي
خسر الآية وقد قال عز وجل ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قال محمد بن الحسن
أخبرني هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس قال إن الملائكة لا يكتب إلا ما فيه
أجر أو وزر وقد روى البيهقي عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
نائما قبل العشاء ولا لاغيا بعدها إما ذاكرا فيغنم وإما نائما فيسلم وروي أن داود
الطائي لما أراد أن يقعد في بيته اعتقد أن يحضر مجلس أبي حنيفة إذ كان تلميذا له
ويقعد بين أظهره من العلماء ولا يتكلم في مسئلة فلما قوي نفسه على ممارسة هذه الخصلة
سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك وآثر العزلة وقال بشر بن الحارث إذا أعجبك
الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم وورد عن معاذ بن جبل أنه قال كلم الناس
قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله سبحانه وقيل إن أبا بكر رضي الله عنه كان
يمسك في فيه حجرا كذا سنة ليقل الكلام وأما التزام الصمت واعتقاده قربة مطلقا
أو في بعض العبادات كالصوم والاعتكاف فمنهي عنه بخبر أبي داود ولا صمات يوم
إلى الليل وروى الإسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف وورد أيضا في الصوم ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره بالإحسان إليه وتحمل ما يصدر منه و
الأذى عنه وأما ما وقع في رواية من قوله فلا يؤذ جاره فمحمول على ذلك الإكرام
فقد قال عليه السلام أتدرون ما حق الجار إن استعانك أعنته وإن استقرضك
أقرضته فإن افتقر جدت عليه وإن مرض عدته وإن مات اتبعت جنازته وإن
أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه
الريح إلا بإذنه وإن اشتريت فاكهة فاهد له وإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها
ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها أتدرون ما حق
الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله تعالى ذكره الغزالي في الأربعين

وهكذا البيهقي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد قال تعالى والجار ذي القربى
والجار الجنب فقيل المراد بالاول الزوجة والقريب وبالثاني الاجنبي وقيل الاول
المسلم والثاني الكافر وقيل الاول القريب المسكن منك والثاني ضده وعن
عائشة يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا وكامل
ان الجيران ثلثة كافر فله حق واحد بالجوار ومسلم فله حقان الجوار والاسلام ومسلم
قريب فله حقوق ثلثة الجار والاسلام والقرابة وهذا مضمون حديث له طرق
متعددة بعضها متصلة وبعضها مرسلة وروى البزار مرسلا ان رجلا اتى النبي عليه السلام
يشكو اليه جارا له فامر صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه الا ان اربعين دارا جار وبه
اخذ جمع من السلف وقيل في جار المسجد من سمع الاذان والاقامة فيقدر ذلك المقدار
في الدار وقيل من ساكنك في محلة او بلد فهو جارك وروى مسلم عن ابي ذر اوصاني
خليلي اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف
وفي رواية فاكثر ماءه وتعاهد جيرانك وروى البخاري في الادب كم من جار متعلق
بجاره يوم القيمة يقول يا رب اغلق بابه دوني ومنع معروفه وفي الصحيحين ما زال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم
ضيفه بالبشر في وجهه وطيب الحديث معه وتعجيل ما حضر عنده وقيامه بنفسه
في خدمته والطعام ثلثة ايام بقدر وسعه ثم مواعدته بلطيف في تودده واعتذار
في تقصير حقه وروى ابو الليث السمرقندي والبيهقي ان ابرهيم عليه السلام كان يسمى
بالضيفان وكان لقصره اربعة ابواب يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدى معه
وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم اتخذ الله ابرهيم
خليلا قال لاطعامه الطعام واما خبر الضيافة على اهل المدر وليست على اهل الوبر فقيل
موضوع وقيل ضعيف والجمهور على ان الضيافة مستحبة ومذهب احمد والليث بن
سعد واجبة وهذا وبلسان العارفين كان الحديث يشير الى رعاية السالك حال الاقرب
فالاقرب فيبتدئ بتكميل نفسه وبرضيها بذكر الحق والسكوت عن غيره لغلبات الروحانية
واستيلاء سلطان الحقيقة الوحدانية حتى يتبين اولا بنفسه في ذكره ثم يثني ذكره في
ذكره ثم يثني كلا ذكر في ذكر ربه ثم يثني بتكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذي في مقام

في مقام السلوك قريب في مقامه والضعيف الذي السالك في طريق الحق
الداخل في المعرفة عن فادي النفس ولم يصل الى مقام من مقامات اهل الانس
فيكرمه ويزكيه ويونسه بذكر المولى ويحفظه من التذلل لارباب الغنى ومن ذل
محبة الدنيا لتحصيل الحظوظ الطبيعية وهو ان يصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي
ويطيب القلب عن دنس الحدث فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا
بشهود الحق وجماله رواه البخاري ومسلم وفي الجامع الصغير رواه احمد والشيخان
والترمذي وابن ماجة عن ابي شريح وعن ابي هريرة ولفظه من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت انتهى وفي البخاري عن ابي شريح
عن النبي عليه السلام انه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ثلاثا قالوا
ومن ذاك يا رسول الله قال الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال شره
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وروى
البيهقي عن المقداد بن اسود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان يزني الزاني
بعشر نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة جاره ولان يسرق السارق من عشرة
بيوت ايسر عليه من ان يسرق من بيت جاره **الحديث السادس عشر** عن ابي هريرة
ان رجلا من الصحابة وهو ابن عم او جارية بن قدامة او سفين بن عبد الله على ما
ذكره الكازروني وغيره او ابو الدرداء كما ذكره ابن حجر وقال فقد اخرج الطبراني
عنه قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة لكن
يبعد بتعبير ابي هريرة عنه بهذه العبارة اللهم الا ان يقال يبعد السائل اولكنه
ابن عم في الحال او يؤيده انه اخرج احمد عن جارية بن قدامة عم الاحنف بن قيس انه سأل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب
فاعدت عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب لكن نازع في هذا الحافظ ابن حجر بانهم يقولون
ان جارية هذا تابعي لا صحابي قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوصني اي دلني على ما
ينفعني دنيا ودينا ويقربني الى الله زلفى وفي بعض طرق الحديث اخبرني ما يبعدني
من غضب الله قال لا تغضب اي فيما يتعلق بحظوظ النفس والهوى لا فيما يتعلق بحقوق

المولى فردد مرارا وزيد في نسخة لفظ ذلك اي كرر الرجل ذلك السؤال الا وكرر
ذلك السائل مرارا اي ثلث مرات وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية
ابلغ منه وانفع له فيها فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها اي في كل مرة قال لا تغضب
لما علم عليه السلام من حاله ان اختلال امره واضطراب باله من استيلاء الغضب عليه
فامره بما هو اولى بالنسبة اليه واقتصر على جواب موجز جامع لما يديه فان جميع المفاسد
التي تعرض للانسان انما تعرض له من فرط شهوته واستيلاء غضبه وحدته وضرر
ما يقتضيه القوة الغضبية اكثر بالاضافة الى ما تقتضيه القوة الشهوية فلما سأله الرجل
ان يشير اليه بما يتوسل به الى التجنب عن الاخلاق الردية نهاه عن الغضب الداعي الى ما هو اعظم
ضررا واكثر وزرا فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع المسبب وفي الحديث اقتباس
من قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وقوله سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وفي حديث للشيخين ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب وذلك لان الغضب من نزغات الشيطان يخرج به
الانسان عن اعتدال حاله فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الامر المعلوم بل قد يكفر
نعوذ بالله من الحور بعد الكور ويؤيده حديث البيهقي ان الغضب ليفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وعلاجه ان يرى الكل من الله تعالى ويذكر متابعة نفسه وهواه ويذكر
نفسه ان غضب الله اعظم وفضله اتم وكم خالف امر الله وهو سبحانه لم يغضب عليه
ويتعوذ ويتوضأ ويصلي ويشغل نفسه بامر ينفعه في مقام النفس وقد ورد ان من
كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا رواه ابو داود وفي رواية من
كظم الغيظ وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤس الخلائق يوم القيمة
حتى يخيره في اي الحور شاء رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي واخرج
احمد ما تجرع عبد جرعة افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله رواه
البخاري وفي الجامع الصغير رواه احمد والبخاري والترمذي عن ابي هريرة واحمد ايضا
والحاكم في مستدركه عن جارية بن قدامة والطبراني عن ابي الدرداء ولفظه لا تغضب
ولك الجنة واخرج ابن ابي الدنيا بلفظ لا تغضب فان الغضب مفسدة هذا وفي طريق
اخر ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني ولا تكثر علي او قال حدثني واقلل علي لعلي

كي اعقله قال لا تغضب وفي اخرى قلت يا رسول الله اوصني قال لا تغضب ففكرت
حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله وعن عمر قال جعفر الصادق
الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب
واخرج محمد بن نصر المروزي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يا رسول الله
اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه وقال له ذلك فقال كذلك ثم عن شماله
كذلك ثم عن خلفه فالتفت اليه فقال ما لك لا تفقه حسن الخلق وهو ان لا تغضب
ان استطعت وروى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته الا ان الغضب
جمرة توقد في قلب ابن آدم اما ترون الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه فمن احس
من ذلك شيئا فليلزق بالارض وفي رواية فليجلس ولا يعدو به الغضب
وفي رواية اذا غضب احدكم فليقعد وان غضب وهو قاعد فليضطجع وروى احمد
وابو داود اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع
وفي رواية لاحمد اذا غضب احدكم فليسكت قالها ثلاثا وقد ورد عنه عليه السلام
انه قال اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفأ
النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار
وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وفي رواية ابي نعيم عن معاوية
فليغتسل وفي الصحيحين استب رجلان عند النبي عليه السلام واحدهما سب صاحبه
مغضبا قد احمر وجهه فقال عليه السلام اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد
لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل اما تسمع ما يقول النبي عليه السلام
قال اني لست بمجنون قلت قوله هذا ايضا من الغضب ونظيره ما سأل شيخ كبير
طبيبا عن ضعف البصر فقال من اثر الكبر وهكذا سأله عن ثقل السمع وضعف
الظهر وغير ذلك الى ان غضب الشيخ فقال انت مجنون كل هذا من الكبر فقال له هذا
ايضا من الكبر واخرج الطبراني ثلث من اخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله
غضبه في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له
وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه واما
ما نقل عن الفضيل ثلثة لا يلامون على غضب الصائم والمريض والمسافر فمحمول على انه

من كان سبب غضبه مباحًا كالسهو او طاعة كالصوم لا يلام على ما صدر عليه
من حدة كلامه لشدة حال مرامه والله اعلم وكان الشعبي معللا بهذا البيت
ليست الاحلام في حين الرضى انما الاحلام في حين الغضب وعن عبد الرزاق
قال سكبت جارية لعلي بن الحسين الماء يتهيأ للصلوة فسقط الابريق
من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع وجهه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول
والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس فقال قد عفا الله
عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة وعن سهل بن عبد الله
قال لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباده كالارض اذا هم عليها وفنا هم
لديها وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه من خلفه جذبة حتى رأيت صفحة
عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البردة من شدة جذبه فقال
يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فالتفت اليه وضحك ثم امر له بعطاء
رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرني اذا غضبت
اذكرك اذا غضبت قال الطيبي يغضب ويرضى لا كاحد من الورى وقال غيره
الغضب فوران دم القلب وعرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها و الانتقام
بعد حصولها فاطلاقه على الله مجاز اي يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت
يده من الانتقام وانزال العقوبة هذا وقد قال بعض العارفين التحقيق ان الناس في
الغضب على ضربين احدهما مغلوب الطبع الحيواني فلا يمكنه دفعه وهو الغالب في الكفار
والثاني غالب الطبع بالرياضة فيمكنه منعه ولولا هذا والا لكان قوله عليه السلام
لا تغضب تكليفا بما لا يطاق ثم اقوى الاشياء في منع الغضب ودفعه التوحيد
الحقيقي وهو اعتقاد ان لا فاعل في الوجود الا الله وان الخلق آلات لفعله فاذا
توجه اليه مكروه من جهة غيره يرى ان فاعله هو الله لا غيره وان ذلك الغير آلة لفعله
كالسيف للضارب ونحوه وحينئذ يندفع عنه الغضب لانه لو غضب والحالة
هذه لكان غضبه اما على الخالق وهو جرأة منافية للعبودية او على المخلوق وهو
ينافي توحيد الربوبية وكذا جاء في حديث انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر

عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلت ولا لشيء لم افعله لم لم تفعله ولكن
يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذلك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم
بان لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل فيعطي هذا الفاعل في الوجود عند نظر
ارباب الشهود هو الله الموجود المعبود وله آلات كبرى وصغرى ووسطى فالصغرى ما لا قصد له
ووسطى فالكبرى ما له قصد واختيار كالانسان الضارب بالعصا والصغرى ما لا قصد له
ولا اختيار كالعصا المضروب بها والوسطى ما له قصد ولا اختيار له كالدابة فيحمل
معنى الحديث لا تظهر اثر الغضب الا فيما يوافق غضب الرب الحديث السابع عشر
عن ابي يعلى بفتح الياء واللام مضارع علي بفتح فكسر شداد بفتح وتشديد بن اوس
بفتح وسكون رضي الله عنه انصاري خزرجي ابن اخي حسان قال عبادة بن الصامت
وابو الدرداء كان شداد ممن اوتي العلم والحلم سكن بيت المقدس واعقب بها
وتوفي فيها سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة قال المصنف في التهذيب وقبره
بظاهر باب الرحمة باق الى الآن وقيل مات بفلسطين وله خمسون حديثا وكان اذا
اخذ مضجعه يتقلب كالحبة على المقلى يقول اللهم ان النار منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال
يصلي الى الصباح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان
اي فرضه وقدره او اثبته او امر به على كل شيء اي لاجل كل شيء كقوله تعالى ولتكبروا الله
على ما هداكم اي لاجل هدايته اياكم او في كل شيء كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
اي في ملكه او الى كل شيء كذا قيل ولعله مبني على ان الظروف تقوم بعضها مقام بعض
ولا يبعد ان يكون على بناه ومعناه ان الله اوجب على كل شيء كيف ينبغي للفاعل ان
يقوم به ويفعل فيه بعض انواع قدر وبنا ذلك على ان نبه التشبيه فاذا قتلتم اي اذا
قصدتم قتل من جوز قتله شرعا من قصاص ونحوه فاحسنوا القتلة بكسر القاف اي الكيفية
وهي هيئة القتل والاحسان فيها اختيار اسهل الطرق الخ واخفها ايلاما وتعذيبا و
وفيه رد على ما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الاعضاء وتعذيب الاجزاء واذا ذبحتم
اي واذا اردتم ذبح ما يحل ذبحه من البهائم فاحسنوا الذبحة بكسر الذال وهي هيئة الذبح
وروي الذبح ذكره الكازروني قيل وهو التي في اكثر نسخ صحيح مسلم وهو المصدر لا غير
لكن قال المصنف القتلة والذبحة بكسرهما الذبح مختص بالحيوان واحسان الذبح بالبهائم هو

الرفق بها بأن لا يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع إلى آخر بالشدة في جرها
وإحضارها نية الإباحة أو القربة وتوجيهها إلى القبلة والتسمية وقطع الودجين
أو عروق رقبتها وإحداد الآلة ذبحها لقوله وليحد أحدكم شفرته بسكون اللام وكسر
وبضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال المفتوحة ويجوز كسرها لغة والمعنى ليحددها
والشفرة بفتح أوله السكين العريض والمراد به السكين ونحوه مما يذبح به وليرح
ذبيحته بسكون اللام وبضم الياء وكسر الراء وجزم الحاء من الإراحة وهي جلب الراحة للشيء
أو تسبب إلى حصولها له والمعنى ليوصل الراحة إليها بأن يتركها على حالها حتى تستريح
عن اضطرابها عند ذبحها والذبيحة بمعنى المذبوحة فعيلة بمعنى المفعولة كأنه قال ذابة الذبيحة
أو يكون من باب غلبة الاسمية على الوصفية هذا وينبغي أن يسقيها عند ذبحها وأن
يواري إحدادها عنها لأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك على ما رواه أحمد وابن ماجه
ولا يذبح أخرى قبالتها ثم يمر السكين بسرعة عليها ثم يمهلها حتى تبرد ثم يسلخها
فقد روى الحلال والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة
وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها فقال أفلا قبل هذا أتريد أن تميتها موتات
وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة بأذنها فقال
دع أذنها وخذ بسالفتها أي مقدم عنقها وأخرج عبد الرزاق أن شاة انفلتت
من جزار حتى جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها فأخذ يسحبها برجلها فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لأمر الله وأنت يا جزار فسقها للموت سوقا رفيقا
وأخرج أحمد أنه قال رجل يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال إن رحمتها
رحمك الله رواه مسلم وكذا أحمد والأربعة قال العلماء وهذا الحديث متضمن
لجميع قواعد الإسلام لأن الإحسان في الفعل إيقاعه على مقتضى الشرع أو العقل
والأفعال التي تصدر عن الشخص إما أن تتعلق بمعاشه أو معاده والأول إما متعلق
بنفسه وملكه أو أهله وإخوته وأولاده أو باقي الخلق والثاني إما الإيمان وهو عمل
القلب أو الإسلام وهو عمل البدن فإذا أحسن الإنسان في هذا كله وأتى به على
مقتضى دينه فقد أدى ما عليه من أنواع التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فيما
ندب شرعا وعرفا فقوله إن الله كتب معناه أنه واجب وقدر الإحسان على الكل في

في كل شيء يتعلق بمعاده بأن يأتي بالتكاليف على الوجه المشروع ومعاشه
بإصلاح أمور نفسه وبإيصال النفع إلى إخوته علميا وماليا ودفع الضر عنهم
إما في الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة الإساءة بأجزيها وإما في العقبى بأن يبرئ
ذمته عن التبعات المقتضية للعقوبات والإحسان يطلق على الإنعام وعلى
الإتقان والإحكام وفي بعض كلام الوعاظ الكرام أن الإحسان اسم جامع لجميع
أبواب الحقائق وهو إما إحسان في القصد وهو إصلاحه على مقتضى العلم وتزكيته
عزما بأن يأخذ في العمل جدا وتصفيته حالا بأن لا يلاحظ حظ نفسه أبدا وفي
الأحوال بأن يراعي حفظها بالحضور ويسترها عن الناس بالستور ويجتهد
في تحقيق الأمور أو في الوقت بأن لا يفارق المشاهدة أبدا ولا يلاحظ الأمة
أحدا ويجعل هجرته إلى الحق سرمدا ولقد أجاد من أجاد بقوله أحسن بحسبك
أن تسمى محسنا • ما أحسن الإحسان ممن أحسنا • واغنم من الذكر الجميل
أجله • فأجل من كسب الفتى حسن الثنا • وقد قال تعالى إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم وإن الله يحب المحسنين وإن رحمة الله قريب من المحسنين
وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان وأحسن أنواع الإحسان وأكمل مقامات
أفراد الإنسان ما في حديث جبريل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا
في الدنيا وأما في العقبى فهو أن تراه وتغيب عما سواه وتفنى ثم تبقى ببقاه
الحديث الثامن عشر عن أبي ذر جندب بضم الجيم وضم الدال وفتحها ذكره النووي
وقال ابن حجر بتثليث الدال فيفيد جواز كسرها مع ضم أولها وهو مخالف لما في كتب اللغة
وضبط الأسماء وللاختصار على الوزنين معروفة في الصرف ثم جندب كدرهم لغة في
جندب الجراد معروف واسم علي ما في القاموس ابن جنادة بضم الجيم قاله النووي وأبو
عبد الرحمن معاذ بن جبل بضم الجيم رضي الله عنهما أي عن أبي ذر ومعاذ ثم أبو ذر غفاري
روي عنه أنه قال أنا رابع الإسلام أسلم ورجع إلى قومه ثم هاجر إلى المدينة وورد
بروايات متعددة أنه أصدق الناس لهجة وهو أحد النجباء من أصحابه صلى الله عليه وسلم
وزهادهم وكان يرى أن من ادخر على صفراء أو بيضاء كوي بها يوم القيمة وقال علي
في حقه وعاء ملئ علما أوكي عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض روي له مائتا حديث

واحد وثمانون حديثاً مات بالربذة سنة ثلاثين وصلى عليه ابن مسعود ومات
بعده بعشرة بالمدينة ومعاذ انصاري اسلم وعمره ثمان عشرة سنة شهد بدراً
والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روي له مائة حديث وسبعة
وخمسون وورد انه صلى الله عليه وسلم قال اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه قال
له يا معاذ اني لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله قال لا تدع ان تقول
في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وانه قال يأتي معاذ
يوم القيمة بين يدي العلماء رتوة اي رمية سهم او خطوة او درجة وقال مالك
بلغني ان ابن مسعود قال ان معاذاً كان امة قانتاً لله فقيل يا ابا عبد الرحمن انما
ذكر الله بهذا ابراهيم عليه السلام فقال ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس الخير
وان القانت هو المطيع وفي رواية قال انا كنا نشبهه بابراهيم عليه السلام
ثم هو ممن جمع القرآن في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام استقرؤا
القرآن من اربع عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وابي ومعاذ مات بناحية
الاردن في طاعون عمواس وهو بفتح اوله قرية بين الرملة والقدس نسب اليها لانه
اول ما ظهر منها سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقبره منور يزار
شرقية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اي لكل منهما او لاحدهما وسمع الآخر او
لغيرهما وهما سمعا اتق الله امر وجوب لان المراد الخوف والخشية وكف الاذى
واجتناب الزواجر والتقوى لغة حفظ النفس عما يؤذيه كانها جعلت في وقاية
وشرعاً صيانة النفس عن المحظورات واختلف في الصغائر والتحقيق ان التقوى
مراتب من ترك المحظور والمكروه والمباح وما لا يعني والغفلة عن الذكر والشكر
والتبري عما سوى الله سبحانه ولذا قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكما ورد
في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته بان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم مرفوعاً حيث ما كنت اي تستعمل
للمكان والزمان والمعنى اتق مخالفة الحق حيث يراك الخلق او لا يرونك
بنظره سبحانه كما يشير اليه قوله عز وجل واتقوا الله ان الله كان عليكم رقيباً وكما ورد
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لابي ذر اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيته

والمعنى اتق الله في الخلاء والملاء وفي حال النعماء والبأساء فان الله عالم بسر امرك
كما انه مطلع بظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب في حفظ اوامره ومراضيه
والاحتراز عن مساخطه ومناهيه والتقوى هي الكلمة الجامعة للامم
السابقة واللاحقة قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم واياكم ان اتقوا الله فالتقوى من اساس الدين وبه يرتقي الى مرتبة
اليقين واتبع السيئة الحسنة بفتح الهمزة وسكون التاء وكسر الباء
امر من الاتباع والمعنى باشر الحسنات عقيب السيئات وهو ايضاً
للوجوب على ما قيل من ان المراد بالحسنة التوبة بقرينة قوله تمحها فان سائر
الحسنات لم يكفر جميع السيئات والمعنى تمح الحسنة تلك السيئة اي يمحو الله
بها آثارها من القلب او من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة كما قال تعالى
الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقيل الاولى حمل الحسنة على العموم والمعنى اذا ابتليت بسيئة فافعل بعدها
حسنة تمح آثار السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ثبت
في الاحاديث الصحيحة من تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الآية كما في
الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلاً اصاب امرأة قبلة ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر ذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية فدعاه فقرأها
عليه فقال رجل هذه له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمولة على التوبة
اذ جاء تائباً وليس في الحديث ما يدل على انه صدر منه حسنة اخرى ولو فرض
وقوع طاعة كصلوة ونحوها فانه يبقى بالفرض من عموم السيئات ليشمل الكبائر
وحقوق العباد وايضاً لو اخذ بعموم حكمها لترتب عليه الفساد من عدم خوف
في المعاد ويؤيد ما قررنا ما في طريق من طرق وصايا معاذ لما بعثه الى اليمن وان
احدثت ذنباً فاحدث عنده توبة ان سراً فسراً وان علانية فعلانية هذا
وقد اجمع العلماء على ما قاله ابن عبد البر ان الاعمال الصالحة لا تكفر غير الصغائر
نعم قد تخفف الكبائر على ما صرح به النووي واما الكبائر فلا بد لها من التوبة
لاجماعهم على انها فرض وتحريم من تكفير الكبائر بنحو وضوء وصلوة بطلان فرضيته

التوبة وهي فرض عين على الخاصة والعامة قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه
المؤمنون لعلكم تفلحون وفي الصحيحين الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى
رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فحكى ابن عطية عن جمهور اهل السنة
في معناه ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرائض للصغائر فان لم يجتنب لم تكفر
شيئا بالكلية وهو ظاهر آية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اي
بحسناتكم على قواعد اهل السنة لا بمجرد اجتناب كبائركم كما قالت المعتزلة وقال
بعض اهل السنة ان الحسنة تكفر الصغيرة ما لم يصر عليها سواء فعل الكبيرة
ام لا مع القول الاصح بان التوبة من الصغيرة واجبة ايضا ولو لم يأت بكبيرة
لجواز تعذيب الله سبحانه بها خلافا للمعتزلة وقيل الواجب الاتيان بالتوبة
او بمكفرها من الحسنة وهذا الجمع مستحسن في التحقيق والله ولي التوفيق
واما اتباع الحسنة بالسيئة فان كانت ردة فتحبطها والا فلا على مذهب
اهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما وصاه بحقوق الله وما يتعلق باصلاح
نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد من غيره فقال وخالق الناس بخلق حسن
بضم الخاء واللام ويسكن اي وخالطهم مخالطة حميدة وعاشرهم معاشرة
سديدة وهو بسط المحيا وبذل الندى وكف الاذى وحاصله جامل الناس
بما تحب ان يجاملوك به وعاملهم بما يجب ان يعاملوك به وفي وصية بعض
الحكماء عليك بالخلوص مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق وان كان في الاصل
سجية لما ورد مرفوعا ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم الا ان
للانسان قابلية يمكنه ان يتخلق بالاخلاق الحسنة المرضية اذا تعلق به العناية
الربانية وتدل عليه الادعية النبوية اللهم فكما حسنت خلقي فحسن خلقي اللهم
اهدني لصالح الاخلاق لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
عني سيئها الا انت فهو جبلي باعتبار اصله اكتسابي بالنظر الى محله واما ما ورد
عن ابن مسعود فرغ ربك من اربعة الخلق والعمل والرزق والاجل كذا ذكره
ابن حجر ولعله بعطف عليه فتح الخاء بالضم والا فهو بوافق قوله تعالى الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الآية رواه الترمذي اي فرجامعه وقد سبق

وقد سبق بعض مناقبه وله تواليف في التواريخ والعلل وفي الشمائل وقد شارك
البخاري ومسلما في كثير من شيوخهما وروى عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام
الصنعة محمد بن اسمعيل البخاري وحسبه بذلك فخرا وقال حديث حسن وانما قاله
لابي ذر لما جاء اليه وهو مختف بمكة فاسلم واراد المقام معه عليه السلام فامره
ان يلحق بقومه على ان ينفعهم الله به وقال له اتق الله حيث كنت الحديث
ولمعاذ لما بعثه الى اليمن معلما لهم وقاضيا فيهم وقد امتثل رضي الله عنه هذه
الوصية ومن ثمه لما بعثه عمر رضي الله عنه على عمل قدم منه وليس معه شيء فعاتبته
امراته فقال لها كان ضاغطا اي ظابطا يضيع علي ويمنعني من اخذ شيء ولذي
واراد به عز وجل وظنت امراته ان عمر بعث معه رقيبا فقامت تشكو الى الناس
وفي بعض النسخ اي نسخ الجامع حسن صحيح وقد سبق اجوبة عن وجه الجمع بينهما
وفي شرح الكازروني حسن من حديث معاذ صحيح من حديث ابي ذر واما قول ابن حجر
تحسينه لهذا الحديث مقدم على ترجيح الدارقطني ارساله للقاعدة المقررة
ان المسند لزيادة علمه مقدم على المرسل ففيه بحث لان الدارقطني يقدم سند
ارسال الحديث على اسناد الاتصال وهو لا ينافي كونه حسنا او غيره واما قوله
ويؤيد تحسين الترمذي انه ورد لهذا الحديث طرق متعددة عن احمد والبزار
والطبراني والحاكم وابن عبد البر يفيد مجموعها حسنه ففيه نظر ظاهر اذ لم يقل احد
بتضعيفه حتى يفيد تعدد الطرق تحسينه بل تعدد الطرق الحسنة يفيد تصحيحه
فيكون الحديث حسنا لذاته صحيحا لغيره وكذا قوله ويؤيده ان الحاكم قال صحيح على شرط
الشيخين وان قيل انه وهم منه لان ميمونا احد رواته لم يخرج له البخاري شيئا
ولم يصح سماعه من احد من الصحابة فلم يوجد فيه شرط البخاري كذا ذكره ابن حجر
وفيه ان عدم اخراج البخاري له لا ينفي كونه على شرطه وكذا عدم سماعه من الصحابة
لا يفيد ان سنده غير صحيح بل يكون منقطعا وهو مختلف في ضعفه على ان شرط
السماع انما هو معتبر عند البخاري دون مسلم لانه يكتفي باحتمال السماع عند امكان
الاجتماع فهو صحيح على شرط مسلم من غير النزاع بل وشرط البخاري ذلك من غاية الاحتياط
والا فالجمهور على خلافه ثم اعتبار صحة الحديث هذا وقد قال سهل لا معين الا الله مولى

صلى الله تعالى عليه وسلم

ولا دليل الا رسول الله ولا زاد الا التقوى انتهى وقال الكتاني قسمت الدنيا على البلوى
وقسمت الجنة على التقوى وقال النصرآبادي من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة
الدنيا قال تعالى وللدار الآخرة خير للذين اتقوا وقيل التقوى على وجوه للعامة
تقوى الشرك وللخواص تقوى المعاصي وللاولياء تقوى التوسل بالافعال وللانبياء
تقويهم منه اليه واما الخلق فقد روى الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن سبط
الحسن ان من احسن الحسن الخلق الحسن وفي حديث انكم لن تسعوا الناس
باموالكم وانما تسعونهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقيل لذي النون المصري
من اكثر الناس هما فقال اسوءهم خلقا وقال وهب ما تخلق عبد بخلق اربعين
صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة فيه ثم التحقيق كما ذكره بعض اهل التوفيق انه
قد لاح عند ارباب الوفاء بطوالع الوحي ولوامع الوجد ان الانسان جوهر
لطيف نوراني من عالم الامر الرباني شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان
يحظى بكمالهما ويشقى باختلالهما قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات باجناسها
وانواعها ويشتغل بها الى معرفة من استقل بابداعها وقوة عاملة تدرك النافع نافعا
فتميل اليها والضار ضارا فتنفر عنها وذلك امور معاشية تتعلق بحفظ النوع
وكمال البدن او ملكات فاضلة واحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية
النفس عن الرذائل واصولها عشرة شره الطعام والكلام والغضب والحسد
والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء واما تحليتها بالفضائل واصولها
عشرة التوبة والخوف وذكر الموت والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل
والمحبة والرضاء بالقضاء ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق
روية وتنقسم الى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في الاعتقاد بان
يكون توحيد تنزيه بين تعطيل وتشبيه وبين جبر وقدر وفي الافعال بان يكون كرما بين
اسراف وتقتير وفي الاخلاق بان يكون شجاعة بين تهور وجبن وفي الاحوال بان يكون
بائنا كائنا بين محو وصحو فان خير الامور الوسط وحب التناهي من الغلط وبما ذكرنا
تبين لك ان السالك المتقي لا بد له من علم وعمل وتصحيح نيته وتحسين طويته وحسن
الخاتمة فالتقوى باعتبار مبناها وجيزة ومن جهة معناها عزيزة ومحلها ان الله لا يراك

لا يراك حيث نهاك وقيل ويستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل
فيما لم ينل وبحسن الرضا فيما قد نال وبحسن الصبر على ما فات وروي ان ابا حنيفة
ما جلس في الحر في ظل غريمه ويقول في الخبر كل قرض جر منفعة فهو ربوا وذكر التوقاني
ان الجنيد كان جالسا مع رويم والجريري وابن عطا فقال الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق
الالتجاء قال تعالى وعلى الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وقال رويم ما نجا
من نجا الا بصدق التقى قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الجريري ما نجا
من نجا الا بمراعاة الوفا قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطا
ما نجا من نجا الا بتحقيق الحياء قال تعالى الم يعلم بان الله يرى قال الاستاذ ابو القاسم القشيري
ما نجا من نجا الا بالرضا بالقضاء قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قلت جميعها
مندرجة تحت التقوى ففي الحديث كل الصيد في جوف الفرا وعن جابر قال موسى عليه السلام
يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب عن الخلق
فاحببت ان اكافيه ومن شعر ابي الدرداء يريد المرء ان يعطى مراده ويأبى الله الا ما ارادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا الحديث التاسع عشر عن ابي
العباس خير الامة وبحر الحكمة ترجمان القرآن وابو الخلفاء عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
رضي الله عنهما ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد صح عنه عليه السلام انه قال في حقه
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقيل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن اللهم بارك فيه وانشر منه
واجعله من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها وقال مسروق ادركت خمسمائة
من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى ما قال وقال كنت اذا رأيته
قلت اجمل الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس وروي له الف
وستمائة وستون مات بالطائف ودفن بها سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وصلى عليه
محمد بن الحنفية وقال مات رباني هذه الامة وقد استأذنه صلى الله عليه وسلم وهو على
يمينه حين شرب فقال له اتأذن لي ان اعطي الاشياخ اي ابا بكر وعمر وغيرهما فقال والله لا اوثر
بنصيبي منك احدا فوضع القدح في يده وقد عمي في آخر عمره وفي ذلك يقول ان يأخذ الله
من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف
ماثور قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما اي خلف دابته كما في رواية ذكرها الوكلس

بلغ

في وسيطه عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة فركبها بحبل
من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام بضم الميم لانه نكرة مقصودة
ويجوز كسرها بنية الاضافة وهو ابلغ بالنسبة وفي رواية يا غليم وهو تصغير لشفقة او لكونه
صغيرا اقل من نحو عشرة اني اعلمك كلمات ان ينفعك الله بهن كما في رواية لمسلم اي تتعلمهن
وعلمهن وتعليمهن والمعنى اعلمك فصولا مفيدة في دفع اللاواء وجلب الالاء وفائدة
هذا التمهيد ان ينبه المخاطب العبد ويستعد بها سمعه السديد ليفهم ما يلقيه اليه ويتمكن
في نفسه فضل تمكن لديه ثم ايراد الكلمات بجمع القلة للايماء بانها قليلة المباني جزيلة المعاني
يسهل حفظها ويتيسر ضبطها احفظ الله اي امره وحكمه بامتثال اوامره واجتناب زواجره
والرضا بما قدره وقضاه وعدم الالتفات الى ما سواه او احفظ رسم طاعاته
ولوازم عباداته يحفظك اي يحرسك من مكاره الدنيا وشر العقبى ويحمل معنا
احفظ الله فلا يراك حيث نهاك يحفظك في دينك ودنياك احفظ الله اي امتثال
حكم شريعته وحسن الخلوص مع خليقته فان المدار على التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله تجده تجاهك بضم التاء اي حذاءك وتلقاءك بنصره اياك واصل تجاه وجاه
والتاء بدل من الواو كما في تقاة وفي المصر تجاهك بضم التاء وفتح الهاء اي امامك كما في الرواية
الاخرى والمعنى تجد عنايته ورأفته قريبا منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من
انواع العثرات ويسعدك باصناف البركات وهذه استعارة تمثيلية شبه حاله
في معاونة الله اياه ومراعاة حالاته وسرعة انجاح حاجاته بحال من جلس امامك يحفظك
ويراعيك في مقامك وهو تلميح الى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقد اشار
بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب
من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد والامداد بل بمعنى اخر لا يجوز كشفه
لعموم العباد ورمزت اليه حذرا الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب اذا ما ملا شئت
في نوره يقول لي ادع فاني قريب وقال بعضهم لفرط قربه بك لا تراه ولغاية
بعدك عنه ترى شيئا سواه وهو عام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصلح للطلب الا من
خالف هواه وخص الامام اشعارا بشرف المقصد والمرام وبان السالك كالمسافر
الى العقبى متحول عن الدنيا مقبل بكليته على المولى فكان المعنى تجده حيث ما توجهت من امور
الدين

الدين والدنيا المعينة على تحقيق امر اليقين والمعنى اجعله بمرأى منك تجده فانه اكرم
الى ما منك اذا سالت اي اذا اردت سؤال شيء فاسأل الله ولا تلتفت الى ما عداه
فانه المعطي المانع والضار والنافع وخزائن العطايا عنده ومفاتيح المزايا بيده فينبغي ان
لا يرجى الا نعمته ولا يخشى الا نقمته ولا يلتجئ في عظام المهام اليه ويعتمد في جمهور الامور
عليه وقد قال تعالى واسألوا الله من فضله وفي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه اذ
السؤال اظهار شعائر الافتقار والاذعان بسمة العجز والافتقار والافلاس
عن ذروة القوة والطاقة الى حضيض الاستكانة والفاقة وفي الخبر ليسأل احدكم ربه حاجته
كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وقد قال تعالى لموسى عليه السلام يا موسى سلني دعاءك
حتى ملح عجينك واخرج المحامل وغيره قال تعالى من الذي دعاني فلم اجبه فسألني فلم اعطه
فاستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين واذا استعنت اي اردت طلب المعونة
في تحمل المؤنة المتعلقة بامر الدنيا والاخرة فاستعن بالله اذ لا معين سواه ولا مانع
ولا مانح الا اياه وكل معين لا يعين الا بالقاء الداعية في قلبه فلا بد من قطع الوسائط
في مقام قربه كما اشير اليه بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين ولانه لا حول عن معصية الله
الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا باعانة الله تعالى ومن ثمه كانت لا حول ولا قوة
الا بالله كنزا من كنوز الجنة على ما ورد به الخبر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن
بغير الله فيكلك الله اليه وقيل المعنى اذا سالت غير الله فسل الله ان يوفقه اياه واذا
استعنت بما سواه فاستعن بالله ليعينك بخلوص الاعانة والشفقة في قلبه
من قدره وقضاه واعلم حث على التوجه التام نحو الخبر الذي هو المقصود والمرام
ان الامة المراد بها هنا سائر البرية لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لفظه لو
بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول عن ان اجتماعهم
على الامداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه من الممكنات ولذا قيل
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم لم ينفعوك اي بشيء من الاشياء
الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء قد كتبه الله عليك اي قدره
واثبته في الذكر وفرغ منه والمعنى وحد الله في الطلب والدفع وجوج الضر والنفع
قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
رفعت

بصيغة المجهول الاقلام اي وثبتت الاحكام لما في جامع الترمذي ان اول ما خلق الله
القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون وفي رواية لابي داود
والترمذي ان اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب في تلك الساعة ما هو كائن الى يوم القيمة
وجفت بالجيم المفتوحة وتشديد الفاء اي يبست الصحف اي كتابه ما زيد في اللوح وفرغ
منها على وفق ما قدر وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وعدم امكان شيء من التغيير
لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول المحو والاثبات مما جفت
به الصحف ايضا لان القضا قسمان مبرم ومعلق او نقول انما في اللوح قابل المحو والاثبات
على نهج الصواب بخلاف ما في علمه سبحانه واليه الاشارة بقوله وعنده ام الكتاب رواه
الترمذي وقال هذا كما في نسخة حديث حسن صحيح وقد روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وورد ايضا قيل يا رسول الله فيما العمل اليوم
افيما جفت به الاقلام وجرت بالمقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير قيل ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد روى جماعة غير الترمذي من عدة
طرق عن ابن عباس وجاء انه صلى الله عليه وسلم وصاه بذلك عن علي وابي سعيد وسهل بن سعد
وعبد الله بن جعفر لكن قال ابن منده وغيره اصح الطرق كلها التي اخرجها الترمذي ثم هو حديث
كبير الشان كثير البرهان للدلالة على رعاية حقوق الله والتفويض والتوكل عليه وعجز الخلق
وافتقارهم اليه وشهود توحيده وظهور تفريده وفي رواية غير الترمذي وهو عبد بن حميد
في مسنده لكن باسناد ضعيف وقد رواه احمد باسنادين منقطعين ولفظه يا غلام
او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك
الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت فسل الله
واذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا
ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله
عليك لم يقدروا عليه واعلم ان الصبر على ما تكره خير كثير وان النصر مع الصبر
وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وهذا اتم من حديث عبد بن حميد الذي ذكره
المصنف بقوله احفظ الله تجده امامك بفتح الهمزة تعرف بتشديد الراء الى الله
في الرخاء اي تحبب اليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته ذكره المصنف المعرفة بسبب المحبة

المحبة وقيل اجعله الله يعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته يعرفك بفتح
الياء وكسر الراء اي يجازيك ويمدك في الشدة ويجعل لك من كل ضيق فرجا ومن
كل هم مخرجا وحاصل المعنى تقرب اليه بانواع الطاعات واصناف العبادات
وتحبب اليه وتوكل عليه ولتكون معروفا بذلك لديه فيسهل عليك همومك ويدفع
عنك غمومك بما سلف من تقربك اليه وتذللك لديه واعتمادك عليه وفي حديث
للترمذي عن ابي هريرة من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء
في الرخاء ورواه الحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطأك اي جاوزك
من المقادير من نعمة او شدة فلم يصل اليك لم يكن مقدرا ليصيبك اي لان يصيبك
والا لكان اصابك ولم يتجاوز عنك ولم يتعد عليك وما اصابك من المقدرات
لم يكن مقدرا ليخطئك والمعنى انه فرغ مما اصابك او اخطأك من خير وشر ونفع
وضر وطاعة ومعصية ونعمة ومحنة فما اصابك كانت اصابته لك محتومة فلا يمكن
ان يخطئك وما اخطأك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن ان يصيبك لان ذلك كالسهام
الصائبة وجهت من الازل فلا بد ان تقع مواقعها من غير ان تتغير وتتبدل وقد قال تعالى
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال تعالى وما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها اي نخلقها وقد ورد في مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم
قال ان لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه
وما اخطأه لم يكن ليصيبه وفي خبر آخر فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين
فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وزيد في رواية اخرى بعده
قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك
وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب اليقين وهو العيان بقوة
الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل هو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة
الاسرار بمحافظة الافكار اي ان تيقن قلبك بالقضاء يعينك على الرضا بما اصابك
من البلاء وان لم تصل الى هذا المقام فتجرع الصبر فان في الصبر خيرا كثيرا التحقيق انه لم
كما اشار اليه بقوله واعلم ان النصر من الله للعبد على جميع اموره يوجد مع الصبر
اي صبر العبد على مرارته من امتثال طاعته واجتناب معصيته وحلول محنته ونزول مصيبته

قال تعالى واتقوا مع الصابرين وقال الله مع واصبر لحكم ربك وقال تعالى واصبر وما صبرك
الا بالله وقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ومن جملة الخبر النصر بالظاهر كما هو
الغالب او من انتصر بنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي بعلم الله وطلب النصر من عنده
فانما هو من احسانه وكرمه ان ينصره ويقويه على عدوه ومجمل معناه ان الصبر سبب
للنصر وان الفرج بفتحتين الخروج من الغم مع الكرب بفتح وسكون اي الغم الذي يأخذ
بالنفس اي لا يدوم على احد امر من الكرب والشدة ولا بد عقباه من الفرج والخلاص
من المحنة ولذا ورد اشتدي ازمة تنفرجي فينبغي للعبد ان يكون صابرا على
ابتلاء مولاه وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره وقضاه فانه ارحم الراحمين
والكرم الاكرمين وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى فان مع العسر يسرا فذكر العسر
مرة واليسر مرتين فان المعرفة المعادة هي عين الاولى بخلاف النكرة فانها غيرها ولذا
قال صلى الله تعالى عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين ولعل المعنى ان الصبر في الدنيا يعقب اليسر في
الدنيا والعقبى ق اخرج البزار وابن ابي حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا الجحر
لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله هذه الاية فان قلت النصر والفرج واليسر
بعد الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل كما هو الاصطلاح المستعار
من مع فالجواب ان المقصود المبالغة في معاقبة احدهما الاخر واتصاله به حتى جعله
كالمقارن زيادة في التسلية والتنفيس وجعلها بمعنى بعد من ضيق الفطن
وحاصل معنى هذا الحديث الشريف هو الحث على التوكل والرضاء ونفي الحول والقوة
الا بالمولى اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وخير وشر ونفع وضر ويسر وعسر وعلم
واجل الا وقد تعلق بقدر الله وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام
شعر جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السراء
والصبر في حال الضراء معتقدا ان الامر كله لله وان كل شيء من عند الله فان تعسر شيء
فبتقديره وان انفتح شيء فبتيسيره وفي الحديث ايضا اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد
ان ينفع لعبده بابا من فضله ابتلاه بشيء من بلائه ثم يخصه بنعمة من نعمائه وما رايت
شيئا من الامتحان الا رايت معه او بعده من مواد لطائف تزيد وسعا لطريق
محبتهم وزيادة لمودتهم والحكمة في ذلك ان يعرف قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة النوائب يعرف

يعرف حلاوة الوصال وبجراحة الهجران تدرك راحة الوجدان وبالنقطة
السوداء في وجه الحسناء تعلم قدر الحسن والبهاء فعلى المؤمن اذا لحقه شدة
في صعوبة مالها ان يعلم انه سيظفر بزوالها الان اما ان يتخلص عنه بالحيوة واما
يحصل له النجاة بالممات وحج تصل اليه من لا يهمل شيئا من امره ولا يضيع حقه
من صبره وشكره وقال بعض المريدين للسيد ابي الحسن الشاذلي علمني الكيميا
فقال له كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
لك وقال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب النفس
لها حالان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فاذا كانت في بلاء فالجزع
والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل ولا رضا ولا موافقة بل
سوء الادب والشرك بالخلق والاسباب والكفر واذا كانت في عافية فالاشر
والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما نالت شهوة طلبت اخرى واستحقرت
ما عندها من النعم من ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب فتخرج
لكل واحد من هذه النعم عيبا ونقصا وطلبا اعلى منها واسنى مما لا يقسم لها وتعرض
عما قسم لها فتوقع الانسان في تعب طويل ولا ترضى بما في ايديها وما قسم لها فترتكب
الغمرات وتخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا ثم في العقبى
كما قيل ان اشد العقوبات طلب ما لا يقسم فاذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها
وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها فاذا عوفيت منه رجعت
الى رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه وتنسى
ما كانت فيه من البلية وحل بها من الويل والى اشد مما كانت عليه من انواع البلاء
والضر عقوبة لها لما قد اجترحت وركبت من العظائم وفطامها وكفا لها عن المعاصي في
المستقبل اذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس فلو احسنت
الادب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة بالشكر والرضاء بالمقسوم
لكان خيرا لها دنيا واخرى فكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضاء عن الله عز وجل
والطيبة والتوفيق واللطف فمن اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضاء
وترك الشكوى الى الخلق وانزال حوائجه بربه ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه عز وجل

والانقطاع اليه هو خير من غيره من جميع خلقه وما نه عطا عقوبة نعما وبلاؤه رداء
وعن فقد نسئته حالة وقوله فعلا انما فعل قوله وفعله اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون فكل افعاله حسنة وحكمة ومصلحة غير انه عز وجل طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به
فالاولى للعبد والاصلح بحاله الرضا والتسليم والاشتغال بالعبودية من اداء الاوامر
وانتهاء النواهي والتسليم في القدر وترك الاشتغال بالربوبية التي هي علة الاقدار
ومجاريها واصولها والسكوت عن لم وكيف ومتى والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته
وسكناته وتستند هذه الجملة الى حديث عبد الله بن عباس وهو ما روي عن عطاء عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لي
يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك فاذا سألت فسئل الله واذا
استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد ان ينفعوك بشيء
لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك بشيء لم يقضه الله عليك
لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله بالصدق في اليقين فاعمل وان لم تستطع فان
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
قال فينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل
به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا ويجد العزة فيهما برحمة الله عز وجل انتهى
وقد افرد هذا الحديث بشرح مستقل لبعض العلماء وهو حقيق بذلك ما هنالك العشرون
لم يتعرض المصنف للفظة الحديث من ههنا الى آخر الكتاب كذا قاله الشارح الكازروني
وغيره وانما وقع في اصل ابن حجر من قوله الحديث الموفي عشرين مخالف للنسخ المعتبرة
ثم اعلم ان العشرون يطلق على مجموع عدده ومنه قوله تعالى ان يكن منكم عشرون ويطلق
على العدد المكمل للعشرين مجازا كما هنا لانه تم به العشرون عن ابي مسعود عقبة بن عمرو
الانصاري الخزرجي البخاري البدري شهد العقبة الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا
عند الجمهور وانما نسب الى بدر لانه نزل فيه لكن الزهري ومحمد بن اسحق والبخاري قالوا
ذهبوا الى انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة ومات بها في خلافة علي وقيل بعد يوم
الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين الى غداة الجمعة لسبع بقين
من رمضان سنة اربعين وروي له مائة حديث وحديثان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

مطلب
ذكر لفظ الحديث

ان مما ادرك الناس بالرفع على الفاعلية والراجع الى المحذوف آخرا على ضمير يعود
الى ما والناس مفعوله لكن الرواية على الاول كما قاله الكازروني ولفظة من تبعيضية اي من
جملة ما وصلوا اليه وتكلموا وظفروا به من كلام النبوة الاولى من بيان لما اي كلمات
ذوي النبوة المتقدمة واضاف الكلام اليهم اعلاما بان الحياء من قضايا النبوة
المجمع عليها فما من نبي الا وقد حث عليه وندب الامة اليه بقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
والجملة اسم ان بتاويل هذا القول وفي حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة الا
هذا ولذا قال بعضهم ان من الاولى ابتدائية يقال استحى لكن الاول اصح وافصح
ومنه قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ومنه هذا الحديث على ما في الاصول المعتمدة
خلافا لما يتوهم من شرح ابن حجر فتدبر قال المصنف معناه اذا اردت فعل شيء فان كان
مما لا يستحيي من الله ومن الناس في فعله فافعله والا فلا وعلى هذا مدار الاسلام يعني مدار
احكام الاسلام وذلك بان افعال الانسان اما ان يستحيي منها اولا فالاول يشمل
الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعله
مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة وآخذ ادرك
الحياء هو الدين كله رواه الطبراني عن قرة ثم في كلام المصنف اشارة الى ان صيغة الامر
في الحديث للاباحة فان معناه اذا انت لم تستحي من صنيع امر وفعله فذلك دليل على
جواز ارتكابه وصنيعه وقال بعضهم الامر للتهديد كما في اعملوا ما شئتم اي اذا نزع منك
الحياء فافعل ما شئت فان الله مجازيك عليه ويكون هذا تعظيما للحياء وتجليلا في حقه
بالثناء وقيل امر بمعنى الخبر اي صنعت ما شئت وقيل المعنى انك اذا لم تستحي من الله
من فعل شيء يجب ان لا تستحيي منه في امر الدين فافعله ولا تبال بالخلق وتعارض هذا
القبيل ما قيل من ان الحياء يمنع العلم والرزق يعني الحياء من الناس ولذا قال تعالى
والله لا يستحيي من الحق ومنه قالت عائشة رضي الله عنها الا نعم نساء الانصار لم يمنعهن
الحياء ان يسألن عن امر دينهن وفي حديث ان دينا هذا لا يصلح المستحيي ولا المتكبر
والمراد منه الحياء المذموم والا فقد صح ان الحياء شعبة من الايمان رواه مسلم والترمذي
عن ابن عمر وفي رواية عنه على ما رواه ابو نعيم في الحلية والحاكم في مستدركه والطبراني
في الكبير الحياء والايمان قرنا جميعا فاذا رفع احدهما رفع الآخر والحاصل انه لا ينبغي ان يغلب

الحياء من الناس على الحياء من الله حتى يستحيي فيما يعتريه من امر دينه او دنياه وبهذا
يتبين لك صحة قوله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا ياتي الا بخير فان المراد به
الحياء الحق اذ لا عبرة بالحق في الشهود المطلق وقيل المعنى اذا بطلت منك من
القوة التي هي اصل كل ضرر وما بقي فيك عيب ولا اثر فافعل ما شئت فانه لا يضرك
داء ولا ينفعك احتماء كما ان الطبيب الحاذق اذا يئس من مداواة المريض وعن
الاحتماء والدواء لما ينفعه لفساد مزاجه وعدم قبول علاجه فيأذن المريض ان يستعمل كل
ما يشتهي من الاشياء ولا يامره بالاحتماء ولا شك ان الانبياء للقلوب كالاطباء للقوالب
فهذا التفخيم لامر الحياء ومزيد تعظيم له في مقام الثناء ويؤيده ما ورد على ما رواه الطبراني
عن انس مرفوعا من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله ثم الحياء تغير وانكسار يعتري
الانسان من خوف ما يلام به ق قال الجنيد الحياء رؤية التقصير ورؤية الالاء فيتولد
من بينهما حالة تسمى الحياء وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق
منك الى الرب وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى وقال العارف السهروردي
الحياء اطراق الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن هذا القبيل حياء اسرافيل كما ورد انه يتستر
بجناحه حياء من الله عز وجل وكذا حياء عثمان رضي الله عنه كما قال اني لاغتسل في البيت
المظلم فانطوي حياء من الله عز وجل قيل والحياء وجوه منها حياء الجناية كادم عليه السلام
لما قيل له افرارا منا قال بل حياء منك وحياء الكرم كحياء نبينا عليه الصلاة والسلام
كما في قوله تعالى ان ذلكم يؤذي النبي فيستحيي منكم وحياء الحشمة كعلي كرم الله وجهه حين
سأل المقداد حتى سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها
منه وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال انه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فاستحيي ان
اسألك يا رب فقال الله عز وجل سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك وحياء الانعام
وهو حياء الرب عز وجل يدفع كتابا مختوما الى العبد بعدما جاوز الصراط واذا فيه فعلت ما فعلت
ولقد استحييت ان اظهر عليك فاذهب فاني غفرت لك وفي بعض الكتب قال الله تع
ما انصفني عبدي يدعوني فاستحيي ان اردّه ويعصيني ولا يستحيي مني وقال بعضهم
التحقيق ان الحياء ينشأ عن علم القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه
من مخالفة احكامه ويستقبح ما يصدر من هفوات افعاله وزلات كلامه ولتحمل انواع

انواع البلاء تنشيطا في نظره ولا يشتكي الى غيره فاذا ترقى وتحقق ان الله اقرب الاشياء
اليه استحيى من قربه فوق ما يستحيي من رؤيته فيدعوه ذلك الى المحبة والخلوة معه مستوحشا
من الاغيار مستلذا بروح انس الملك الغفار حتى تطلع عليه انوار التوحيد وتلمع له
بوارق اسرار التوحيد فيستحيي من شهوده المطلق فانيا عن الخلق باقيا مع الحق وهذا
واقل الحياء ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك رواه البخاري وكذا
احمد وابو داود وكذا في رواية احمد ايضا عن حذيفة واخرجه ابن ابي شيبة عن ابي مسعود
الانصاري مرفوعا ولفظه ان اخر ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
وروى الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله
حق الحياء قالوا انا نستحيي والحمد لله قال ليس كذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء
ان يحفظ الراس وما حوى والبطن وما وعى وان يذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد
استحيى من الله حق الحياء وروى البيهقي عن سعيد بن زيد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال اوصيك ان تستحيي من الله كما تستحيي رجلا صالحا من قومك وعن بهز بن حكيم
عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ
عورتك الا من زوجك وما ملكت يمينك قلت يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا
قال فالله احق ان يستحيى منه ووضع يده صلى الله عليه وسلم على فرجه الحادي والعشرون
عن ابي عمرو بالواو وقيل ابي عمرة اي بالتاء التانيث عمر وسفيان بن عبد الله بضم السين
وثلث رواية رضي الله عنه كان ثقفيا عاملا لعمر على الطائف وروايته خمسة احاديث
قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام اي لاجل خاصة من نتائج الايمان في الاسلام
اي فيما يكمل به الاسلام ويستدل به على توابعه من الاحكام قولا كافيا كاملا شاملا
واضحا حتى قيل لا اسأل عنه احدا غيرك اي لا احتاج فيه الى سؤال غيرك وفي رواية
بعدك اي بعد سؤالك هذا قال قل امنت بالله اي وبجميع ما يجب الايمان به من المعتقدات
ثم استقم على اداء الطاعات والانتهاء عن المخالفات وهذا معنى قول المصنف استقم كما
امرت ممتثلا امر الله مجتنبا نهيه انتهى او قل امنت بالله متلبسا للايمان بكل مامور
والانتهاء عن كل محذور فيدخل فيه اعمال التكاليف والابدان من الايمان والاسلام والاحسان
وقوله ثم استقم محمول على الثبات فيهما ولفظ الاستقامة قال تشتبه قوله لانه من

فيها فاستقم كما امرت وهي جامعة لجميع انواع التكاليف وقال ق قال الصوفية لان
الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم امر صعب لا يمكن الا اذا كان الداعي
على بصيرة بربه يدعوه من اسم الى اسم وفيه ثم قال عليه السلام كما اخرجه احمد استقيموا
ولن تطيقوا اي حق الاستقامة وقال ابن عباس في قوله تعالى فاستقم كما امرت ما نزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية
ولذا قال عليه السلام لاصحابه حين قالوا قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها
واخرج ابن ابي حاتم لما نزلت هذه الآية شمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما رؤي
ضاحكا واما عطف اخواتها فلا ينافي معنى الاستقامة فان من جملتها ما هو ان لا يقع لهم
ما وقع بالامم السالفة في الدنيا ومنها ذكر احوال الآخرة واهوال يوم القيامة ولعظم تشتت
الزماني فيفيد ان الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام بل باصوله فاذا آمنوا كلفوا بفروعه ايضا
والاظهر انه مستعار للتراخي الرتبي لان الاستقامة افضل من مجرد الايمان لشمولها العقائد
والاعمال والاخلاق والاحوال ولذا قيل الاستقامة خير من الف كرامة وقد نقل انه لا يطيقها
الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي
الحق على قدم الصدق والحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فعن ابي بكر رضي الله عنه لم يشركوا به شيئا او لم يلتفتوا الى آله غيره او استقاموا على ان الله ربهم
وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على طاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وعن ابن عباس
وجمع من السلف استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله وجاء عن الصديق الاكبر في رواية
اخرى انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا الى غير الله وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة
وقيل ينقسم الى استقامة العمل وهو الاقتصار فيه غير متعد من نهج السنة ولا متجاوز عن
حد الاخلاص الى الرياء والسمعة او رجاء العوض وطلب الغرض والى استقامة القلب
وهي الثبات على دوام ذكر الرب والى استقامة الروح وهي الثبات على الحق والى استقامة
السر وهي الثبات على الحقيقة وعند المحققين ان استقامة العمل هي استواء القصد في السير
في الله والاتصاف بصفاته ثم الاستقامة في الله دون الاستقامة بالله المأمور بها
نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى واستقم كما امرت لانه للكامل في مقام جمع الجمع والبقاء
بعد الفناء والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين ولعل هذا هو السر في تخصيص الخطاب به عليه

السلام في قوله فاستقم دون الخطاب العام ويشير اليه ايضا حديث استقيموا
ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما امرت افتقر الى الله بصحة
العزم وقال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول
الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وجده وخاب جهده وقال عارف
العاشق معنى الحديث اذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه ودع الحق حيث
دار اما قضاء واما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضاء الى فترة النفس والهوى رواه
مسلم وكذا الترمذي وقال حسن صحيح وزاد زيادة مهمة في حديثه وهي قلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا ويؤيده انه اخرج احمد لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه اقول وقد يقال
ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق اذا صلحت صلح الجسد كله وربما يقال
لان تقديم القلب للمجذوب والمراد تقديم اللسان والاركان للسالك والمريد والله
سبحانه اعلم بما يريد هذا وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال قلت يا رسول الله اوصني
فقال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ربي الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه
انيب فقال ليهنك العلم ابا الحسن **الثاني والعشرون** عن ابي عبد الله جابر بن
عبد الله الانصاري رضي الله عنهما كان هو وابوه من مشاهير الصحابة شهد العقبة
الثانية وبدرا واستغفر له عليه السلام في ليلة البعير سبعا وعشرين مرة وهو من
الحفاظ المكثرين في الرواية وممن طال عمره حتى كثر الاخذ عنه وعمي آخر عمره وتوفي
عن اربع وتسعين سنة عام ثلاث وسبعين وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة روي له
الف وخمسمائة حديث واربعون حديثا وقتل ابوه يوم احد فاحياه الله وكلمه كفاحا
ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام
شهد باحد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارأيت هذه الكلمة تستعمل للاستخبار
وحاصل معناه اخبرني لان رؤية الاشياء لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما
وصحة للخبر عنها استعملوا ارأيت بمعناه لان الرؤية سبب العلم والعلم سبب لصحة الخبر
عنه فاطلق السبب واريد المسبب البعيد فهو من رؤية البصر او لان العلم بها وسيلة
الى صحة الخبر فاطلق واريد المسبب القريب فهو من رؤية البصيرة والاستفهام فيه بمعنى الامر

لانه للتقرير المستلزم لطلب الخبر وتحمل حقيقة الاستفهام ودخلت على زائدة وهو بمعنى ترى
من رؤية القلب كانه قال اترى اذا صليت المكتوبات اي الخمس المفروضات وصمت
رمضان اي ايام شهره واحللت الحلال وحرمت الحرام اي اعتقدت الحلال حلالا واتيته
والحرام حراما واجتنبته ولم ازد على ذلك المذكور شيئا من سائر العبادات يحتمل ان السائل
لم يكن من اهل الزكوة والحج فلذا لم يذكرهما ويحتمل انه ذكرهما ولم ينقل الراوي اختصارا او
نسيانا او كان هذا السؤال قبل وجوبهما ويحتمل انه اكتفى بقوله وحرمت الحرام لان ترك
الواجب من جملة المحرمات فعلى هذا ذكر الصلوة والصوم للاهتمام بهما ادخل الجنة اي من
غير سبق العقوبة وهمزة الاستفهام فيه مقدرة قال نعم اي تدخلها وذلك لان
اللام في الحلال والحرام للاستغراق فاذا احل كل حلال وحرم كل حرام فقد اتى بجميع وظائف
الشريعة وذلك مستقل بدخول الجنة فان الحلال المراد به المأذون في فعله يشمل الواجب
والمباح والحرام المراد به الممنوع يتناول المكروه التحريمي رواه مسلم قال المصنف في الاصل
ومعنى حرمت الحرام اجتنبته اي معتقدا حرمته ومعنى احللت الحلال فعلته معتقدا حله
اي حال كونه معتقدا حله والله اعلم انتهى كلامه وفيه نظر لان في الحلال يكفي مجرد الاعتقاد كما ذكره
المصنف في شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح الظاهر انه اراد بتحريم الحرام ان يعتقده حراما وان لا يفعله
بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي مجرد اعتقاده كذا نقله عنه وسكت عليه وهو خلاف ما ذكره ههنا
قال السيد جمال الدين المحدث الحق ما قاله ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب عن الحرام لا يكفي بل لا بد من
اعتقاد كونه حراما ومجرد اعتقاد كون الشيء حلالا بدون الفعل كاف انتهى والتحقيق انه
لا يحتاج الكلام في ظاهره الى ذكر الاعتقاد لانه مفهوم من ذكر الحلال والحرام وانما احتيج الى التأويل
قوله حرمت واحللت اذ ليس على ظاهرهما فانه سبحانه هو المحرم والمحلل فتأويل حرمت باجتنبت
كاف وتأويل احللت بفعلت ومقصوده ان يجتنب الحرام ويكتسب الحلال مع ان العلم بتفاصيل
الشرع غير متوجه على كل احد حتى يشترط الاعتقاد المبني على معرفة كل شيء بانه حرام او حلال
بل يكفي العامة ان يكفوا عن المحرمات ويتناولوا المباحات سواء علموا تفصيل ذلك ام لا فلو تناول
احد ما هو حلال في نفس الامر او ترك ما هو حرام في ذاته مع جهله باحكامهما الموجب للاعتقاد
لم يكن مؤاخذا فيهما ولعل ابن الصلاح نظرا الى هذا فقال الظاهر الى اخره نعم يمكن حمل الحديث على
الكمال وهو انه ما اجتنبت شيئا الا وقد اعتقدت انه حرام وما اكتسبت شيئا الا وقد اعتقدت انه

انه حلال وفيه اشارة الى انه ليس عنده شيء من الشبهات ثم لا يلزم من قوله فعلته
فعل كل واحد حلال بخلاف قوله اجتنبته فانه يلزم اجتناب كل حرام وقد سبق ان الحلال بين
والحرام بين فكانه اكتفى بهما في بيان احكامهما فان قلت ظاهر الحديث يقتضي ان الاعمال
الصالحة اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحاح
انه قال صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته قلت الجواب ان دخول الجنة بمحض رحمته وفضله كما ان دخول النار بمقتضى
سخطه وعدله واما تفاوت درجات الجنة واختلاف دركات النار فبحسب مراتب الاعمال
لكن لا بد للعبد ان يستعد لفضله وذلك باحسان عمله كما قال تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين وما احسن قول علي كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمني
ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو متعني **الثالث والعشرون** عن ابي مالك الحارث بن
عاصم الاشعري رضي الله عنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه بطاعون هو ومعاذ
وابو عبيدة وشرحبيل في يوم واحد ثالثة ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين روى عنه
جابر بن عبد الله وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور بالضم هو المختار
وقول الاكثرين كما قاله المصنف وقول القرطبي الفتح هو المروي قال السيد جمال الدين المحدث
الطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كانت الرواية بالضم فظاهر فان كانت
بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر لان الفعول بالفتح قد يجيء مصدرا كالقبول او المضاف
محذوف اي استعمال الطهور كذا قاله شارح الحديث ولكن روايتنا في هذا الحديث
بالضم والله اعلم انتهى وفي شرح مسلم للمصنف جمهور اهل اللغة على ان الطهور والوضوء يضمان
اذا اريد بهما المصدر اي الطهارة عن الحدث الاكبر والخبث ويفتحان اذا اريد بهما الاسم
اي ما يتطهر به وقال القاضي عياض وهو ههنا بمعنى المصدر اي الطهارة عن الحدث الاكبر
والاصغر بالبدن وعن الخبث في الملبوس والمكان او هو التنزه عن المستخبثات الحسية
والمعنوية شطر الايمان اي بعض الصلوة فانه شرط من شرائطها والشطر كما يطلق
على النصف يطلق على الجزء كما سيجيء تحقيقه ومنه قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام اي جانبا من اجزاء جوانبه واطلق الايمان على الصلوة كما في قوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس لانها اعظم اثاره واكرم انواره قال شارح

وأما جعل شطرها لأن صحة الصلوة بالأركان وهي أحد الشطرين وبالشرائط وهي
الشطر الآخر ولما كان أظهرها وأكثرها أهمها الطهارة جعلت كالشروط كلها شطرا
على الاتساع انتهى وفيه ما لا يخفى من النزاع وقال بعضهم المراد بالطهور الوضوء بنفسه وما في
معناه من أنواع الطهارة وأصناف النظافة والأفعال التي في الوضوء لما ذكره بقوله وقيل
معناه ينتهي تضعيف ثوابه إلى نصف أجر الإيمان أي أجر أصل الإيمان وهو في غاية من البعد
لأن الإيمان شرط الصحة لجميع الأحوال والأعمال فكيف يقابل نصف أجره بأجر وسيلة من وسائل
عمل الصلوة ولو كان في أعلى درجات المضاعفة مع أن أجر الوضوء متوقف على صحة النية
وهي متوقفة على وجود صفاء الطوية وثواب أصل الإيمان لا يعرفه غير الله سبحانه ثم قوله الإيمان وقيل
يجب ما قبله من الخطايا يعني من الصغائر والكبائر وحقوق العباد وغيرها فلا يلائم قوله
وكذلك الوضوء لأن الصلوة مع أصالتها لا تمحو إلا الصغائر فكيف بالوضوء على أن
المكفرات متعددة وأيضا التشبيه يقتضي المثلية لا النصفية ثم قوله لكن الوضوء
متوقف صحته على الإيمان فصار نصفا فيه بحث ظاهر لأن المتوقف على الإيمان أشياء
كثيرة من عبادات مستقلة ووسائل مستتبعة فكيف يكون الوضوء وحده نصفا من
الصلوة باستقلالها مع انضمام غيرها لا يصلح أن يكون نصفا له لا سيما على مذهب
أهل السنة والجماعة من أن الأركان غير داخل في أصل الإيمان بل أمر زائد معبر عنه بالكمال
في مقام الإحسان ثم قال وقيل المراد بالإيمان الصلوة والطهور شرط لصحتها فصار
كالشطر وفيه ما قدمنا من التحقيق وأنه لا يصح في مقام التدقيق والله ولي التوفيق
ثم قوله وقيل غير ذلك لعله إشارة إلى ما اخترناه أولا وآخرا ما قال بعض الصوفية
من أن الطهور تزكية النفس عن الرذائل والأخلاق الدنية وهي نصف الإيمان إذ
النصف الآخر التحلية بالفضائل والاعتقادات الحقية والتخلية مقدم على التحلية
وحاصله أن الإيمان مشتمل عليهما فيكون كل نصف الآخر وبيانه ظاهر في كلمة التوحيد
فإنها مشتملة على تخلية القلب من وجود سوى المعبود بالحق وتحلية بإثبات توحيد
الرب في الشهود والمطلوب مع الإشارة إلى إثبات الصفات السلبية والنعوت
الثبوتية وقيل للإيمان ظاهر وهو الإقرار والتسليم وباطن وهو الإخلاص والتصديق
فبالإقرار بلا إله إلا الله طهارة الظاهر عن الشرك والبراءة عنه وبالتصديق والإخلاص

والإخلاص طهارة الباطن عن الشك والنظافة عنه فنصف الإيمان تطهير
الظاهر وكماله تطهير الباطن وهذا المعنى يقوي القول بأن الإقرار شطر للإيمان
والله تعالى ولي الإحسان وقال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر عن الحدث
والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة ثم تطهير السر
عما سوى الله تعالى انتهى وفيه إشارة إلى ما سبق من اعتبار التخلية والتحلية فإن
المقابل لما ذكر هو التلطخ بالنجاسة الحقيقية والحكمية والتدنس بالأعمال الردية والدنية
والتبعد عن الله تعالى وبالاشتغال بما وراءه من الأمور الكونية وقد قارب هذا المعنى
بعض الفقهاء في تحصيل المعنى بناء على أن المراد بالإيمان الكامل بالمعنى الأعم المركب من
ثلثة أجزاء وهو تصديق الجنان وإقرار اللسان وعمل الأركان فإنه وإن كثر خصاله
لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر عنه وهو محذور عنه اعتقادا وقولا وفعلا
وخلقا وحالا وما ينبغي التلبس به وهو كل مأمور به كذلك فهو شطران وفهو نظير
خبر الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وأما حديث ابن ماجة وابن حبان في صحيحه
إسباغ الوضوء شطر الإيمان وفي رواية الترمذي والوضوء شطر الإيمان فليس على
ظاهره بل يتعين تأويله بأن المراد بالشطر هو الجزء وفي القاموس نصف الشيء وجزؤه
ومنه حديث الإسراء فوضع شطرها أي بعضها ويتعين لو كان المراد به النصف لفرغت
الخمسون في المرة الثانية فيتعين أن يراد به الخمس لما جاء في روايات أنه فوضع عنه عشرا
وأما حديث أحمد والطهور نصف الإيمان فمحمول على ما قدمناه من تقسيم الإيمان بالتوسع في
من الإحسان مع أنه قد لا يراد به حقيقة التنصيف كقول شريح وقد قيل له كيف أصبحت
ونصف الناس علي غضبان يريد أنهم بين محكوم له راض وبين محكوم عليه غضبان
فهما جزءان مختلفان ومنه قول الشاعر شعر إذا مت كان الناس نصفين
شامت بموتي ومثن بالذي كنت أفعل أي يصيرون قسمين ومنه حديث
تعلموا الفرائض فإنها نصف العلم وكذا قول مجاهد المضمضة والاستنشاق
نصف الوضوء على أنه قد يقال الإيمان تطهير الباطن من دنس الكفر والوضوء تطهير الظاهر
من وسخ الوزر ثم رأيت أنه ذكره صاحب النهاية والله ولي الهداية والحمد لله على
الميزان روي بالتاء المثناة من فوق وبالياء آخر الحروف فالأول بتأويل الكلمة

والثاني بتأويل القول كذا ذكره السيد جمال الدين وقول المص أي ثوابهما يشير إلى
الأول فتأمل وقد أبعد من قال المراد بالحمد لله الفاتحة والمعنى أن ثواب التلفظ بمبناها
مع استحضار معناها يملأ كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات وذلك أن حمده
سبحانه على ذاته وصفاته وأفعاله في إظهار الموجودات وآثار المصنوعات مما يوجب
عظمة ملأ الميزان بتقدير تجسمه أو باعتبار صحفه وفي الحديث إثبات الميزان ذي الكفتين
واللسان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة قال الغزالي وصفة العظماء أن
مثل طباق السموات والأرض يوزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى والصحيح يوزن مثاقيل
الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل بها الميزان
على قدر درجاتهم عند الله تعالى بفضله وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها
الميزان بعدل الله سبحانه انتهى ونقل الواحدي في تفسيره عن ابن عباس قال يوزن الحسنات
والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع
في كفة الميزان فيثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك
هم المفلحون فيؤتى بعمل الكافر في قبيح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه فذلك قوله تعالى
فأولئك الذين خسروا أنفسهم وقيل لكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين
القسط والأصح أنه ليس إلا ميزان واحد والجمع إما للتعظيم شأنه تحذيرا من السيئات
وتحريضا على الحسنات أو باعتبار الموزونات ويناسبه قوله وأما من خفت موازينه
وأما من ثقلت موازينه وسبحان الله والحمد لله تملآن بالفوقية والتحتية وكذا قوله
أو تملأ ولكن قال الكازروني الرواية فيهما على التأنيث ثم أو للشك فقوله ما بين
السماء والأرض مفعول لأحدهما وفي نسخة صحيحة ما بين السموات والأرض قال المص
أي لو قدر ثوابهما جسما لملأ وسببه ما اشتملتا عليه من التنزيه والتفويض إلى الله تعالى
انتهى وكأنه أشار إلى أنهما أي الحامد له سبحانه على أفعاله ينبغي أن يكون مفوضا إلى ربه
في جميع أحواله والأظهر أن التسبيح يشير إلى التنزيه الذي هو مدار الصفات السلبية
والحمد يومي إلى إثبات الثناء الجميل وهو مدار النعوت الثبوتية وبهذا الاعتبار
يملأ أنوارهما جميع ما في الدار ولقد قيل مصراع ليس في الدار غيره ديار وقد ذكر البيهقي
في تفسيره وابن دحية عن طلحة بن عبد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان

الله فقال هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وهو اسم بمعنى التسبيح
كما حققه ابن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشري ثم الظاهر أنهما يملآن باجتماعهما
ويحتمل أن كلا منهما بانفراده يملأ فقوله أو تملأ شك من الراوي في سماع لفظ الحديث
وتصحيح ضميره أن يكون راجعا إلى مجموع اللفظين أو إلى كل من الكلمتين فاندفع بهذا
قول بعضهم هذا شك فيما يملأ ما بين السماء والأرض هل هو الكلمتان أو أحدهما
انتهى ولا يخفى أن الشك لا يجوز أن ينسب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتصور
أن الراوي من عنده يتصرف في العبارة ويأتي بآلة الشك ليتم له الإشارة
فكلام هذا القائل باطل ليس تحته طائل وفي رواية النسائي وابن ماجه والتسبيح
والتكبير ملأ السموات والأرض أي كل منهما أو كلاهما والأول هو المعقول لأن
الميزان أوسع مما بين السماء والأرض وأكثر مما يملؤها وقد سبق أن
الحمد لله يملأ الميزان بانفراده فلا وجه أن يراد به انضمامه وقد جاء في حديث أخرجه
الحاكم مرفوعا وصححه بلفظ يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزنت السموات والأرض
لوسعت فيقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي
فيقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد روى أحمد والنسائي
والترمذي لا إله إلا الله لا يعدلها شيء في الميزان وعن أحمد لا يثقل شيء بسم الله الرحمن
الرحيم وفي رواية لأحمد لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله
في كفة مالت بهن والصلوة نور أي ذات نور أو ذاتها نور مبالغة في التشبيه
والمعنى كما قاله المظهر أنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء وتهدي إلى الصواب
يعني كما أن النور يستضاء به ويهتدى قال وقيل يكون ثوابها نورا لصاحبها يوم
القيمة لأنها سبب لاستنارة القلب انتهى وتوجيهه أنها منورة وجه صاحبها
في الدارين ومنه ما روي الصلوة نور المؤمن وجاء من صلى بالليل حسن وجهه وقال
أبو الدرداء صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وفي صحيح ابن حبان مرفوعا من حافظ
عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة وأخرج الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم
قال من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين
وجاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وأخرج أيضا مرفوعا إذا حافظ العبد

صلوته قالت له حفظك الله كما حفظتني فتصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله
عز وجل فتشفع لصاحبها او منورة قلب مصليها لانها تشرح فيه انوار المعارف واسرار
العوارف فيتفرغ فيها من كل شاغل ويعرض عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمتلئ
عليه بشهود قربه ووجود محبته وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد والنسائي
وجعلت قرة عيني في الصلوة وفي رواية الجائع الظمآن يروى وانا لا اشبع من حب
الصلوة ثم هي تزيل الهموم والغموم عن صاحبها ومنه قوله عليه السلام يا بلال اقم الصلوة
ارحنا بها اخرجه احمد والصدقة اي الزكوة كما في رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على
عمومها برهان اي دليل وبيان على صحة ايمان المتصدق بيوم الحساب فان العبد اذا
سئل عن مصرف ماله وقال تصدقت كانت صدقاته براهين في الجواب حيث بذل العاجل
رجاء للآجل من الثواب او برهان على صدق دعواه في محبة الله اذ المحبوبات كلها تبذل
لاجل المحبوب الاكبر فمن انه يدرك بالحواس وفرانه يدرك جلاله بالعقل والقياس ولذا
انفق بعض العرفاء كالصديق الاكبر جميع ماله وبعضهم امسك قدر ما يندفع به الحاجة من
ماله وبعضهم اقتصر على الواجب لضعف حاله والبرهان لغة هو الشعاع الذي يلي وجه
الشمس ومنه حديث ان روح المؤمن يخرج من جسده كبرهان الشمس ومنه سميت
الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه من الدلالة قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم الآية وقال الحصو الصدقة برهان اي حجة لصاحبها في اداء حق المال وقيل حجة في ايمان
صاحبها لان المنافق لا يفعلها غالبا والصبر ضياء اي نور قوي ينكشف به الكربات
وينقلب به الظلمات قال المصواب الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره
الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب انتهى وفي خبر
لابن ابي الدنيا وابي جرير ان الصبر على المصيبة يكتب به للعبد ثلثمائة درجة وان الصبر
على الطاعة يكتب به للعبد ستمائة درجة وان الصبر على المعاصي يكتب به للعبد تسعمائة
درجة قيل فكيف جعل الصلوة نورا والصبر ضياء مع انه سبحانه قال هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا اي ان الصبر هو الاساس المبني عليه سائر الاعمال فلو لم يكن وجوده
لم يتصور صلوة ولا غيرها من الاحوال وفي خبر ما اعطي احد خيرا من الصبر وفي
رواية اوسع عطاء من الصبر وايضا فالوضوء فيه احراق بخلاف النور فانه محض اشراق
و

ولذا وصف شريعة موسى عليه السلام بانها ضياء حيث قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرى للمتقين لما فيها من شدائد الاثقال والاغلال ووصف شريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم بانها نور لقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لخلوها عن
تلك المشاق الدينية واتصافها بالملة السهلة الحنفية ولا ينافيه ما ورد في رواية
الصوم بدل الصبر فانه من بين العبادات مختصة بالاجزاء لا الاجزاء الباطنية لكونه
سببا لاحراق الذنوب الماضوية ولانه احراق فيه اشراق ولهذا ورد الصوم لي وانا
اجزي به واما ما جاء في رواية احمد والترمذي من طريق هذا الحديث والصوم نصف الصبر اي
بعضه او معظمه فهذا وقد قال الامام حجة الاسلام لما كان الانسان مذكورا فيه العقل الذي
الى المصالح والشهوة الباعثة الى الملاذ سمي لم يوجد الصبر في غيره من الملائكة لفقد
الشهوة الصارفة عن الخدمة ومن البهائم لعدم العقل ثم ما دام صبيا ليس له الا شهوة
الغذاء ثم اللعب ثم المنكح فاذا بلغ ظهر باعث الدين والعقل يرشده الى الاعراض عن
الباطل الفاني والاقبال على الحق الباقي وضدا العقل الطبع عن خلاف الشرع هو الصبر وهو
اما بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا كالثبات على الآلام المجردة او نفسي
وهو منع النفس من مقتضيات الطبع الى موافقات الشرع فان كان عن شهوة البطن
والفرج فهو العفة وان كان عن المكاره فمن المصائب بان يحمل النفس على ترك
اظهار الجزع خص بالصبر وهو عند الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وفي النوائب سمي
سعة الصدر وان كان من مبارزة الاقران فهو الشجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي
حلما وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس وان كان عن فضول العيش سمي زهدا
وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة وعلى هذا انتهى كلام الامام فعلم منه ان الصبر يبنى
عليه اركان الايمان والاسلام واحكمت عليه قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلوة فناسب
ان يشبه بالضياء الذي هو اقوى من النور مع انهما قد يتحدان وان في كلام العارفين اشارة
الى ان الصبر اقسام الصبر لله اي عن معصيته وعلى طاعته لاجل مثوبته وهو للعامة
والصبر بالله اي بتاييده وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته عالما بانه لا حول ولا قوة الا بالله
نص عليه بالمنازل وذكر القاشاني انه فوق جميع الاقسام لحصوله بالبقاء بعد الفناء
ويؤيده قوله تعالى لسيد الاصفياء واصبر وما صبرك الا بالله والصبر على الله اي على حكمه

وما فقناه وهو صبر السالك الذي برئ عن التصرف والاختيار ويرى ان المتصرف
فيه وفي الكل والمصرف للامور هو الحق فيصبر على احكامه مع مكابدة الالم والالام
ومنه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والصبر في الله والصبر مع الله وهما لاهل الشهود
والمشاهدة والصبر عن الله وهو لاهل المحبة اذا اراد المحبوب فراق المحب كما قال قائلهم
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهو انواع اشد الصبر مرارة وكذا
سمعه الشبلي شهق لديه وخر مغشيا عليه وانشد ان صوت المحب من الم الشوق
وخوف الفراق ضر اصاب الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا وتحقيق ذلك في
المعارف يطلب من العوارف والقران حجة لك ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه
شهد لك ويصير حجتك ويدل على نجاتك وحسن حالك او عليك ان تركت
تلاوته وخالفت طاعته شهد عليك في مآلك ويلقيك في مهالك وفيه اشارة
الى ان القران سبب الوصول الى اعلى الدرجات او اسافل الدركات وكذا قال تعالى
واعتصموا بحبل الله جميعا الحبل النبيل للمحبوبين وحبل للمحجوبين قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد قال
الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميعها استولى
على اعلى درجات الجنة قال المحققون استيفا جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته
بل باخلاق الله وصفاته ويشير اليه قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران ويومي اليه
قوله الرحمن علم القران هذا وجاء في حديث القران شافع مشفع وماحل مصدق من قدمه
امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفع في قفاه الى النار وقيل المعنى لك او عليك
في القواعد الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجع عند المنازعات العرفية كل الناس يغدو
جملة مستانفة كانه قيل قد تبين الرشد من الغي وهنالك فما حال الناس بعد ذلك فقال كل
الناس يصبح ساعيا في تحصيل اغراضه ومراده مسرعا في طلب نيل مقاصده فبائع
نفسه وفي نسخة بالاضافة وهو خبر مبتدا محذوف هو هو والفا تفصيلية والبيع بمعنى
الشراء لان المشتري يبيع لا البائع وهو مجاز اي يصرف نفسه من الاعراض والاغراض
التي يتوخاها هنالك ويقصد بها من الخير والشر فمعتقها خبر بعد خبر او بدل من قوله فبائع
نفسه والفاء سببية او موبقها عطف عليه اي مهلكها من يسعى في فكاك رقبته من اسر

اسر الطبع باتباع الشرع فيعتقها من العذاب ويخلصها من العقاب ومنهم من يسعى
في هلاك نفسه بمتابعة النفس والشيطان والهوى فيهلكها ويرديها في طريق
الردى فيكون للاول خير الدارين من الامن وللثاني الهلاك والخسران وقال الطيبي
معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم
من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها اي يهلكها انتهى ولا يخفى ان اختيار
ان البيع على بابه كما اشار اليه الحق سبحانه في كتابه بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة الى ان قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
اي الحظ الجسيم فانه النعيم المنعم المقيم قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي النفوس على ثلثة
اقسام نفس لا تشترى لخستها وهي نفوس الكافرين ونفس تشترى لكرامتها
وهي نفوس المؤمنين ونفس لا يقع عليها الشراء لثبوت حريتها وهي نفوس الانبياء
والمرسلين قال المص وقد بسطت شرح هذا الحديث في اول شرح صحيح مسلم فمن اراد زيادة
فليراجعه وبابه التوضيح انتهى وقال الفاكهاني المعنى ان كل انسان يصبح ساعيا في اموره
وهو اما ان يكون الغالب عليه السعي في خلاص نفسه بتوجهه بقلبه وقالبه الى العقبى
وما عند الله تعالى مع الاعراض عن زخارف الدنيا والتقيد باداب الشرع اكتسابا
واجتنابا فهذا الذي قال فيه عليه السلام فمعتقها اي باع نفسه من الله واعتقها عن هواه
وعقوبة مولاه وناهيك بها صفقة اغتنام اذا كان الثمن عنها دار السلام والنظر
فيها الى وجه الملك العلام والعجب من بيع امثل الى العتق وحرية وسيادة بسبب
من عبادة وزهادة فاعتق نفسه من رق المخالفات بل من اقتحام النار وعظيم العقوبات
واما ان يكون ساعيا في مهم اغراضه وهواه مخالفا لغالب تقلباته لسيده ومولاه
فهو الذي باع نفسه من الشيطان وتصدى لغضب الرحمن واختار عذاب النيران على نعيم
الجنان فكان جديرا بالطرد والحرمان نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه ونسأله رحمته وكريم
ثوابه هذا وقالوا يجب على المقيد مخالفة النفس الداعية الى المهالك المعينة للاعداء
المعوقة في البلاد المتهمة باصناف الاسواء المتبعة للاهواء الغالبة على العقلاء والعلماء
مما لا يسلم منها الا الصديقون والانبيا وقال تعالى لا تتخذوا الهين اثنين اراد بالالهين
بل انه الاشاده الهوى لقوله عليه الصلوة والسلام ما عبد اله ابغض على الله من الهوى

العبد

لان كلا ما عبد الا على ما يوافق النفس والهوى ويخالف الكتاب والهدى ولذا قال تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم حين قدره وقضاه وقال ابو يزيد
من اماتت نفسه فيلف في كفن الرحمة ويدفن في ارض الكرامة ومن اماتت قلبه يلف
في كفن العقوبة ويدفن الى ارض العقوبة رواه مسلم وكذا احمد والترمذي والنسائي
وابن ماجه والبيهقي الرابع والعشرون عن ابي ذر الغفاري كما في نسخة رضي الله عنه عن صح
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يروي عن ربه كما في نسخة وفي اخرى فيما روى
عن الله عز وجل وفي نسخة عن الله تعالى وفي اخرى عن ربه والمعنى رويناه عنه انه روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتي من الكلام حال كونه مندرجا في جملة الاحاديث
القدسية التي يرويها عنه سبحانه انه قال والفرق بين الحديث القدسي وبين الفرق بين الحديث القدسي والقرآن
القرآن ان اللفظ المنزل للاعجاز بواسطة جبريل عليه السلام والقدسي اخبر الله تعالى
معناه بالالهام او المنام فاخبر النبي عليه السلام امته بعبارته عن معنى ذلك الكلام
فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقرآن قال الطيبي فضل القرآن على الحديث القدسي انه
نص الهي في الدرجة الثانية وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور فيه
المعنى دون اللفظ وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران يا عبادي الخطاب مع الثقلين
لاختصاصهم بالتكليف في الامور وبتعاقب التقوى والفجور فيهم ويؤيده انه فصل
الخطاب بالانس والجن ويحتمل ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملائكة
والثقلين ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله وجنكم لشمول الاجتنان لهم
ثم توجه الخطاب نحوهم لا يتوقف على صدور الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر
على سبيل الفرض والتقدير اني حرمت الظلم على نفسي التحريم لغة المنع شبه تنزهه عن
الظلم باحتراز المكلف عما نهي عنه والمعنى تعاليت عن الظلم اعتدا بان اعذبه
بلا ذنب او اضيع اجر محسن مع انه لا يجب عليه شيء لكني حكيم في كل باب فاخبره
نفسي عن زيادة عقاب او نقص ثواب والمراد بالنفس الذات وجاء اطلاقه عليه
في حديث هذا وفي قوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك
فقول شارح لا يطلق على الله الا على سبيل المشاكلة مدفوع مع انه لا مقابلة في
الحديث ايضا واغرب ابن حجر حيث اقره وقدر المشاكلة بقوله فان معناه حرمته على

على نفسي فنفوسكم بالاولى مع ان المشاكلة محلها الكلمة الثانية لا الاولى واما قول
لا يجوز اطلاق النفس عليه سبحانه لانها تشعر بالنفس محل لكنا نقول يجوز اطلاقها
من حيث انها ماخوذة من النفاسة لا من النفس بفتح الفاء فهذا اعتبار اخر
مختلفان كالشيء فانه باعتبار معنى المفعول لا يجوز اطلاقه عليه سبحانه ومن قوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير واما باعتبار معنى الفاعل فيجوز ومنه قوله تعالى
كل شيء هالك قل اي شيء اكبر شهادة واما ايهام شمول قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
مع كون المراد كل متنفس فمدفوع بما علم استثناؤه سبحانه قطعا بالعقل والنقل
ومنه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فلا يخطر هذا الوهم بالبال والله اعلم بالحال هذا
ولقد بالغ بعض المانعين وتكلف في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
بجعل الخطاب راجعا الى عيسى عليه السلام على ان الاصل ولا اعلم ما فيها ثم اوقع الظاهر
موقع المضمر فصار معناه ولا اعلم ما في مخلوقاتك انتهى وتعسف ما يمجه السميع
العليم ويدفعه الطبع المستقيم وقول الحصاري تقدست عنه فالظلم مستحيل في حق الله تعالى
لانه مجاوزة الحد او التصرف في غير ملكه وهما جميعا محال في حق الله تعالى
او لانه وضع الشيء في غير موضعه وهو محال ايضا لانه حكيم عليم فيما قدر ودبر
فان قيل قد نفى الله عن نفسه الظلم بقوله وما ربك بظلام للعبيد على سبيل المبالغة
وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم كما توهمه بعض الشراح وقال يتصور فيه لكنه
لا يفعل عدلا منه وتنزها عنه فالجواب ان تعالى صفات الله بلغت غاية الكمال
ونهاية الجلال فلو اتصف بالظلم لكان عظيما فنفاه عنه حد عظمته لو كان ثابتا
او اراد نفي جنس الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ
المبالغة مع انه قد يقال صيغة فعال يجيء للنسبة فمعناه ليس بذي ظلم او ورد
بصيغة المبالغة المفيدة للكثرة لمقابلة العبيد وكثرتهم في عالم الخلقة واما
ما اجاب بعضهم بان الله تعالى في خلقه تصرفين ظاهرا وباطنا فيتصرف الظاهر
ينهى عنه شرعا وبتصرفه الباطن يقضي به ويخلقه حقيقة وهو الاول والاخر
والظاهر والباطن فهذا صحيح المعنى لكنه لا يدفع الشبهة كما لا يخفى ولعله اراد ان تصرف
الباطن على خلاف تصرف الظاهر ليس بظلم منه سبحانه كما يتوهم من ظاهر عبارة

بعضهم وهي التي امرت الشيطان ومنعته منه ونهيت آدم عن اكل الشجرة
وحملته عليه وتحل هذه المسئلة شبهة المعتزلة في خلق الافعال لتوهمهم
انه لولا هذا الوضع ظلم بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الى العدل والاعتدال
مع انهم عنه في حيز الاعتزال وجعلته بينكم محرما واكثر ذكره وان كان اعظم الظلم
وكذا سائر المعاصي تسمى ظلما لان المراد هنا ظلم العباد بعضهم لبعض كما يدل عليه
قوله فلا تظالموا قال المص هو بفتح التاء اي لا تتظالموا انتهى وهو بتخفيف الظاء
في الاصول المعتبرة ونقل ابن حجر انه روي بتشديدها والاشهر بتخفيفها والمعنى
لا يظلم بعضكم بعضا فان الظلم ظلمات يوم القيمة كما رواه الشيخان وروى البخاري
من كانت له مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم درهم ولا دينار من قبل ان
يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه وطرحت
عليه ثم اعلم ان من اعان ظالما ولو بالدعاء بطول بقائه او مال اليه بالوقوف عليه
والتردد اليه من غير ضرورة ملجئة لكونه جملة الظلمة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار وقد سئل ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة هل هو من اعوانهم
فقال لا هو من الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط والابرة ولقد سئل سفيان
الثوري عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الماء قال لا
قيل له يموت قال دعه يموت وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس قال اوحى
الله تعالى الى داود قل للظلمة لا يذكروني فان حقا علي ان من ذكرني اذكره وان ذكري
اياهم ان العنهم وروي انه لما خالط الزهري السلطان كتب اليه اخ له عافانا الله
واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت
شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله فيما افهمك من كتابه وعلمك سنة نبيه واعلم ان ايسر
ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وذللت مرتبة
العالم بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اداك اتخذوك قطبا يدور عليه
رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليه الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا
في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا من دينك فما يؤمنك ان

ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
وانك تعامل من لا يجهلك ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم
وهيئ زادك للسفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء يا عبادي
كرر النداء زيادة لتشويقهم وتشريفهم ولذا اضاف الى نفسه وتنبيها على فخامة
ما بعده وجمعه لافادة استغراق افراده كلكم ضال اي في شانكم وجبلتكم الضلالة
كما ورد انه قال ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره اي في ظلمة الطبيعة
من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات والغفلة عن اسرار المكونات
فرش عليهم من نوره ما نصب لهم من الآيات والدلالات فمن اصابه من ذلك النور
اهتدى ومن اخطأه ضل اي واضاع طريق الرشد الا من هديته بتنوير قلبه وشرح
صدره وتصفية استعداده عما ينافي قبول الحق من ظلمات الشكوك والشبه
والاهواء فينبت فيه شجرة التصديق بما جاء من رسول الكريم ثم تنمو باغصان الطاعات
في كل حين ثم تثمر بثمار المشاهدة واليقين ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة فان هذه ظلمة طارئة على الفطرة الاولى كما يشير اليه ما روي
خلق الخلق على معرفته فاغتالهم الشيطان وقال ابن المبارك يولد على ما يصير اليه
من سعادة او شقاوة فمن علم انه يصير مسلما ولد على فطرة الاسلام ومن علم
انه يصير كافرا ولد على فطرة الكفر ويؤيده قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن وحديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
وحديث فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا المعنى لا ينافي
كون كل مولود متهيئا للاسلام ومستعدا للايمان الا ان بعضهم يختار الكفر
والطغيان على الطاعة والاحسان كما اخبر الله عنهم بقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وبهذا التحقيق يحصل الواسطة
المختارة لاهل السنة بين الجبر والقدر على طريق التوفيق والله ولي التوفيق فاستهدوني
اهدكم فاطلبوا مني الهداية الموصلة التي ادلكم عليها واوصلكم اليها والهداية مرتبة على
لا ينتهي امر احد اليها ولعل حكمة طلبه سبحانه منا سؤال الهداية مع انه تعالى يهدي
من يشاء بحسن الرعاية وجميل العناية اظهار الافتقار والاشعار بانه لو هداه قبل

سؤاله اياه لربما قال انما اوتيته على علم عندي فيضل بذلك عن تحقيق ما هنالك
فاذا سأل ربه اموره الدنيوية والاخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية وله
بالربوبية وهذا مقام شريف ومشهد لطيف وبهذا المعنى يتبين وجه العموم والخصوص
من قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفيه دليل
واضح على ان المهتدي من هداه الله وبارادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه وان غير المهتدي
لم يرد الله هدايته فلم يهتد لذلك ولو اراده لاهتدى فيما هنالك خلافا للمعتزلة حيث
قالوا انه تعالى اراد هداية الجميع على انه تعالى يقول ولو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
ويقول ولو شاء الله ما اشركوا افيجعل ربنا ان يريد ما لا يقع او يقع ما لا يريد فانه تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يقال المؤمن مهتدي فطلبه الهداية تحصيل للحاصل لان المراد
طلب المزيد او الثبات والتأييد على وجه التأبيد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه
زادهم هدى والى المعنى الثاني آمنوا امنوا ويحتمل كلا المعنيين قوله تعالى اهدنا وتحقيقه
ان الانسان مركب من روح روحاني يقتضي العروج الى عالم القدس ومقام الانس
ومن نفس مائلة الى الخلود في السفليات والانهماك في متابعة الشهوات حتى يساعده
التوفيق مولاه الى سواء الطريق واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل الى مقام ا[illegible]
وذلك بارشاده الى تحصيل الملكات الكاملة والاخلاق الفاضلة المعبر عنها
بالصراط المستقيم والدين القويم ولما فرغ من الامتنان بالامور الدينية شرع في الامتنان
بالاحوال الدنيوية فقال يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته بالوسائط والروابط
من الصناعات التي عليها تدور المنافع وبها ينتظم المصالح بمقتضى القسمة الازلية
المقدرة في عالم القضاء كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وقد
نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم انه سبحانه لما اظهر الخلق من العدم في عالم القدم عرض
عليهم الصنائع وخيرهم فيها فاختار كل منهم صنعة قدرت له فلما ابرزهم الى الوجود
اجرى على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى اعملوا فكل ميسر لما خلق له وان الفقراء
طائفة فلم يختاروا شيئا وقالوا انما نحب شيئا نختاره فاظهر لهم مقامات العبادة
فقالوا الآن نأخذ منك فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم لكم ولاجعلنهم غلماء
ما بين يديكم ولا اشغلكم فيهم عن ذكري وخدمتي على انه تعالى قد يرزق بلا سبب معلوم كما روي

كما روي ان موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه وحصول الكلام تعلق قلبه
باهله في ذلك المقام فامره تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت وخرجت منها
صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة
وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي
ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني فاستطعموني اي اطلبوا مني الطعام اطعمكم
بتفتيح ابواب المرام وتسهيل اسباب الانتظام فلا يجوز ابطال حكمه برفع وسائط
الارزاق والاتكال بسبقه نعمة الرزاق فقد روي ان بعض العارفين بلغ من زهده
ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني رزقي
من عند ربي فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يارب
ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله وعزتي
وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة فبسط
في رزقه فاوجس في نفسه ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت انه ان يرزق العباد بايدي العباد احب اليه من ان يرزقهم بيد القدرة
ولا يخفى ان تكفله سبحانه بارزاق العباد من طريق فضله واحسانه استطعاما
بمقتضى لطفه وبره وامتنانه اذ لا يجب عليه شيء من شأنه فمن لا يطعمه
بقي جائعا بعدله وفيه نكتة لطيفة واشارة شريفة الى تأديب الفقراء
الواقفين على ابواب الاغنياء فكانه قال لا تطلبوا الطعام من غيري فانهم يطلبون
انا الذي اطعمهم فاستطعموني اطعمكم كما اطعمهم يا عبادي كلكم عار في اول وجوده
وفي ابتداء شهوده الا من كسوته من عندي بخلوع الكسوة وتقدير الشفقة
دائم حقه وكما نقل عن حكمه عليه السلام ابن آدم انت اسوء بربك ظنا حين كنت
اكمل عقلا لانك تركت الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم اقتحمته عاقلا حين
اصبت رشدك وبلغت اشدك فاستكسوني اكسكم بفتح الهمزة وضم
السين وفيه تنبيه بينة على عجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم الا ان يسر
الله لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام واللباس
اذ لا مندوحة عنهما للناس يا عبادي انكم تخطئون بضم التاء وكسر الطاء في الرواية

المشهورة وقد روي بفتحهما ففي النهاية خطئ في دينه خطأ اثم فيه واخطأ سلك
سبيل الخطأ عمدا او سهوا وقال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى واحد وقيل
المخطئ من اراد الصواب وصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ
من تعمد ما لا ينبغي ومنه رجح رواية الثانية لانه جعل ذنبا مغفورا او الخطأ
من غير تعمد معفو عنه سئل ام لا وتوضيحه ان بعض الفضلاء ضبط بفتح الياء
والطاء على وزن تغفرون وقال اخطأ يخطئ رباعيا اذا فعل اثما من غير قصد
وخطئ يخطأ على وزن علم يعلم ثلاثيا اذا فعل عن قصد ومنه ناصية
كاذبة خاطئة قال وانما يتعين ان يكون هنا يخطئون ثلاثيا لانه جعل
ذنبا يغفر لقوله وانا اغفر الذنوب والخطأ عن غير قصد معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتي الخطأ والنسيان انتهى ويمكن تأييد القول الاول بان الخطأ
ولو كان من غير قصد لكن ربما وقع بتقصير في بعض مقدماته فلا يبعد ان يحتاج
الى المغفرة مع انه وقع الدعاء برفع الخطاء في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا نظرا الى انه لا يجب على الله سبحانه شيء وفي الدعوات
النبوية اللهم اغفر لي ذنبي خطائي وعمدي وكل ذلك عندي فربما يحمل دعاء
امثال ذلك على التلذذ بابتداء غفرانه ما هنالك على انه قد يقال المعنى تذنبون
عمدا وخطأ بالليل والنهار وفي ساعاتهما واوقاتهما وقدم الليل اذ الظلمة
محل الاصل والفجور الطارئ عليها يسترها او لان الظلام يقتضي تقديمه اذ اكثر المعاصي
يوجد عنده وانا اغفر الذنوب اي المتعمدة واعفو عن غيرها جميعا وهو قوله تعالى
ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو اما محمول على حال التوبة واما عام مخصوص
بالشرك وما شاء الله ان لا يغفره لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاستغفروني اطلبوا مني المغفرة اغفر لكم
اي ذنوبكم ولو مع الكثرة وفي الحديث لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء
بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وذلك لان صفة الغفارية
يستدعي ظهور ذلك كما ان نعت الرزاقية ما يستدعي هنالك وظاهر الحديث
ان مجرد الاستغفار مع تحقق الاصرار مفيد في الجملة لانه اظهار الافتقار الى

الى مغفرة الغفار وهو مما يخفف عقوبة الفجار او يؤخرها الى اجل من اطوار
الادوار يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري بفتح اوله وبضم وهو منصوب
بنزع الخافض اي لن تصلوا الى ضري فتضروني منصوب جوابا للنفي
ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى لن تقدروا ان توصلوا الي ضرا ولا
ان توصلوا الي نفعا فالطاعة لا ينفعه والمعصية لا يضره بل ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها والله الغني عن جميع الاشياء وانتم الفقراء
اي المحتاجون اليه في ايجادكم وامدادكم فالنفي غير متوجه الى القيد بل الى مجموع الكلام
كما لا يخفى على الاعلام يا عبادي لو ان اولكم واخركم اي كل افرادكم او الاموات
الذين سبقوكم والاحياء الموجود فيكم ومن لا يوجد بعد منكم وانسكم وجنكم
اي جميع اصنافكم كانوا على اتقى اي تقوى اتقى قلب رجل او على اتقى احوال
قلب رجل واحد منكم وانما قدر هذا ليصح الحمل والمعنى لو كنتم على غاية التقوى
ما زاد ذلك الكون في ملكي شيئا اي من العظمة يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على افجر اي على فجور افجر قلب رجل واحد منكم او على افجر
احواله ولم يقل لفظة منكم هنا لئلا يخاطبهم بالافجرية تفضلا واحسانا
كذا قال الشارح وقال الكازروني وقع منكم في بعض النسخ لكن الرواية
على الاول والمعنى لو اتفقوا على الفجور ما نقص ذلك من ملكي شيئا لانه واجب الوجود
لذاته الثابت في جميع صفاته لا بذاته بكونه غنيا عن الحاجات متصفا بكل
الكمالات فملكه كامل بل لا يتصور وجود اكمل منه كما اشار اليه الامام حجة الاسلام
بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان ثم ما يوجد في الكون من الشر فهو اضافي
وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده بل وجوده مع ذلك خير
من عدمه وقوله شيئا مفعول مطلق ان قلنا نقص لازم اي شيئا من النقصان
او مفعول به ان قلنا انه متعد اي شيئا من الاشياء وهذا وقيل اراد باتقى رجل
منكم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كما اراد بافجر رجل ابليس فانه من الجن عند
الجمهور ولعل هذا ايضا نكتة اسقاط لفظ منكم في الفقرة الثانية فان المقصود
بالذات خطاب الانس وانما ذكر الجن تبعا في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم

وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وهو وجه الأرض وظاهرها أي في مقام
واحد فسألوني في تلك الحالة بألسنة مختلفة حوائج مختلفة وقيد السؤال بالذكر
لأن تزاحم الأسولة وترادف الناس في المسألة مع كثرتهم وكثرة حاجاتهم مما يضجر
المسؤول عنه ويدهشه وذلك يوجب حرمانهم ونقصانهم أو تعسر انجاز مطالبهم
وإسعاف مآربهم وليس كذلك في حق الله سبحانه ولذا قال فأعطيت كل إنسان
مسألته أي مطلوبه وحاجته ما نقص ذلك أي العطاء لعبيدي مما عندي في خزائن
الرحمة التي في أمري وحكمي وتدبيري إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر بصيغة المجهول
ونصب البحر على أنه ثاني المفعول قال العصام هو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء
أي الإبرة ومعناه لا ينقص شيئا لأن ما عند الله لا يدخله نقص بل يدخل
المحدود الفاني وما في كما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي ما ينقص شيئا
مثل الأشياء مثل الذي أو مثل شيء ينقصه أو نقصانا إلا مثل نقصانه في القلة
وإنما ضرب المثل بالمخيط والبحر لأنه وإن كان يرجع بشيء قليل محسوس لكن لقلته
بالنسبة إلى العظم المرئيات عيانا كأن لا يرى ولا يعد شيئا فكأنه لم ينقص منه شيئا
وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم لأنه في التحقيق لا ينقص في خزائن الله شيء
ولا ينقص ماء البحر فأين ذلك مما هنالك وفي معناه قول الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص
علمي وعلمك من علم الله إلا كما ينقص هذا العصفور وهو الذي رآه يشرب من البحر
فإن قلت إن الملك يعطي منه هذا العطاء ولا ينقص شيء من الأشياء فالجواب
أن العلم يقتبس منه ما شاء الله ولا ينقص منه شيء أصلا ثم في هذا الحديث
تنبيه للخلق على الإدامة لسؤاله مع إعظام الرغبة وتوسيع المسألة والعلم بأن منع
بعض عطائه ليس لنقص في خزائنه بل الحكمة تقتضي ذلك أن يكون المنع خيرا له هنالك
ولذا قال ابن عطاء ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك فالعوام يطلبون
الدنيا وزهراتها والخواص يتوجهون إلى العقبى ولذاتها والعارفون يقصدون حضرة
الأحدية ومناجاتها وذلك بعد أن فاح عليهم نفحات الوفا وزكاهم الحق من كدورات
الصفا وحلاهم بأجمل الحلي وأحياهم بعدما أفناهم بنفي البقاء وسقاهم من شراب
الوداد وأسكرهم بحقيقة المراد وكشف لهم الأستار وأطلع عليهم شموس الأسرار وتمم

ودوام حالا بعد حال من بسط وقبض وجذب وحب وجمع وفرق وكشف وستر
وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كأن شيئا لم يزل إذا أتى كأن شيئا لم يكن إذا مضى
فلا يشهدون في الملكوت إلا جمال ذي العزة والجبروت قال الشاذلي إنا لا نرى
مع الحق من الخلق أحدا إن كان فكأنه هباء إن فتشته لم تجد شيئا أي موجودا
وما اشتهر أنه قال بعضهم ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده وما رأيت شيئا
إلا ورأيت الله فيه وما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وما رأيت شيئا سوى الله
فأشار إلى ترقيهم في معارج الأدب ومناهج الطلب يا عبادي إنما هي الضمير
للقصة وقوله أعمالكم على حذف المضاف أي جزاء أعمالكم أحصيها لكم
أي أحفظها عليكم وأكتبها ثم أوفيكم بتشديد الفاء أي أؤديها إليكم تاما وافيا
كذا ذكره السيد جمال الدين وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله أعمالكم يعني ترجع
متعقل إلى ما في ذهني أشير إليه ثم أخبر عنه بما بعده كما قال صاحب الكشاف في قوله
هذا فراق بيني وبينك إنه قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده فأشار إليه
انتهى وفي قوله لكم لطف حكم حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي الضمير إلى ما يفهم من
قوله أتقى قلب رجل وأفجر قلب رجل وهي الأعمال الصالحة والطالحة أعمالكم
أحصيها عليكم أي بعلمي وملائكتي الحفظة أحفظها عليكم ثم أوفيكم إياها أي أؤدي
جزاءها إليكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر فمن وجد وفي نسخة صحيحة عمل خيرا
أي ما يثاب عليه فليحمد الله على توفيقه للطاعة وليعلم أنه من فضل الله ورحمته ومن
وجد غير ذلك أي غير ذلك الخير وهو الشر ولم يذكر للعلم به من جهة مقابله أو لأنه
ليس شرا محضا كما مر في محله أو لأن ذكر الشر شر فتركه خير فإنه من آداب حسن
الخطاب وكمل غير ذلك أعم من الشر فيشمل المباح فإنه بالنسبة إلى الخير شر ولذا
ورد ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها
فمن وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغي أن يلوم نفسه في مقام المراقبة وقال
المحاسبة وكذا قال الشيخ ليس في زيادة العمر في دنياه نقصان ودركة غير محض
الخير خسران فلا يلومن إلا نفسه لتبعيتها على الظلمة الأصلية لما آثرت شهواتها
ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ولم تراع الحكمة فاستحقت

انه يعاملها بها بمقتضى عدله وانه يكرمها من ايادي كرمه وفضله وفيه ايماء
الى ذم ابن آدم وقلة انصافه حيث يحسب طاعته من نفسه وكسبه ولا يسندها
الى توفيق ربه واذا صدر منه شيء من الاوزار يسندها الى الاقدار فانه كان
لا تصرف له على زعمه جهلا كان ذلك فيهما وانه كان له تصرف فلم ينفرد باحدهما
قيل هذا الحديث صريح في ان الخير من الله والشر من النفس كما قال المعتزلة وتاويله
على مذهب اهل السنة ما قيل في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك اضاف السيئة والشر الى النفس لانها السبب فيها لاستجلابها
المعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا
غير ان الحسنة احسان وانعام والسيئة مجازاة وانتقام ولا لوم على الله بحذوه
فانه لا يجب عليه شيء سبحانه وقد اكد الفعل بالنون تحذيرا ان يظن في القلب
عامل عاقل انه لا يستحقه غير نفسه قال البيضاوي افعال العباد وان كانت غير موجبة
للثواب والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطها بها ربط المسببات
بالاسباب وانشد بعض ارباب الالباب اخاف وارجو عفوه وعقابه
واعلم حقا انه حكم عدل فان يك عفوا فهو من تفضل وان يك تعذيبا فاني له
اهل والتحقيق ان السبب الفاعلي للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله
وعدله واما السبب القابلي فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة الا ان قابلية الخير
من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل للاختيار فيه
وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والآثار
الحاجبة للقلب المكدرة لجواهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا
ولذا قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم المجازاة
قد يكون في الدنيا على الحسنات والسيئات كما ورد ان المؤمنين يجازون بسيئاتهم
في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل
النار بسيئاته والمراد بحسنات الكافر طاعات لم يتوقف صحتها على الايمان
كالاحسان الى اليتيم وصلة الرحم واطعام المسكين واعانة الملهوف واداء الضيافة
واعتاق الرقبة وامثال ذلك هذا وفي القرآن ان اهل الجنة يحمدونه بقولهم الحمد لله الذي

الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان اهل النار يلومون انفسهم
قال تعالى حكاية عن ابليس فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال عز وجل ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم رواه مسلم وهو حديث عظيم
من الاحاديث الالهية المسماة بالقدسية وهي اكثر من مائة وقد جمعها
بعضهم وقد انتخبت منها اربعينا وقد ساق المصنف هذا الحديث باسناده
في اذكاره وختم به وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عن الله تعالى
ابا ادريس راويه عن ابي ذر كان اذا حدث به جثى على ركبتيه تعظيما له
واجلالا ورجال اسناد هذا الحديث دمشقيون قال احمد ليس لاهل الشام
حديث اشرف منه واخرجه احمد والترمذي وابن ماجه بزيادة يا عبادي
كلكم مذنب الا من عافيته فسلوني المغفرة اغفر لكم ومن علم منكم اني ذو قدرة
على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وكلكم فقير الا من اغنيته فسلوني
ارزقكم فلو ان حيكم وميتكم واولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا وكانوا
على قلب اتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا وكانوا
على قلب اشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو ان حيكم
وميتكم واولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسأل كل سائل منهم
ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي الا كما لو كان احدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة
ثم نزعها ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي
كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن فيكون هذا وقيل في هذا الحديث
دليل على قدر الاعمال وان من لا عمل له فهو على خطر عظيم في المآل قال القاضي اياس
ابن معاوية كل الناس الا من عصمه الله تعالى قد اتخذوا مذهب المرجئة امنية
فيرجو الجنة بلا عمل الطاعة ويلتمس الرحمة مع الاقامة على المعصية من غير توبة
وقد جاء ان الغرة هي المقام على المعصية وتمني المغفرة وجاء كما لا يجتنى من الشوك
العنب كذلك لا تنال الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان الذين آمنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء ثم وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الى قوله

انه غفور شكور فالواجب على العبد ان يكون بين الخوف والرجاء قال تعالى نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وجاء في الحديث ان
الله لا يجمع على عبد خوفين ولا يجمع له بين امنين وان من خافه في الدنيا امنه
في العقبى وان من امنه في الدنيا اخافه في الاخرى وانشد لقد سمعت لو ناديت
حيا ولكن لا حيوة لمن تنادي **الخامس والعشرون** عن ابي ذر ايضا راوي
الحديث عند اليه رجوعا رضي الله عنه ان ناسا اي جماعة من فقراء المهاجرين من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين النبي والرسول
لا تصافه عليه السلام بهما حقيق بالوصف الاحق حال النداء بقولهم يا رسول الله
ذهب اهل الدثور قال المص بضم الدال والثاء المثلثة الاموال الكثيرة واحدها
دثر كفلس وفلوس بالاجور الباء للتعدية وفيه معنى المصاحبة اي ذهب اهل الاموال
بالدرجات العلى واستصحبوها معهم في الدنيا والعقبى فما حالنا وما لنا حيث لم
يتركوا لنا شيئا من اسباب الخير لانهم يصلون كما نصلي ما كافة او مصدرية ويصومون
كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم اي ونحن لا نقدر على ان نلحقهم في زيادة اعمالهم
وهذا ليس بحسد في اموالهم بل غبطة في حسن احوالهم ورجاء زيادة اموالهم في
مالهم قال اوليس الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي اتقولون كذلك وليس
قد جعل الله لكم ما تصدقون الرواية فيه تشديد الصاد والدال جميعا ويجوز في اللغة
تخفيف الصاد قال المص في شرح مسلم اي تتصدقون به ان بكل تسبيحة اي ان لكم بسبب
كل قول سبحان الله ونحوه من سبوح قدوس وامثالها صدقة اسمها وبكل
متعلق الخبر المقدر وليس بخبر لعدم الفائدة ثم الصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه
القربة واجبا كان او تطوعا فقال القاضي عياض تسميتها صدقة تشبيها بالمال في
اثبات الاجر او على سبيل المشاكلة وقيل معناه انها صدقة على نفسه انتهى وعلى كل
ففيه ايماء الى ان الصدقة للقادر عليها افضل من هذه الاذكار ويؤيده ان العمل المتعدي
افضل من القاصر غالبا والى ان تلك الاذكار اذا احسنت النية فيها ربما يساوي
اجرها الصدقة لا سيما في حق من لم يقدر على الصدقة بل قد ورد ان رجلا في حجره دراهم
يقسمها واخر يذكر الله كان الذاكر لله افضل قيل وفي بعض النسخ ان لكم بكل تسبيحة صدقة و

وهو مع مخالفته للاصول المعتبرة غير مطابق لما سيأتي من ضبط المص عند قوله
وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة حيث قال في شرح مسلم
روينا بالوجهين رفع صدقة ونصبه فالرفع على الاستيناف والنصب عطفا على ان
بكل تسبيحة صدقة انتهى والحاصل انه كل في المواضع الثلثة اما مجرور للعطف على المجرور
الجار في بكل تسبيحة وصدقة منصوب على اسم ان وهذا الوجه هو المختار المضبوط
في اكثر نسخ العلماء الابرار واما مرفوع على انه مبتدأ وصدقة خبره والجملة عطف على محل ان
والمراد بالتكبيرة قول الله اكبر وبالتحميدة الحمد لله وبالتهليلة لا اله الا الله وامثالها ما كان
على معناها وان اختلف مبناها وامر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع ولو على خلاف
الطبع صدقة وقد ضبط في اصلنا المعتمد المقروء على شيخنا بجر امر ونصب صدقة
عطفا على ما قبله وفي بعض النسخ المصحح برفعهما على انهما مبتدأ وخبر والمخصص للابتداء
بالنكرة هنا عملها في المعروف على ما نص عليه ابن ملك وكذا الكلام في قوله ونهي عن منكر
صدقة وفي نسخة المنكر قيل واسقط المضاف مهنا اعتمادا على السابق او قطعا له
عن ذلك الحكم والتنويع للتقليل للاشعار بانه قليلا من هذا النوع يقوم مقام تلك الامور
السابقة فكيف بالكثير وذهب المص في شرح مسلم الى ان التنكير فيه للافراد حيث قال فيه
اشارة الى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ولذا نكرها والى ان الثواب فيهما اكثر منه بالتسبيح ونحوه لانهما فرضا كفاية وتلك نوافل
ومعلوم ان اجر الفرض اكثر من النفل لقوله عز وجل وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي مما افترضت
عليه وورد ان ثواب الفرض يزيد على النفل سبعين درجة انتهى والمعروف هو الصنائع
الجميلة والخصائل الجليلة لانها عرفت في الشرع وكذا عرف باللام والمنكر ما ينكره الشرع
ولا يرتضيه العقل والطبع ولذا نكر للتحقير وفي بضع احدكم صدقة بالنصب والرفع وفي
تعليلية بمعنى الباء السببية قال المص هو بضم الباء واسكان الضاد المعجمة وهو كناية
عن الجماع اذا نوى به العبادة وهو قضاء حق الزوجة وطلب ولد صالح واعفاف
النفس وكفها عن المحارم اي من النظر والفكر والهم والعزم وامثال ذلك والظرف
في كلامه متعلق بمحذوف اي يكون الجماع صدقة اذا نوى العبادة من قصد معاشرتها بالمعروف
الذي امر الله به ثم بالواو في كلام بمعنى او لانه كل من الامور المذكورة سبب لكونه صدقة

ثم البضع بالضم النكاح على ما في الصحاح وقال غيره يطلق على الفرج نفسه والمراد هنا مباشرة
الرجل منكوحته او مملوكته ولما كان الجماع من الامور المباحة واستبعد ان يكون فيه اجر الصدقة
قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر مثوبة قال ارايتم اخبروني
لو وضعها في حرام كان عليه وزر اي انه يترتب عليه عقوبة والاستفهام للتقرير وكذا قال
فكذلك اذا وضعها في الحلال وفي نسخة في حلال كان له اجر بالرفع في اصلنا وفي بعض النسخ
بالنصب قال في شرح مسلم ضبطنا اجرا بالنصب والرفع وهما ظاهران انتهى فالنصب على انه
خبر كان واسمه مستتر فيه اي كان ذلك الوضع له اجرا والرفع على انه اسم كان اي كان له اجر
بوضعه او كان لاجل وضعه اجر وفي الحديث دليل لمن جوز القياس وهم اكثر الاصوليين واحد كون
قياس العكس واختلف فيه ايضا وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات الوزر
الذي هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد الوطء المباح ومثله قول ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم
من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وانا اقول من مات يشرك بالله شيئا دخل النار
ذكره ابن حجر واقول مثله حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله فان الويل لمن طال عمره
وساء عمله واما ما نقل عن بعض التابعين من ذم القياس فهو اما محمول على قياس معارض
للنص واما على ما فقد فيه بعض شروطه وقال المصنف في شرح مسلم فيه اثبات جواز القياس
كما قال العلماء كافة خلافا لاهل الظاهر واختلف الاصوليون في العمل به وهذا دليل لمن عمل به
وهو الاصح وفيه دلالة على ان المباحات تصير بالنية الصادقة طاعات انتهى وقد
ورد من نام عن ورده كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة من الله تصدق به عليه
اخرجه النسائي وغيره واخرج البزار ما من يوم وليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يمن بها
على من يشاء من عباده وما من الله على عبده مثل ان يلهمه ذكره وقيل ظاهر الحديث يقتضي
ان الوطء صدقة وان لم ينو به شيئا كما انه زنى لاثم وان لم ينو شيئا والى هذا اشار
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقياس العكس الذي ذكره حيث قال ارايتم لو وضعها في حرام
ثم قلت النية معتبرة في الزنا ايضا الا ترى انه لو جامع امراة يلقيها على فراشه زوجة
ولم يتبين انها غيرها لا يكون اثما بخلاف ما اذا دخل في حانوت فاحشة على قصد
الزنى بها فوجد امراته هناك ولم يعرفها وجامعها يكون اثما هذا وقد اخرج ابو عوانة
في صحيحه ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة في كل يوم طلعت عليه الشمس قيل يا رسول الله ومن

ومن اين لنا صدقة نتصدق بها قال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد
والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم
وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل
بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة واخرجه احمد بنحوه وزاد ولك في جماعك
زوجتك اجر قلت كيف لي اجر في شهوتي فقال صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان لك ولد
فادرك ورجوت خيره فمات اكنت تحتسب به قلت نعم قال فانت خلقته قلت الله
بل الله خلقه قال فانت هديته قلت بل الله هداه قال فانت كنت ترزقه قلت بل الله
كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء
اماته ولك اجر فان قلت اذا فعل الاغنياء ما ذكر من التسبيح والتحميد والتهليل وفعلها
يبقى شكوى الفقراء على حالها اجيب بان مقصود الفقراء تحصيل ثواب الصدقة لا نفي
زيادتهم المطلقة ونوقش بان الظاهر ان مقصودهم انما كان طلب المساواة لانه ورد
في بعض طرق الحديث عند مسلم قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء رواه مسلم ولفظه في الصحيحين ان فقراء المهاجرين
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم
فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا
بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال ابو صالح
فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال
بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
فعلم بهذا فضيلة غني يشارك الفقير في العبادات البدنية وزاد عليه بالقربات
المالية وهذا لا شك فيه كما قاله ابن دقيق العيد واما الذي تردد النظر فيه اذا
تساويا في اداء الواجب وزاد الفقير بنوافل الاذكار والغني بنوافل الصدقة
وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى الفضل

الافضل ما هو فان فسرناه بزيادة الثواب فالقياس يقتضي ان المصالح المتعدية
افضل من القاصرة وان كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي
يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطبايع بسبب الفقر اشرف فيترجح
الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب
النفس ورياضتها وذلك مع الفقراء اكثر منه مع الغنى فكان افضل بمعنى اشرف
انتهى كلام ابن دقيق العيد وهو في غاية التحقيق ونهاية التدقيق ويؤيده ان الظواهر
من الاحاديث تقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال لحديث احمد والترمذي الا انبئكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله
قال ذكر الله عز وجل ولحديثهما ايضا سئل اي العباد افضل عند الله يوم القيمة قال الذاكرون
الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى يتكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله افضل منه درجة وحديث الطبراني
لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله افضل وبهذا ذهب
جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الذكر افضل من الصدقة واجمع الصوفية على ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر انما خالفه ابن عطا فدعا عليه الجنيد فابتلى بالبلاء بل قال
بعضهم الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ولعل مراده الشاكي الى الله حيث ما وصل
الى مقام الصبر وحال الرضا ويؤيده حديث اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفي رواية
كفافا ويقويه ان الله تعالى جعل اكثر الانبياء والاصفياء في صورة الفقراء وهيئة الضعفاء
حتى قال صلى الله عليه وسلم يدخل سليمان عليه السلام الجنة بعد سائر الانبياء
بخمسمائة عام وقال في حق عبد الرحمن بن عوف انه يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين
بخمسمائة عام وفي رواية يدخل الجنة حبوا واما دعوى ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم عليه سلم
في آخر عمره صار غنيا فلا وجه لها اذ ثبت انه عليه السلام توفي ودرعه مرهونة عند
يهودي ولعد قال الامام حجة الاسلام ان الكافر الفقير عذابه في النار اخف من الكافر الغني
فاذا كان الفقر ينفع الكفار فكيف لا يكون نافعا للابرار ويؤيده انه عليه السلام
قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الآخرة وانه صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه الدنيا وخير بين

ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا اختار ان يكون عبدا وقال اجوع
يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر وفي آداب المريدين اجمعوا على ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر ثم قال فان قيل قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى
والعليا هي المنفقة كما في رواية فالجواب ان الغنى ح افضل من ذلك الفقير بسبب انه
باعطائه القدر اليسير من المال مال الى جانب الفقر فحصل له في الجملة نوع من الكمال
وان الفقير بسبب اخذه من غير اضطراره مال الى جانب المال فوقع له نقصان في الحال
وقد ذكر بعض ارباب التحقيق واصحاب التدقيق جوابا عن هذا الاشكال الا انه يتوقف
على تمهيد ومقدمة على جواب السؤال وهي ان الفقر اسم للبراءة من رؤية الملك
بان لا يرى الملك والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود والا لحق وله مراتب
بعضها فوق بعض من قبض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا والاعراض عنها لسانا
وجنانا ثم الرجوع الى سابقة الازل وهو عدم التوالي فيعلم ان وجوده واستعداده
وحالاته وكمالاته ومقاماته من فضل الله وفيضه الاقدس فيتجرد عن الكل راجعا
الى الله فقيرا ثم تحقق اضطراره بان يعلم ان الوجود الحقيقي لله وانه بالجبر علم حكم سابقة
الازل فلا فعل له ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة الجمع وهذا هو فقر الصوفية
الذي هو فقد الانانية في الفنا في احدية الذات واما الغنى فهو اسم للملك التام وله
اما غنى القلب بالمؤثر الحقيقي عن جميع الوسائط وسالمته بحكم الله تعالى في تمام
المرابط او غنى النفس المطمئنة عن حظوظها وتعلقاتها باستغنائها عن طلب الحق
والغنى بغنى الحق بالفنا في ذاته والبقاء ببقائه فاذا تقرر ذلك فيقال الفقر الذي
تكلموا في شرفه وتفضيله على الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه اولا والاغنياء الذي
فضلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه وخصهم
من مواهب فضله بسائر مراتب الفقر والغنى فلم يكن فضلهم الا بها لا بسبب انفاقهم
واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء وتمنوا ان يسابقوهم اوليا وقوم بها قبلهم
اولا باحوالهم حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم ينتهوا اعلمهم بخصوصيات
المواهب والعطا بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ليعلم انهم اصفياء الفقراء
واحق الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلا كما اشار الى ذلك بعض

الاولياء لله تحت قباب العزة طائفة اخفاهم في رداء الفقر اجلالا لهم السلاطين
في اطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الارض اقبالا غبر ملابسهم شم معاطسهم
جروا على قلل الخضراء اذيالا وحاصله الكل ان نعلم جميع الجميع اعلى مرتبة وهو الرضاء
والتسليم بما جرى به قلم القضاء كما اشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان من
عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلحه
الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد يختلف حال شخص واحد باعتبار فتارة
يناسب الفقر واخرى يناسبه الغنى ولذا قال الفاروق هما مطيتان لا ابالي ايهما
اركب وهذا بالنسبة الى اختيار الرب واما اذا اختير فاختار ما اختاره لمختار
الانبياء بان يكون جامعا بين احوال الاصفياء فتارة يجوع فيصبر على البلاء وتارة يشبع
ويشكر على النعماء فيكون مظهر الكمال في امري الجلال والجمال وتحقيق القضية ان كل
ما يبعد العبد عن قرب الرب فهو مشوم وكلما يقربه الى مقام انسه وحضرة قدسه فهو
مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث وفي الاية كلا ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى ولقد تعوذ صلى الله تعالى عليه وسلم منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر
ومن شر الغنى ثم رأيت بعض الفضلاء ذكر وجها وجيها في تفضيل الفقراء على ما
يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنياء وان شاركوا الفقراء في التسبيح ونحوه فقد
امتاز الفقراء عنهم بمزية جليلة وهي الحسرة التي يجدها الفقراء عند عدم ما
ينفقونه كما ينفقه الاغنياء وقامت تلك الحسرة مقام انفاق الصدقة فان نية
المؤمن خير من عمله ولان تسبيح الاغنياء سبب عن سؤال الفقراء وكلام يتعلم منهم
الى يوم القيمة فانه في المعنى كانه من صدقة عليهم وشتان ما بين الصدقتين نوع
صدقة الاذكار وهي قوت الارواح وتلك صدقة الطعام والشراب وهي قوت
الاشباح واما ما قدره الشيخ ابو طالب المكي فقال ان فضلت الاغنياء اوسادتهم
وان لم يكن قربات اموال وذلك فضل الله فهو بعيد كما لا يخفى على ذوي الانتباه وقيل
الاكفاف افضل من الفقر والغنى فانهما محنتان يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختاره
شيخ مشايخنا الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ويؤيده حديث خير الرزق الكفاف رواه احمد

في الزهد وفي رواية خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا وفي رواية خير الرزق ما يكفي
وقد وقفت طائفة عن التفضيل بينهما وهو الذي يخطر بالبال والله اعلم بالحال ان كلام
الصوفية ليس في فضائل الاعمال بل في مراتب الاحوال بان الصبر على شدة الفقر وقلة
المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة المال وهذا امر واضح لا ينبغي ان يكون فيه خلاف
المآل فان العبد الذي يخدم سيده على الكد والمحنة لا شك انه اكمل من الذي
يخدمه في حال البسط والمنحة فان الثاني يحتمل انقلاب حاله اذا وجد المحن والاول
بطريق الاولى يزيد في الطاعة عند ظهور المحن **السادس والعشرون** عن ابي هريرة
تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده ابن حجر هنا وهو لا اله عما مضى رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل سلامى بفتح السين وتخفيف اللام وفتح
الميم وجمعه سلاميات بفتح الميم وهي المفاصل والاعضاء وهي ثلثمائة وستون
ثبت ذلك في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله العلقمي وهو مبتدأ
موصوف بقوله من الناس ولفظة من للتبعيض وخبره قوله عليه صدقة والعائد
الضمير المجرور وقال ابن مالك حق الراجع الى كل مضاف الى نكرة ان تجيء على وفق
المضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد يجيء على وفق كل كما في الحديث
انتهى ولا يبعد ان يقال تذكيره باعتبار معنى السلامى من العضو والمفصل كما ذكروا
في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اي انعامه وفي قوله لعل الساعة قريب
اي البعث والمعنى على كل واحد من العباد لكل مفصل او عضو صدقة يليق به شكر الله تعالى
بان جعل في عظامه مفاصل يقدر بها على القبض والبسط بسببها او دفعا للبلاء
عنها بسلامتها وبقائها كل يوم بالنصب ظرف لقوله صدقة لانه بمعنى يتصدق
او مرفوع على الاستئناف لكن الرواية على الاول كما صرح به الكازروني وعلى تقدير
ثبوت رفعه فقوله تطلع فيه الشمس صفة كاشفة لليوم لئلا يتوهم ان المراد
مطلق الوقت لا للتأكيد كما قيل وقوله يعدل مع خبره خبره ولا عائد في الاخبار محلا
اي يعدل فيه بين الاثنين اي يصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين صلحا
جائزا بان لا يحل حراما ولا يحرم حلالا كما في حديث وهو مبتدأ على تأويل المصدر
او بان المقدر وارتفاع الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق وفي قوله

تسمع بالمعيدي خير من ان تراه قوله صدقة وقد ثبت بالآيات والاحاديث
النبويات ان الاصلاح بين الناس من افضل القربات واكمل العبادات قال تعالى لا خير
في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال عز وجل
انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وفي الحديث الا اخبركم بافضل من درجة الصلوة
والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين حتى جاز الكذب فيه مبالغة
في وقوع الالفة بين المتنازعين فان الصدق يفضي الى محذور واشد منه في امر
الدين وهو دوام العداوة بين المسلمين صحيح ويعين الرجل اي جنس الرجل المراد به
النكرة في ويب عد الرجل في دابته فيحمله اي فيركب الرجل عليها اي على دابته والضمير
راجع الى الرجل المعين والاول ابلغ وقد ورد من اخاه على شسع فكانه حمله على دابة
في سبيل الله رواه الخطيب عن انس او يرفع له عليها متاعه صدقة اي للمعين على الرجل
وفي الحديث اشارة الى استحباب مراعاة حقوق الاصدقاء المعروفين بل العموم المؤمنين
وهي الاعانة بالنفس والمال وكتمان السر والحال وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمنين
في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
والكلمة الطيبة وهي الباقيات الصالحات صدقة على ما سبق فيه الكلام من التسبيح والتهليل والتكبير
والتحميد ونحوها في معلم النظام وقد ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب او المراد بها الكلام الطيب
في رد السائل قال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى او المراد بها حسن
الكلام مع الانام لانه ما يفرح به قلب المؤمن ويدخل فيه السرور وهو من اعظم الاجور وقد ورد
انه اذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا
رواه في العوارف مرفوعا وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله تعالى مثل كلمة طيبة فانها تطيب
بها القلوب علما ومعرفة ومشاهدة وهي افضل الذكر لانها اجمع للقلوب مع الله وانفع
لنفي ما سواه واشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث النفس
وهواجسها واطرد للشياطين ووساوسها ثم اعلم ان الذكر عبارة عن وجدان الرب
وحضوره بالقلب وله لب هو المقصود وقشور ثلثة فالادنى ذكر اللسان فقط
ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج الى مراقبة حتى يحضر ثم ذكره طبعا بان يتمكن من
القلب بحيث لا يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر و

والذاكر بان يغيب عن نفسه وذكره ولا يلتفت الى فنائه ايضا ذاهبا الى ربه اولا
ثم ذاهبا فيه بالاستغراق به اذ لو التفت الى شيء من ذلك لكان معرضا عن الله
غير منفك عن الشرك الخفي هنالك واو لا يكون كالبرق الخاطف فانه دامت عرج به
الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له
قدس اللاهوت واول ما يتمثل له جواهر الملئكة وارواح الانبياء والاولياء في صور
جميلة تفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق الى ان يعلو درجة عن المثال فيكافح بصريح
الحق في كل الاحوال هذا زبدة كلام الامام حجة الاسلام في الاربعين وبكل خطوة يمشيها
الى المرة الواحدة وتضم اسم لما بين القدمين وقيل هما الفتان بمشيها اي يمشي الرجل
الى الصلوة او نحوها من سائر الطاعات صدقة فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
كانوا بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد فانزل الله
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لهم دياركم يكتب اثاركم ثم قرأ عليهم الاية فتركوا رواه البيهقي وعن عمر بن عبد العزيز
لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي يعفيها الرياح ويميط الاذى يصيح
اوله اي ازالة ما يؤذي المارة من نحو شوك او نجاسة او حجارة عن الطريق صدقة وفوق
هذه ايماء الى انها ادون مما قبلها كما يدل عليه حديث الايمان بضع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق واستحب بعض العلماء
انه اذا اراد ازالة الاذى ان يقول لا اله الا الله ليكون جامعا بين اعلى شعب الايمان
وادناه ويدخل تحت عمومه اماطة الظلم عن طريق الحق وشرعه المطلق او هو
مفهوم بالاولى كما في قوله تعالى ولا تقل لهما اف فما اندفع به قول ابن حجر انه تكلف بعيد
هذا وقال بعض العارفين المراد بالاذى النفس فانها منبع الشر والفساد ومعدن
الظلم والاذى للعباد في البلاد ومحل الآفات والعاهات ولذا قيل التوحيد اسقاط
الاضافات وقال العارف الكاشي اصل التوحيد كشوف سبعين باكشف عيون
صفات الحق كما اشار اليه في حديث الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها كشف
عين الذات وادنى المقام منها افراد القدم عن الحدوث وهو اماطة قذى الكونين عن عين
عيانه القديم وأما ما روي عن الحسن وابن سيرين ان فعل المعروف يوجر عليه وان لم ينوه فيه

نية تبرد وروى حميد بن زنجويه عن الحسن انه من اعطى آخر شيئاً حياءً منه له فيه اجر واخرج ابو نعيم
في الحلية ان ابن سيرين كان يرى ان من تبع جنازة حياءً من اهلها له اجر لصلته اياهم فلا ينافي
ما صح في حديث ابن حبان من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فيه خصالاً كالتصدق
وقول المعروف واعانة الضعيف وترك الاذى ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد
يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله الا اخذت بيده يوم القيمة حتى يدخل الجنة وهو مستفاد
من قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً فان ما ذكر في الكتاب
والسنة محمول على كمال الاجر والثواب كما في نفس الآية اشارة الى ذلك حيث استثنى
ما ذكر من نفي الخير فاثبت له الخيرية ثم رتب الاجر العظيم على تصحيح النية ولولا اعتبار
هذا العموم لارتفع اكثر الخيرات لان اكثر الخلق عاجزون في مثل هذه الافعال عن تصحيح
النيات وايضاً النية انما هي شرط لصحة العبادات المستقلة والثواب منوط بها
ايضاً في الامور المباحة واما المعروفات كصلة الرحم واحسان اليتيم واغاثة الضعيف
واطعام الضيف والمسكين وامثالها فتصحيح النية من كمالها لا لثبوت اصلها ولذا
يجزي الله الكافر في الدنيا على امثال هذه الافعال من مكارم الاخلاق فقول الحسن مستحسن
مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر فتأمل وتدبر فان حاصل الحديث الى التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله وقد قال بعض الاكابر مجمع الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق مع الخلق
رواه البخاري ومسلم وفي رواية يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة
صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة
ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى والمعنى يكفي مجموع هذه الصدقات كلها عن
هذه الاعضاء جميعها ركعتان في وقت الضحى لانها اقل مقدار من صلوة نافلة وهي
تعمل بالاعضاء كاملة فاذا صلى في طاعته فقد قام كل عضو منه بوظيفة وادى شكر
نعمة وقد قال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة وستون عرقاً مائة
وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن او سكن متحرك لمنعه النوم
ويؤيد هذا القول احاديث كثيرة منها حديث البزار انه صلى الله عليه وسلم قال للانسان
ثلثمائة وستون عظماً وستة وثلثون سلامى عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد ذلك

ذلك يا رسول الله قال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع قال
يرفع عظماً عن الطريق قالوا فمن لم يستطع قال فليدع الناس من شره ومنها حديث
مسلم خلق ابن آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله
وسبح الله وعزل حجراً عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظماً او امر بمعروف
او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة السلامى فانه يمسي يومئذ وقد
زحزح نفسه عن النار ومنها حديث احمد وابي داود في الانسان ثلثمائة وستون
مفصلاً فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله
قال النخاعة في المسجد يدفنها والشيء ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى
تجزيه ومنها حديث البزار وابن حبان في صحيحه على كل مسلم من ابن آدم صدقة كل يوم فقال
رجل من يطيق هذا قال امر بمعروف صدقة الحديث هذا وقد قال تعالى ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم قال ابو الدرداء هو صحة الجسد وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية
الملك الخفي اي فهي النعيم المسئول عنه وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة ويؤيده
حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ واخرج الترمذي وابن حبان
ان اول ما يسئل العبد عنه يوم القيمة فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء
البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار وكانه اشار
الى قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ثم الحديث المذكور
ما اورد بجمهر الخيرات بل شبه بالمذكورات على امثالها من المبرات من الاحسان الى الحيوان كما
في كل كبد رطبة اجر **السابع والعشرون** هو وما بعده في الحقيقة حديثان
الا انهما لما تواردا على معنى واحد كانا كالحديث الواحد وصار الثاني للاول
بمنزلة الشاهد عن النواس بفتح النون وتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين
وفتحها كذا قاله المصنف رضي الله عنه كذا في النسخ لكن لابيه ايضاً صحبة فكان
ينبغي ان يقال عنهما وقد تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم اخت النواس وهي
المتعوذة روي له سبعة عشر حديثاً وكان انصارياً من اصحاب الصفة وسكن
الشام وقال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من
الهجرة اي العود الى الوطن الا المسألة اي السؤالات التي كانت ترد عليه صلى الله عليه وسلم

من بعض اصحابه واجوبتها لما امر ان المهاجرين والانصار لما اكثروا السؤال
ونهوا عنه كانوا يحبون ان يأتي اهل البادية ويسألوا حتى يسمعوا فيعلموا
فكانت اقامته تلك السنة مع عزم العود الى وطنه لاجل ان يتفقه في الدين تلك
المدة عملا بقوله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قيل وفيما
ذكره دلالة على ان الهجرة لم تكن واجبة على غير اهل مكة وتعقب بان من كان [illegible]
بحيث لم تلزمه الهجرة وكونه بمكة فلعله كان ممن لم يرخص له من قومه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اي حين سأله عن البر والاثم البر اي اعظم خصاله حسن الخلق بضمتين
ويسكن اللام وقد سبق انه طلاقة المحيا وبذل الندى وكف الاذى وقال الترمذي
البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق قال الطيبي فسر البر
في حديث آخر بما يقربك الى الله وقال بعض المحققين ان حسن الخلق عبارة عن حسن
العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار وان كل ما لهم من الخلق
والخلق والرزق والاجل والعمل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنوا منه
ويحبونه بالاختيار ومع الخالق بان يشتغل بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بانواع الفضائل
عالما بان كل ما اتى منه ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر
يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه وحاصله ان البر بكسر الباء اسم جامع لانواع
الخير وهو ما اقتضاه الشرع وجوبا او ندبا وقال الاثم بقوله والاثم وهو ما نهى عنه تحريما
او كراهة ما حاك في نفسك بالحاء المهملة والكاف اي تردد وحاك الكلام في الحكيك
وهو التأثير اي اثر فيها بان اقلقها وهذا باعتبار المؤمن المتقي الملهم بالخير والصلاح
فعله عليه الصلاة والسلام علم ذلك من السائل قبل الجواب وفي رواية الاثم حواز القلوب
بتشديد الزاء الاولى وهو بمعناه وفي اخرى حواز بتشديد الواو وحاصله انه قال
في قلبك منه حزازة وريب وخوف من انه ذنب وقد تصحت وكرهت ان يطلع عليه
الناس اي اشرافهم الذين يستحيى منهم لو صدر منك ذلك الفعل عندهم والظاهر من
سياق الحديث ان للاثم علامتين داخلية واخرى خارجية كما يأتي به في رواية
وذلك ان النفس لها شعور من اصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما لا تحمد عاقبته ولكن

ولكن غلبت عليها الشهوة حتى اوجبت لها الاقدام على ما فيه المضرة كاللص
بغلبة الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي قطع الرقبة ولانها بالطبع
يحب اطلاع الناس على خيرها وبرها ويكره اطلاعهم على اثمها وشرها ومن ثم اهلك
الرياء اكثر المشايخ والعلماء ويكرهون اطلاع الناس على فعلها ويعلم انه اثم بالنسبة
اليها فيترك ما خطر ببالها وقال بعض العارفين الاثم هو احبس النفس وحوك
الصدر بنعوت الاضطراب والتضييق لانه ثقيلة على الارواح والبر لطف
ممزوج بنور الذكر فتطمئن به القلوب وتصح منه العيوب وليس في الحديث دلالة
على مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين حتى يحتاج الى ان يخص بخبر
ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفسها ما لم تعمل به او تتكلم لان ذلك فيما لا يعلم
كونه اثما ام لا وهذا فيما هو المعلوم من الاثم مع ان التردد مناف للهم والعزم والا
فالعزم على سبيل الجزم من جملة عمل القلوب فيحصل به الاثم على ما عليه الجمهور من اهل العلم
رواه مسلم وعن وابصة بكسر الباء الموحدة ذكره المصنف وهو بالصاد المهملة ابن
معبد بفتح الميم والموحدة رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة
رهط من قومه بني اسد بن خزيمة عام تسع فاسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الكوفة
ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة ودمشق ومات بالرقة ودفن عند منارة جامعها
وكان ماردا كثير البكاء لا يملك دمعته قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت
تسأل عن البر اي والاثم لما سيأتي من الرواية في الجمع بينهما وكما يشير الجواب اليهما
ولعله من باب الاكتفاء بضد الاشياء فقلت نعم وهذا من دلائل النبوة لانه اخبره عما
في الضمير قبل ان يتكلم به وجاء في بعض الروايات ان وابصة جاء يتخطى الناس حتى جلس
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة تحدثني ما جئت فيه او احدثك قال بل انت
حدثني يا رسول الله فهو احب الي قال جئت تسأل عن البر والاثم قال نعم فقال استفت
قلبك وفي رواية احمد قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اريد ان ادع
شيئا من البر والاثم الا سألت عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتي
ركبته فقال يا وابصة اخبرك بما جئت تسأل عنه او تسألني قلت يا رسول الله اخبرني
قال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدره

ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث أي اطلب الفتوى من قلبك لأنه يبلغ
في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول بعين الوصال إلى مقام القلب وبيان ذلك
أن سير الإنسان إلى الحق إنما هو بالباطن وإن كان مع استعانة الظاهر لصعود
الهيئات البدنية إلى حيز النفس والقلب وهبوط الهيئات النفسانية والقلبية
إلى الظاهر للعلاقة بينهما فإن النفس قبل التوجه إلى الحق أمارة بالسوء ثم تصير لوامة
ثم تصير مطمئنة ولما كان صلى الله عليه وسلم ذكر له ضابطة جامعة مميزة بين البر والإثم بقوله
البر ما اطمأنت إليه النفس أي مالت إليه وسكنت من اضطرابها لديه والنسخ المعتمدة
مجتمعة على لفظ إليه ووقع في أصل ابن حجر بلفظ عليه فقال أي سكنت عليه وفي رواية إليه انتهى
ولا يخفى أن السكون لا يتعدى بعلى ثم جاء في رواية وسكنت إليه النفس وكأن بعض من
لا دراية له بالرواية رأى تكرارا إليه قوله واطمأن إليه القلب فغاير بينهما من عنده
والمعنى إذا التبس عليك شيء ولم تدر أنه من أي القبيلتين فتأمل فيه إن كنت من
المجتهدين وإن كنت من المقلدين فإن وجدت ما سكن إليه القلب فخذوا وإلا فدعه قاله
البيضاوي ولعل عطف اطمأن القلب على اطمئنان النفس للتأكيد فإن النفس
إذا ترددت في أمر استتبع ذلك خفقانا في القلب للعلاقة بينهما فإنه متعلق الأول
وربما سرى إلى سائر القوى فيحس بها الحلال والحرام فإذا زال ذلك من النفس وحدث
طمأنينته انعكس الأمر والنفس لغة حقيقة الشيء واصطلاحا لطيفة في الجسد تولدت
من ازدواج الروح بالبدن واتصالهما معا فإذا كانت في ظلمتها لا يفتش بها نور العلم
والمعرفة مائلة إلى الشهوة وسائر الأخلاق الرذيلة لا التفاتها إلى العالم الحسي سميت أمارة
وإذا تنفس صبح الهداية وانزعجت من دواعي طبيعتها مطلقة إلى معاد الطمأنينة
منجذبة مرة إلى العالم العلوي وأخرى إلى العالم السفلي سميت لوامة لأنها تلوم نفسها بالجد
للطمأنينة وإذا طلعت شمس العناية من أوج الرعاية صارت ملهمة وإذا بلغت شمس
العناية وسط سماء الهداية أشرقت الأرض بنور ربها وامتلأ القلب من السكينة
اليقينية وخلع على النفس خلع الطمأنينة صارت مطمئنة محدثة مكلمة مستعدة
لمجذبة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والإثم ما حاك في النفس أي أثر فيها ولم
يستقر عندها وقد تصحف على السيد الشريف العلاقة فضبطه بالجيم والهمزة بعد الألف

على أنه صيغة الماضي من المجيء غفلة عن الرواية والدراية وتردد في الصدر ولم ينشرح
للأمر وإن أفتاك الناس عطف على مقدر أي إن لم يفتك الناس وإن أفتاك الناس
يعني علماءهم لما في رواية وإن أفتاك المفتون والمعنى التزم العمل بما في قلبك وإن قالوا
لك إنه حق ولا تأخذ بقولهم فإنه يوقعك في الغلط أو في أكل الشبهة كأن ترى من له
مال حلال وحرام فلا تأخذ منه شيئا وإن أفتاك المفتي أن تأكل الحرام لأن الفتوى غير
التقوى ففي البخاري عن عائشة قالت كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجه فجاءه يوما بشيء فأكله
أبو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا فقال أبو بكر وما هو قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية
وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني لذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل
أبو بكر يده في فيه فقاء كل شيء أكله من بطنه رواه البخاري وذكر الغزالي هذا الخبر في الإحياء
أن الصديق قال بعد استغفر الله اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء
وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أو ما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه
إلا طيب ثم قال الغزالي لا شك أن الصديق لما أخبر أن القيء من غير وجهه لم يكن ليتخلص بعلمه
مع كونه أعلم الناس أنه من نشأ ولو الإنسان من غير علم به أنه لا إثم عليه فيه ولا يجب
في فتوى الفقه استفراغه ولكن إنما فعل ذلك لعلو رتبته وكمال صديقيته وترده في صدره
عرفه ذلك أن فتوى العامة حديث آخر وأن طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون ولذلك
استفرغه وأدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه تخرج معه لأنه رآه مؤثرا
في قلبه أثرا يمنعه عن منزلة وكمال مرتبة انتهى وفي رواية أنه أنفق في مدة خلافته ثمانية آلاف
درهم فلما حضره الموت قال كنت قلت لعمر إني أخاف أن لا يسعني أن آكل من هذا المال فغلبني
فإذا مت فخذوا من مالي ثمانية آلاف فضعوها في بيت المال وهذا في غاية من التقوى ولهذا
نزل في حقه وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وقد قال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأفتوك تأكيد
والمعنى بهذا الأمر أرباب البصيرة من أهل النظر المستقيم وأصحاب الفراسات من ذوي
النفوس المرتاضة فإن نفوسهم ملهمة للصواب في أكثر الأحوال وحمله على عموم
الإيمان والتقوى أولى ولا يبعد أن يقال المعنى وإن أفتاك جمع بعد جمع وفيه إيماء إلى الكثرة
المشيرة إلى اختلاف الأئمة قال شيخ مشايخنا السيد جمال الدين وأفتوك في رواية

بالفاء والتاء المثناة من فوق ولعله انما جيء به للتأكيد لكن اورد هذه الكلمة
صاحب النهاية في باب التاء مع الفاء والنون فقال وافتوك اي ارخصوك ثم قال حكى ابو موسى
ان الزمخشري قال ذلك وان المحفوظ بالياء والتاء من الفتيا حديث حسن كذا في الاصول
المعتمدة ثم قال ابن حجر حديث صحيح وفي نسخة حسن سيأتي بحث تصحيحه وتحسينه رويناه بتخفيف
اي بسندنا المتصل حال كونه في مسندي الامامين اي الجليلين حديثا وفقها وزهدا
وصلاحا احمد بن حنبل وهو ابو عبد الله الشيباني احد الائمة الاربعة من المجتهدين
والفقهاء المتبوعين في امر الدين روى عنه البخاري ومسلم وابو داود وجماعة ولد
ببغداد ومات بها يوم الجمعة في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة
ومسنده عشرون مجلدا فيه اربعون الف حديث جمعه من سبعمائة الف وخمسين
الف حديث وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال ما اختلف المسلمون فيه من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه والا فليس بحجة وهذا يدل على كمال
اطلاعه بالسنة الا انه رضي الله عنه لم يلتزم الصحة في مسنده وانما اخرج فيه ما لم يجمع الناس
على تركه واما قول بعضهم ان كل ما فيه صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت ثم قال جماعة ان كل
ما فيه اما صحيح واما حسن والاغلب الصحة لكن الاظهر انه قد يوجد فيه ضعيف الا انه يكون
محتملا فيه ثم مصنفوا الاحاديث منهم من رتب على مسانيد الصحابة كاحمد والدارمي
وابن ابي شيبة والبزار وابي يعلى ومنهم من رتبها على ابواب الاحكام كالصحيحين والسنن
وفي كل فائدة وحكمة عائدة والدارمي بكسر الراء وهو ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
التميمي السمرقندي الحافظ من بني دارم روى عنه مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة كان
امام اهل زمنه في العلم والورع ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية
سنة خمس وخمسين ومائتين والغالب على مسنده الصحة ولما بلغ البخاري نعيه بكى وانشد
ان تبق تفجع في الاحبة كلهم وفناء نفسك لا ابا لك افجع وذكر الترمذي انه سمع البخاري يحدث عنه
بحديث من شيع جنازة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث عنه باسناد حسن كذا في
النسخ المصححة وقال ابن حجر باسناد جيد وفي نسخة حسن انتهى وعلى كل تقدير ينافي
ما قدمه عن المصنف بانه حديث صحيح وتكلف في الجمع بينهما بتعسف في شرحه بما لا طائل تحته
على ان حديث احمد له طريقان احدهما فيه علتان ضعف وانقطاع وثانيهما فيها مجهول فلعله

فلعله بانضمامه الى رواية الدارمي حكم المصنف عليه بانه حسن او لكثرة طرقه فان احمد اخرجه
من طريق اخرى عن ابي امامة قال قال رجل يا رسول الله ما الاثم قال اذا حاك في صدرك
شيء فدعه وسندها جيد على شرط مسلم ومن طريق اخرى عن ثعلبة الخشني قال
قلت يا رسول الله اخبرني بما يحل لي وما يحرم علي قال البر ما سكنت اليه النفس الحديث
وسندها جيد ايضا ويقويه ايضا ما اخرجه الطبراني وغيره عن وائلة قلت للنبي عليه السلام
افتني عن امر لا اسأل عنه احدا بعدك قال استفت نفسك قلت كيف لي بذلك
قال تدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون قلت كيف قال تضع يدك
على قلبك فان الفؤاد يسكن للحلال ولا يسكن للحرام ثم اراد المصنف بقوله حسن
اولا معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا اولى بالاعتبار لئلا يلزم
التكرار وكرره للتأكيد في حسنه حيث قيل بضعفه ثم اعلم انه من اراد الاحتجاج
بحديث من السنن كابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والموطأ وغيرها
مما لم يلتزموا الصحيح والحسن بل ادخلوا فيها الضعيف ايضا امتنع عليه ان يحتج بحديث
هؤلاء حتى ينظر في اسناده ورجاله ان كان له قابلية لذلك او يجد اماما من علماء
كما صحح او حسن شيئا فيقلده هنالك ثم اذا رأى مجتهدا استدل بحديث على
فيحكم بانه صحيح او حسن عنده كما اقتضاه **الثامن والعشرون** عن ابي نجيح بفتح النون وكسر الجيم
وفتح مهملة العرباض بكسر العين المهملة وبالباء الموحدة والضاد المعجمة ابن سارية
بالسين المهملة والياء المثناة تحت ذكرهما المصنف وغيره جارية السلمي من اصحاب
الصفة وهو احد البكائين المشتاقين الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهن
عظمي فاقبضني اليك وكان يقول انه رابع الاسلام وكان من الزاهدين العابدين
روي انه قال لولا ان يقال فعل ابو نجيح لالحقت مالي في سبيل ثم لحقت واديا من اودية
لبنان فعبدت الله حتى اموت وروي ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال
العرباض ما كان لك ان تأخذه وما كان له ان يعطيك كأني بك في النار تحمله
على عنقك فرده المقداد رضي الله عنه مات بالشام سنة خمس وسبعين وفي رواية
احدى وثلاثين حديثا قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي بعد صلاة الصبح
كما في رواية وفي اخرى ذات يوم موعظة وهي ما يوعظ به من الكلام الدال على التخويف

بطريق النصيحة والتنويه للتخويف اي عظيمة كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت الغاية
وبالغت في تأثيرها فينا وغلبت كما يشير اليه قوله ووجلت منها القلوب بكسر الجيم
اي خافت من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب فان الوجل خوف مع الحذر وذرفت
قال العسقلاني بفتح الذال المعجمة والراء المهملة اي سالت منها العيون يعني جرت بسببها
الدموع من العيون لتأثير الموعظة في النفوس واستيلاء سلطان الخشية في القلوب
وانه هو اعلم قيل لانه غالب ما يحث عنه هو اصله وفيه استحباب موعظة العالم
اصحابه لينفعهم في دينهم ودنياهم من العلوم ولا يقتصر لهم على معرفة الاحكام والحدود
والرسوم بل يذكرهم ويخوفهم ويشوقهم ويسوقهم الى ذكر العقبى ومحبة المولى
والاعراض عن الدنيا واعلم ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت منهم بمجامعهم
بحسب ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي ذرفت منها العيون ووجلت
منها القلوب نظرا الى الاثر الظاهر قبل المؤثر الباطن بخلاف الرواية الاولى فان فيه تقديم
السبب على المسبب او الاصل على الفرع والله اعلم فقلنا يا رسول الله كان هذه اي تلك
الموعظة موعظة مودع بكسر الدال المشددة اي شخص يودع اصحابه واحبابه فلا
يغادر شيئا الا ذكره في بابه فاوصنا اي ارشدنا بما فيه صلاح حالنا وفلاح مآلنا
وفيه انه للابرار الاكثار من خصائص الخير لاستماع اخر العمر وانه يجوز الاستدلال بالامور
على الاحوال وانه يستحب الاسترشاد من اكابر الدين واغتنام فرصة الاستفاضة
من عطاء اليقين قال اوصيكم بتقوى الله هو من جوامع الكلم فان التقوى امتثال
المامورات واجتناب المحذورات وهي زاد المعاد الذي امر باخذها جميع العباد
حيث قال تع ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
ولما كان الظاهر من التقوى ان يكون فيما بينهم وبين الله عطف عليها بقوله والسمع
والطاعة اي فيما بينهم وبين من يلي امرهم بعض ذلك اوصيكم بقبول قول الامير وطاعته
ما امر بالمباح عادة الكائن او جائزا والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كاد
الا انه لا يجوز محاربته فانه كما قال الشيخ ما يصلح الله به اكثر مما يفسده وان تأمر
اي صار اميرا عليكم عبد وفي رواية عبد حبشي اي ادنى الخلق فلا تستنكفوا عن
طاعته لئلا يؤدي الى ظهور الفتن وتهييج الفتن بين العباد فان الصبر على ولاية من

من لا يجوز له الولاية اهون من اثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها
وقد ذكر عليه السلام في بعضها ورد عنه انه قال بعد جور الولاة وظلمهم فقالوا
اسمعوا واطيعوا ما اقاموا فيكم كتاب الله وهذا وارد على سبيل الحث والمبالغة الا
ربط عنه والنهي عن مخالفته وعلى طريق الفرض والتقدير اذ الائمة من قريش
او انه استعمله الامام الاعظم وتعلق في الحديث اشعارا بما يقع في اخر الزمان من
كون الخلافة بالقهر والشوكة من غير اعتبار شروط الائمة كما في زماننا هذا فانه
لا يوجد امام بين اهل الاسلام موصوف بما قرر في حقه من الاحكام وتوثيره
قوله وانه اي الشان وفي المصابيح والمشكوة بلفظ فانه من يعش منكم
وهو مجزوم بمن الشرطية واصله يعيش كما في نسخة فمن موصولة فسيرى اختلافا
كثيرا اي في الولاية والخلافة بسبب طلب الجاه والمال والسين لتاكيد الاستقبال
وفي اصلنا المقروء على مشايخنا فانه بالفاء ايضا قال السيد جمال الدين الفاء في قوله فانه
من يعش للسببية جعلت ما بعدها سببا لما قبلها يعني من قبل وصيتي والتزم
تقوى الله وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهج الفتن امن بعدي من الاختلاف الكثير
يعني الذي وقع بين الصحابة والتابعين وهلم جرا الى هذا الحين فعليكم اسم فعل اي
الزموا واستمسكوا بسنتي وهي ما وضعه صلى الله تع عليه وسلم وجوبا او ندبا
من احكام الدين وسنة الخلفاء الراشدين اي الهادين المهديين بفتح الميم وتشديد
التحتية الاولى اي المهتدين الذين هداهم الله الى طريق الصواب والهمهم اتباع
مناهج اولي الالباب وجمع بينهما لان الشخص اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح
ان يكون هاديا لغيره وهم الصديق والفاروق وذو النورين والمرتضى رضي الله عنهم اجمعين
وذلك لانهم لما كانوا افضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من السحابة وخصهم الله
بالمراتب العلية والمناقب السنية ووطنوا انفسهم على مشاق الاسفار ومجاهدة
القتال مع الكفار انعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدي الى رياسة الكبرى
لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام الشرع المتين رفعا لدرجاتهم وازديادا
لمثوباتهم فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لما فازوا كلهم بالمنصب المشكور
ولا يخفى ان هذا من معجزاته الدالة على ثبوت نبوته لانه استقبر بذكر هذا الغيب

وقال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا ووقع كما قال عليه السلام
وقال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون فيما يستخرجونه
من كتابه وسنته او ان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة
عن غيرهم حتى ينافي قوله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب
رأيهم وتفخيم امرهم وتفضيلهم على غيرهم وقيل الخلفاء يشملهم ومن سار سيرتهم وقفى
اثرهم في استخراج الاحكام واذاعة الحق بين الانام وقال بعض العلماء يقدم ما اجمع
عليه الاربعة ثم اتفق عليه الشيخان لقوله عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما وله معنيان احدهما التقليد لمن عجز النظر وثانيهما الترجيح لما ذهبوا اليه
عند اختلاف الصحابة في الامر وقيل هذا في حق المقلد في تلك الازمنة القريبة من
زمان الصحابة واما في زماننا فلا يجوز تقليد غير الائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك
والشافعي واحمد رضي الله عنهم اجمعين لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت
احكامها في كتبهم لان اتباعهم حرروها فرعا فرعا حتى ان يوجد حكم الا وهو منصوص
لهم اجمالا او تفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم لم تحرر فلا يعرف لها قواعد
تخرج عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ عنهم منها لانه قد يكون مشروطا بشروط
اخرى وكلوها الى فهمها من قواعدهم فيها عضوا بالنواجذ فتشديد الميم من عض يعض
اذا اخذ شيئا بالعض ومنه قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه هذا ومن غريب ما
وقع في زماننا ان بعض المتحدثين او المحدثين الموصوف بالمهشتي [?] فانه اعلم
المحدثين بلا وهم انه المجتهد المطلق في الدين روى الحديث بضم العين فاورد عليه الائمة
والقواعد العربية في قضية ما اخذ الامرية مع اتفاق ائمة اللغة على الفتح العينية
فاجاب بانه قاعد لماذا الفتحة الى الضمة ليرتفع شبهة المشابهة بالصيغة الماضوية
فقد خفاه بورود وقد مد ائمة الا بصيغة الامر وانما ضل الجهول على اشتراك الضمة
بناء على اعتبار القوية الحالية او المبالغة فتحقق بهذا ظلو هذا الاحمق عن مناقب
الرواية ومراتب الدراية فاراه الوعود فاصر المعنى بادخل بنا هذا العبي في قوله عليه السلام
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار عليها اي على السنة بالنواجذ جمع ناجذة
بالذال المعجمة وهي اربعة من اواخر الاضراس وقد لا توجد لبعض الناس وتسمى ضرس الحلم

ضرس الحلم لانه نبت بعد البلوغ وكمال العقل وقال المصنف هو بالذال المعجمة
وهو الانياب وقيل الاضراس انتهى والقصد المبالغة في شدة التمسك
بها والجد في لزومها كفعل من امسك شيئا بيديه ثم يستعين بالاسنانه
عليه استظهارا للمحافظة لديه ويحتمل ان يكون كناية عن الصبر على ما يصيبه من
المشقة في المحافظة على السنة كما روى الترمذي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر واياكم ومحدثات
الامور عطف على قوله فعليكم للتاكيد والتأييد قال الفاكهاني وكلاهما منصوب
بفعل مضمر والتقدير اياكم باعدوا واتقوا محدثات الامور والاظهر ان يقدر
بعدوا انفسكم عن المحدثات وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قولهم اياك والاسد
والمعنى اتقوها ولا تقربوها فضلا عن ان تحدثوها فان كل بدعة ضلالة قال
المصنف البدعة ما عمل على غير مثال سبق انتهى وهو تعريف لها بحسب اللغة واما
في الشريعة فما احدث على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل احداث
ما لم يكن في عهد النبوة وقيل البدعة زيادة في الدين قربة كانت او معصية فالمراد
كل بدعة سيئة محرمة او مكروهة ضلالة لان المصنف قال في شرح مسلم هذا عام مخصوص
لان البدع خمسة انواع واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام لرد محرمة كمذاهب
المرجئة والمجسمة ومندوبة كاحداث المدارس والكلام في دقائق التصوف
ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف ومباحة كالمصافحة
عقيب الصبح والعصر انتهى ولا يخفى ان الواجبة هي الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف
عليها فهم الكتاب والسنة كالصرف والنحو واللغة واصول الحديث والفقه
والرد على المبتدعة انما هي على الكفاية لحفظ الشريعة واما تزيين المساجد
والمصاحف فاختلف في كراهته عندنا والمصافحة بعد الصلوة مطلقا مكروه
عندنا وقد صرح ابن عبد السلام بان المصافحة عقيب العصر والصبح مكروهة
لكن قيدها المصنف بما اذا صافح من هو معه قبلها اما من ليس معه قبلها فمصافحته
مندوبة لانها عند اللقاء سنة اجماعا وكونه خصصها ببعض الاحوال وفرط
في اكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونها مشروعة فيه انتهى ولعل وجه اطلاق ابن عبد السلام

ان الغالب كون مصافحتهم بعد ملاقاتهم اولا انهم يعدون هذه المصافحة
من سنن الفراغ من الصلوة ولا ينظرون الى مصافحة الملاقات ولهذا يصافحون
بعدها ويكتفون بها التسليم معها قال ابن حجر ومن المباحة التوسيع في لذائذ
المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام ثم قال وقد يختلف العلماء في
ذلك فيجعله بعضهم مكروها وبعضهم سنة انتهى وقد نسب ذلك الى اكثر الفقهاء
لكن لا يخفى ان القول بالسنية بعيد عن طريق السنية نعم تطويل الذيول والاكمام
فان كان للخيلاء والافتخار فحرام والا فمكروه بلا كلام لمخالفة الاحاديث الواردة
في هذا المقام ولو اجري الحديث على عمومه لم يسعه اذ المعنى كل ما لا يرجع الى اصل
ديني ولا يساعده دليل شرعي فهو ضلالة وقيل نوع حديث من احدث في امرنا
ما ليس منه فهو رد وقد روى البيهقي عن الشافعي انه قال المحدثات من الامور ضربان
احدهما ما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه البدعة الضالة والثاني
ما احدث من الخير بلا خلاف فيه فهذه محدثة غير مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه
في قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه انتهى والاضبط ان يقال كل بدعة تزاحم
سنة فهي سيئة وكل ما ساعدها فهي حسنة كالنية اللسانية في العبادات
فانها بدعة الا انها مستحسنة لانها تستحضر النية القلبية ويقويها وكجماعة التراويح
فانها توافق صلاته عليه السلام اولا ثم تركها مخافة ان يفرض على امته ولم يقوموا
بحقها فهي بدعة بالنسبة الى ما تركه عليه السلام وسنة باعتبار اصلها وكونها من سنة
احد الخلفاء الراشدين ولذا قال فقهاؤنا انها سنة مؤكدة ومن شعائر الدين
ومن هذا يظهر وجه تسمية المبتدعة لان قواعدهم كلها مزاحمة للسنة ابتدعوها وقيل
لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم اتبعوها ثم اعلم ان اصول البدع كما نقل في المواقف
سبعة المعتزلة القائلة بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفي رؤية الله سبحانه
وبوجوب الثواب والعقاب عليه عز وجل وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطة
في محبة علي رضي الله عنه وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له
ومن اذنب كبيرة وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية
كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهي خمس فرق والنجارية الموافقة لاهل السنة في خلق

في خلق الافعال والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية
القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة والمشبهة الذين يشبهون
الحق بالخلق في الجسم والحلول فرقة ايضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار
والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضاء المحمدية والطريقة السمحاء الاحمدية
ولها ظاهر سمي بالشريعة شرعة للعامة وباطن يسمى بالطريقة منهاجا للخاصة
وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا للاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان
من الخدمة والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب
الارواح من المكاشفة والمشاهدة قال القشيري الشريعة امر بالتزام العبودية
والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول
وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام بما امر والحقيقة
شهود لما قضى وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره
والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامره رواه
ابو داود وهو الامام ابو سليمان بن الاشعث السجستاني كان من فرسان الحديث
قيل الين لابي داود الحديث كما الين لداود عليه السلام الحديد ولد سنة
اثنين ومائتين وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين والترمذي وصححه
وقال اي الترمذي حديث اي هذا حديث حسن صحيح وقد روي جمعهما وجمعهما
هو الموجود في الاصول المعتمدة وفي شرح ابن حجر حديث حسن وفي نسخة حسن
صحيح هكذا هو في كتاب الاربعين انتهى ورواه احمد وابن ماجة وابو نعيم قال
حديث جيد من طريق الشاميين هذا ولفظ ابي داود قال صلى بنا ذات يوم
ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال قائل يا رسول الله كان هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال اوصيكم بتقوى
الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا
كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين وعضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
اي صاحبها من فاعل ولفظ الترمذي نحو هذا بعد صلوة الغدوة وفيه وان عبد حبشي

وعليه وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وفي بعض الطرق أن هذه موعظة
مودع فما تعهد إلينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها فلا يزيغ عنها إلا هالك
ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وفي بعضها فإن كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار أي صاحبها من فاعل ومتبع لها وزاد ابن
ماجه آخر الحديث فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد وقيل هذه الزيادة
مدرجة وبهذا اتضح أن المصنف رحمه الله ما أتى بلفظ أبي داود ولا بلفظ الترمذي
كملا ولا جمع بينهما إجمالا ولعله اطلع على رواية لأحدهما ما ذكره عنهما **التاسع
والعشرون** عن معاذ أي ابن جبل كما في نسخة رضي الله عنه قال قلت هو الحديث
قال بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر
فتفرق القوم فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربهم مني فدنوت منه
فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل أي قليل أو جليل أو معتبر في الشرع جليل فلا يرد
ما ذكره المظهر من أنه إذا جعل يدخلني جواب الأمر يبقى بعمل نكرة غير موصوفة
وهي لا تفيد يدخلني الجنة بالرفع على أنه صفة عمل إما مخصصة أو مادحة أو كاشفة
فإن العمل إذا لم يكن بهذه الحيثية كأنه لا عمل في الحقيقة وقيل بالجزم على أنه جواب الأمر
أي أخبرني بعمل إن تخبرني به يدخلني الجنة يعني أن الخبر وسيلة للعمل والعمل ذريعة
للإدخال وعلى كل تقدير إسناد الإدخال إلى العمل إسناد إلى السبب أو شبيه بالعمل
لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقي ولا يبعد أن يكون التقدير يدخلني الله به الجنة
قال السيد قال الشيخ الرواية الصحيحة المشهورة فيه يدخلني بالرفع على أنه صفة
لقوله بعمل ولا يحسن الجزم على جواب الأمر إذ ليس الإخبار سببا لإدخال الجنة
وقد وجه الجزم على تقدير صحة الرواية به بأنه جزاء الشرط محذوف تقديره أخبرني
بعمل إن عملته يدخلني الجنة والجملة الشرطية بأسرها صفة لعمل أو جواب للأمر
وتقديره أن إخباره صلى الله عليه وسلم لما كان وسيلة إلى عمله وعمله ذريعة إلى
دخول الجنة كان الإخبار سببا في الجملة فعلى هذا يكون الترتيب من باب إقامة المسبب الذي

هو الإخبار مقام السبب الذي هو العمل لأن العمل هو السبب ظاهرا لا الإخبار
لأن الإخبار إنما يكون سببا للمطلوب إذا كان المخاطب مؤمنا معتقدا موافقا
كقوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة قال ابن الحاجب يقيموا جواب قل
أي قل لعبادي يقيموا وما اعترض عليه من أن الإقامة ليست لازمة للقول ليس بشيء
لأن الجواب لا يقتضي الملازمة العقلية وإنما يقتضي الغلبة وذلك حاصل فإن
أمر النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بإقامة الصلوة يقتضي إقامة الصلوة
منهم غالبا ويباعدني من النار أي ويبعدني منها وأخرج على صيغة المغالبة
للمبالغة في البعد ثم القصد دخول الجنة من غير سابقة عقوبة فالواو لمطلق الجمعية
ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول وللإيماء إلى غلبة الرجاء على الحديث
القدسي والكلام الأنسي سبقت رحمتي غضبي هذا وفي كلام أهل التحقيق أن الجنة
جنة الوصول إلى معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله ومصنوعاته من الملائكة
الكروبية والروحانية وطبقات الأرواح العلوية وعالم السموات وما فيها
من الأنوار الملكوتية والأسرار الجبروتية بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية
لعالم القدس وحظيرة الأنس وأشجارها الملكات الحميدة والأخلاق
السعيدة وثمراتها المكاشفات والمشاهدات والكشفات وغيرها من
المواهب اللدنية والمراتب العندية ومن رضي بالجنة الحسية فهو أبله ومن أعرض
عن الحق واشتغل بالخلق وانتقل من روح المحبة والقرب إلى سياسة القهر والبعد
والطرد والحط عن الجهة العلوية إلى عالم النار المعنوية يعذب بنار روحانية
نشأت من استيلاء صفات القهر الإلهية فيكون أشد وأدوم إيلاما
من النار الجسمانية لأن حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هي شرر من نار
غضب الله بعد تنزلها في مراتب كثيرة لتنزلها في مرتبة النفس بصورة الغضب
وهي غير متناهية وهذا معنى ما يقال إن نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة
ثم أنزلت إلى الدنيا ليمكن الانتفاع بها قال لقد سألت وفي نسخة لقد
سألتني عن عظيم أي شيء عظيم وأمر فخيم أي عن عمل عظيم ليطابق السابق
واللاحق أو عن عمل عسير لقوله وإنه ليسير أي هين على من يسره الله تعالى عليه

اي سهله لديه بالتوفيق لعلي اكتساب الاوامر واجتناب الزواجر تعبد الله
استيناف وقع بيانا لذلك الامر الخطير والعسير الذي مع التوفيق يسير وهو
خبر معناه امر وعدل عن صيغة تنبيها على ان المامور كانه مسارع الى الامتثال
الامر وهو مخبر عنه اظهارا للرغبة واشعارا للرهبة او التقدير هو ان تعبد الله
ثم حذف ان ورجع الفعل الى رفعه بناء على اصله كما قرر في محله والمراد بالعبادة
التوحيد لقوله ولا تشرك به شيئا كلتاكيد او الاعم منه ليعم امتثال كل مامور
واجتناب كل محذور والضمير في به اما ان يعود الى الله او العبادة والثاني اعلى
لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان لا يشرك بالله اولى وفي بعض النسخ لا تشرك
بالله شيئا فالجملة حالية ثم شيئا يحتمل المصدرية والمفعولية اي شيئا من الشرك
جليا او خفيا او شيئا من الاشياء لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والعبادة هي الغاية القصوى من ايجاد الخلق
وارسال رسل الحق كما يشير اليه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولما كانت العبادة متوقفة على المعرفة او مستلزمة لها قال ابن عباس اي ليعرفون
وفي الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
وايضا اذا فسر العبادة بالمعرفة استقام الحصر في الاية فكلما ازداد معرفة
ازداد عبودية ولا ينفك العبد عن العبادة ما دام حيا لقوله تعالى واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اي الموت باتفاق المفسرين بل في البرزخ عليه عبودية
اخرى حين يسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه وفي القيمة يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود واذا ادخل الجنة كانت عبودية التسبيح والتحميد
مقرونا بانفاسه على وجه التلذذ قال تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والحاصل انها ليست بدار تكليف
بل دار تشريف وفي كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود و

وقطع العلائق ودفع العوائق والغفلة عن مطالعة الخلق الى مشاهدة الحق ولها ثلث
مراتب لانه اما ان يعبده تشريفا بعبادته رهبة من العقاب ورغبة في الثواب
وهو المسمى بالعبادة وهذه لمن له علم اليقين او يعبده تلذذا بطاعته وتسمى
بالعبودية وهذه لمن له عين اليقين او يعبده لكونه الها وكونه عبدا والالوهية
توجب العبودية وتسمى بالعبودة وهذا لمن له حق والشرك رؤية ضر او نفع
او اعطاء او منع من سواه او اثبات وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا بل
الغفلة عن الله وخطور ما عداه كما قال العارف ابن الفارض ولو خطرت لي في
سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي وتقيم الصلوة اي المكتوبة
من باب عطف الخاص على العام ان عمم العبادة تنبيها على انها افضلها وشرافة ما بعد
من قوله وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت فعلم ان دخول الجنة بطريق
الاولوية يتوقف على تلك الاعمال الجلية وامثالها من الاحوال المرضية وهذا الحكم
يعم كل مؤمن وان خص معاذ بالخطاب لان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب
ثم قال اي بعد ذكر الفرائض المذكورة وامثالها تنبيها على تادية النوافل الاتية لا كمالها
الا ادلك همزة الانكار دخلت على فعل منفي ليفيد تحقيق الاخبار اي لا تبق بي
مع اني مرشد مكمل لغيري ان لا ادلك على ابواب الخير اي الطرق الموصلة
اليه وفيه التشويق الى ما سيذكر قبل ذكره ليكون اوقع في النفس حال حضوره
تشبيه الخير بدار فيها كل ما تتمناه النفس وتهواه والمراد انواعه من جنس
عبادة مولاه فان الصوم والصدقة والتهجد شديد على النفس غاية الشدة
فمن اعتادها يسهل عليه كل صنف من العبادة لان الاعمال اما بدنية او مالية
فالصدقة طاعة مالية فالصوم وصلوة الليل عبادة بدنية نهارية وليلية ولا يبعد
ان يكون الاستفهام للاستعلام والاعلام فيتوقف صلى الله عليه وسلم حتى يقول معاذ
بلى كما في السؤالين الاتيين تنبيها على انه لا ينبغي ان ينتظر تصديقه اهتماما واعتبارا
بمضمون تحقيقه وفي رواية ابن ماجة الا ادلك على ابواب الجنة الصوم يعني جنس
الصوم والصدقة والصلوة في الليل والمراد به صوم النفل لتقدم الفرض الا انه
وصف بوصف يعمه وغيره او يعرف بالاولى فاللام تدل على المضاف اليه والعهد

الخارجي جُنّة بضم الجيم اي سترة من سورة الشهوة في الدنيا ووقاية من النار
في العقبى كالترس ومن ثمه كان الصوم جُنّة يسد طرق الشياطين في قلبه عن جنته
وبعد ازالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن الطاف حكم الصفات فيستر بانوارها
عن جميع المخالفات والآفات والصدقة اي النافلة تطفئ الخطيئة اي تمحو اثرها
وتذهب مهما اذا كانت صغيرة متعلقة بحق الله تع واما اذا كانت من حقوق
العباد فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة واستعير الاطفاء للمحو الخطيئة
بقرينة قوله كما يطفئ الماءُ النار ما مصدرية اي اطفاء مثل اطفاء الماء النار لتنافي
آثارهما بايجاد الله فيهما اذ الاشياء لا تعمل بطبعها فلا الماء يروي ولا الخبز يشبع
ولا النار تحرق ولا الماء يغرق والحديث مستفاد من قوله تع ان الحسنات يذهبن
السيئات الآية من القواعد المقررة ان الامور المكفرة انما هي للصغيرة من حقوق
الله واما الكبيرة فلابد لها من التوبة بشروطها واما الحقوق المتعلقة بالعباد
فلابد من ارضائهم بعد التوبة وصلوة الرجل اي الكامل في الرجولية ومن في معناه
من الاناث اذا كانت في مقام العبودية قال ح وكانت من القائمين في جوف الليل
كذا في اصلنا المعتمد على النسخ المعتبرة وفي بعض النسخ من جوف الليل وادعى
الكازروني انه الرواية فيكون من ابتدائية او تبعيضية او مزيدة في ظرفية
كما في قوله تع اروني ماذا خلقوا من الارض واطلاق الجوف مجاز والمراد وسطه
وآخره او اثناؤه فيشمل اوله فيتم صلوة الاوابين والمتهجدين ويحصل
فضل قيامه بصلوة ركعتين لخبر من قام من الليل قدر حلب شاة كتب من قوام
الليل وافضل اجزائه ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان افضل الصلوة صلوة
اخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الذي واظب
عليه النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان صلوة الرجل في الليل من ابواب الخير او تدخل
الجنة وتباعد النار او كذلك تطفئ الخطيئة قال البيضاوي وهو الاظهر وقال
الطيبي الاولى ان يقدر الخبر شعار الصالحين كما في جامع الاصول وفيه لا قرينة
لهذا المقدر بخلاف ما سبق فتدبر وقيل الادنى ان يقال حذف الخبر منه اشعار
بان لها فضلا كثيرا او اجرا عزيزا لا يكتنه كنهها ولا يمكن التعبير عنه اي صلوة الرجل

في جوف الليل لا يعلم نفس ما اخفي لها وكانه استشهد بالآية في حقها كما قال الراوي
ثم تلا اي قرأ النبي صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم قال الرازي رح يتنحى جنوبهم اضطجاعا
اي تتنحى وتتباعد وفي اسناد الفعل الى الجنوب نكتة لطيفة لا تخفى اذ الاصل
يقومون عن النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع اي الفرش يدعون ربهم اي يعبدونه
او يطلبون منه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الله
فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم
سرورا من الثواب وقرأ حمزة اخفي بصيغة المتكلم وفي الحديث القدسي كما في
الصحيحين اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم قيل هذا
كناية عن الصلوة بين المغرب والعشاء وقيل عن صلوة العشاء والصبح بجماعة والجمهور
على ان المراد بها صلوة التهجد وهو الصلاة بعد القيام من النوم كما يشير اليه قوله
تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولانه وقت اخفاء العمل المرتب عليه اخفاء الاجر كما قال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء وفاقا وقد جاء في الخبر ان الله يباهي الملائكة
بقوام الليل في الظلام يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم
احد غيري اشهدكم اني قد ابحتهم دار كرامتي هذا وقدم الصلوة على الزكوة
والصوم اولا وعكس ثانيا لان الاول مسوق لبيان امر الدين فقدم الاهم
فالاهم والثاني لتكميله بالترقي من الادنى الى الاعلى وفيه ايماء الى ان ذلك التولي موجب
لهذا الترقي ثم اعلم ان ترك قيام الليل مكروه ففي الحديث الصحيح ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنيه او قال في اذنه ثم قال
الا اخبرك برأس الامر اي الامر الذي سألت عنه او باصل امر الدين واساسه المحكم
المتين وعموده اي عموده المتين المعين على تحصيل مقام اليقين وذروة سنامه
بكسر الذال وضمها اي اعلاه قال المص وهو موافق لما في القاموس وشروح الشاطبية
وكان قياس امثاله من نحو عدوة واسوة وقدوة ان يجوز فتحها ايضا والسنام
بفتح اوله ما ارتفع من ظهر الجمل قرب عنقه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام
وهو الاقرار بكلمتي الشهادة الذي عليه مدار الاحكام وهو من باب تشبيه المقلوب مبالغة في تحقيق

المرام اذ المقصود تشبيه الاسلام برأس الامر يشعر بانه من سائر الاعمال بمنزلة الرأس
من اعضاء الجسد في احتياجه اليه وعدم بقائه دونه او لانه الطرف الاعلى او لانه رئيس
الاعضاء وفيه ايماء الى ان الايمان بمنزلة الروح والحياة وعموده اي ما يقوم به البدن
ويرتفع به اساس اليقين كعمود الخيمة وهو الخشب الذي عليه مدار اعتمادها الصلوة
وروى البيهقي عن عمر مرفوعا الصلوة عماد الدين وزاد الفقيه ابو الليث السمرقندي
فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ولانها ام العبادات وناهية
السيئات وذروة سنامه الجهاد لانه به رفعة العباد وسلامة البلاد من ملاقاة
اهل الفساد والحاصل ان العبد ما لم يقر بكلمتي الشهادة لم يكن له شيء اصلا من ابنية السعادة
واذا اقر بهما حصل له اصل الدين الا انه ليس له كمال وقوة في اليقين كالبيت الذي ليس له
العمود المتين فاذا صلى وداوم على صلوته قوي دينه في حد ذاته ولكن ليس له رفعة
وكمال في صفاته فاذا جاهد حصل له الرفعة في حالاته والعزة في مقاماته وقد روى ابو
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر
ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم وهذا
من فروض الكفاية والصلوة من فروض الاعيان والاسلام اظهار الايمان فما احسن
هذا الترتيب في معرض البيان ثم الجهاد انواع منها الجهاد مع الكفار ليكون الدين كله لله
الواحد القهار ومنها جهاد النفس بحملها على اتباع الاحكام والمواظبة على شرائع الاسلام
والاندراج الاول في الشرح لحكم الاغلب الاكثر وورد في الخبر رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر ولان النفس اعدى عدوك الذي بين جنبيك وقد قال تعالى يا ايها الذين
امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولان العدو الخارج يتصور
قتله وهذا العدو الداخلي لا يمكن دفعه ولا دفعه ولان الجهاد مع الكفار يكون في بعض
الاوقات ومعها دائما في كل الحالات ومن جميع الجهاد جهاد القلب بتصفيته عن
الاوزار وقطع تعلقه عن الاغيار ومنها جهاد الروح وهو بافناء الوجود استغراقه
في بحر جود الواحد القهار ثم اعلم ان متن الاربعين على ما في النسخ المعتبرة والشروح
المشهورة وفق ما قررته في ضمن ما حررته وقد سقط من اصل النسخ كما في ومن
تبعه مع احتمال انه من سهو الكتاب او من صاحب الكتاب واعتمد عليه ابن حجر واعترض

واعترض على المص بانه غفلة منه في كلامه وكانه انتقل نظره من سنامه الى سنامه
او قلد فيه الحافظ ابن الصلاح فانه لما ذكر الاحاديث التي قيل انها اصول الاسلام
ذكر هذا الحديث من جملتها بالاسقاط المذكور لكن له عذر لان ابن ماجه ذكره كذلك
فلا اعتراض عليه هنالك لانه لم يلتزم رواية تختص بخصوصها بخلاف المص فانه انما
ساق لفظ الترمذي كما سيذكره ووقع في بعض نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط
فيحتمل ان المص تنبه له بعد فالحقه ويحتمل انه من جعل بعض تلامذته او غيرهم انتهى
وما جوزه ان الغلط منه او ممن نقله عنه مع انه انسب والى مقام الادب اقرب
واي مانع من ان يكون للترمذي روايتان احديهما موافقة لرواية ابن ماجه مع ان
قوله سقط منه ما لا يتم الكلام بدونه ووقع ذلك لم يتنبه له اكثر الشراح ممنوع
لما قدمنا من ان رواية المتون والشروح وكما اقر به نفسه ان رواية ابن ماجه هكذا
فدل على انه يتم المرام بدون ذلك الكلام وهو انه عليه السلام اراد برأس الامر
وعموده وسنامه كلها الجهاد ولهذا قال بعض الشراح الجهاد بالقتال لا يعادله
شيء من الاعمال ولعله اراد بها الفروض الكفاية والا فقد ورد انه يوزن
مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيمة فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء ومن
المعلوم ان اعلى ما في الشهيد دمه وادنى ما في العالم مداده ولهذا قال الشافعي
طلب العلم افضل من صلوة النافلة مع ان الصلوة افضل العبادات عنده وروى
مرفوعا ما جميع اعمال البر في الجهاد الا كنفطة في بحر وما في جميع اعمال البر والجهاد
في طلب العلم الا كنفطة في بحر وقال ابن هبيرة في كتابه اجماع الائمة الاربعة
اختلفوا في افضل الاعمال بعد الفرائض فقال الشافعي الصلوة افضل الاعمال
البدنية وقال احمد لا اعلم بعد الفرائض افضل من الجهاد واما مالك وابو حنيفة
فمذهبهما انه لا شيء بعد فروض الاعيان من اعمال البر افضل من العلم ثم الجهاد
ثم قال اي النبي عليه السلام بعد تكميله جوامع الارشاد وتمهيده قواعد الاعتقاد
فذلكة في ضمن كلام جامع تتميما للمراد الا اخبرك بملاك ذلك وهو ما به احكام
الشيء وقوامه الذي يملك به ويعتمد عليه في امره واهل اللغة بكسر الميم وفتحها
لكن الرواية بكسرها والاشارة الى ما ذكر واكده بقوله كله لئلا يظن خلاف

الشمول والمعنى بما يقوم به ملاك العبادات بأسرها وقال المصنف ملاك الشيء
بكسر الميم أي مقصوده وخالفه ابن حجر فقال بفتح الميم وكسرها اعتمادا على
اللغة والدراية لا استنادا إلى ما ثبت في الرواية قلت بلى يا رسول الله فأخذ
أي النبي عليه السلام بلسانه لقلة مقاصده وكثرة مفاسده والباء زائدة ومن ثمة
صحت بحذفها والباء لتضمين معنى التعلق أو زائدة لتأكيد التعدية والمعنى أمسك
لسانه وقيل لسان معاذ وقال وفي نسخة فقال ثم قال وفي بعضها بدون
العاطف لكن الرواية على الأول كف عليك هذا بضم الكاف وتشديد الفاء
المفتوحة على أنه أمر ويجوز ضمها وكسرها بحسب اللغة ووضع على موضع عن
فإنها تأتي بمعنى المجاوزة كقول القائل إذا رضيت علي بنو قشير أي امنع عنك آفة
اللسان أو ضمن كف معنى احبس عليك لسانك والزم شأنك ففي الحكمة
لسانك أسدك إن أطلقته فرسك وإن أمسكته حرسك وكان الصديق رضي الله عنه
يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد ويقول ليتني كنت أخرس إلا عن
ذكر الله وقيل المعنى امنع لسانك عن الشر لئلا يتكلم إلا بالخير فإن من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن غلب لفظه كثر غلطه أو لا يتكلم بما
يهجس في نفسك ويخطر ببالك من الوساوس النفسانية والهواجس الشيطانية
فإنك غير مأخوذ به ما لم تظهره لما روي أن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها
ما لم تعمل أو تتكلم أو لا تفعل ما ستره الله عليك فإن التوبة عنه أرجى قبولا والعفو
عنه أقرب وقوعا وفي عدم الاكتفاء بالقول وأخذ اللسان باليد والإشارة إليه
بهذا دون اسمه تنبيه على أن أمر اللسان صعب الشأن ففي صحف إبراهيم عليه السلام
ينبغي للعاقل أن يكون مقبلا على شأنه حافظا للسانه عارفا بأهل زمانه وآفات
اللسان كثيرة فمن أراد الاستيفاء فعليه بكتاب الإحياء للغزالي قلت يا نبي الله وإنا
أي أنحن على قولك وإنا لمؤاخذون بالهمزة وبدله أي معاقبون ومعاتبون
بما نتكلم به أي بجميع ما نتكلم به إذ يبعد أن يكون المراد لم يعلم تحقق المؤاخذة
بالكذب والغيبة والبهتان والنميمة وسائر العصيان المتعلقة باللسان
والاستفهام المقدر للاستئناف والتعجب والاستغراب فقال ثكلتك أمك بكسر

الكاف الأولى وفي نسخة زيادة يا معاذ وأصل الثكل فقدان المرأة ولدها
كأنها دعا عليه بالموت توطئة في قوله والموت ثم كثر إجراؤه للحث فإذن
الدعاء به كلا دعاء أو أراد أنك إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد
سوءا في عملك طول أجلك والأظهر أن ظاهر الدعاء بالموت لكنه غير مراد
بل هذا مما جرت به عادة العرب في موضع التعجب أو للتحريض على التيقظ في مقام
الأدب أو لاستعظام شيء من المرام بحسب مقتضى المقام أو المعنى فقدتك
أمك لفقدك إدراك المؤاخذة بذلك مع ظهورها هنالك وهل يكب الناس
بفتح الياء وضم الكاف على ما قاله المصنف والاستفهام للإنكار أي ما يلقي الشخص
في النار والواو لمجرد الربط بين الجملتين أو هو للعطف على مقدر أي أتظن غير
ذلك وهل يكب الناس فيها على وجوههم فيه تجريد إذ الكب لا يكون إلا عليه
أو دفع الإرادة المجاز أو المراد الكب على تمامه لا على بعضه كما يستفاد في قوله
أو على مناخرهم شك من الراوي وهو جمع المنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها ثقبة
الأنف والمراد هنا نفس الأنف مجازا ولعله خصها بالذكر لأنها أول
الأعضاء سقوطا إلا حصائد ألسنتهم جمع حصيدة فعيلة بمعنى مفعولة من
حصد إذا قطع الزرع وهذا من قبيل إضافة اسم المفعول إلى فاعله أي محصودات
الألسنة والاستثناء مفرغ فإن في الاستفهام معنى النفي والتقدير لا يكب
الناس في النار شيء من الأشياء إلا حصائد ألسنتهم وهي ما يتلفظ من الكلام
القبيح وهو الكفر والكذب والشتم واللعن والقذف والغيبة والنميمة
والبهتان ونحوها وهذا الحكم بطريق الحصر وارد على الأغلب الأكثر لأنك إذا
استقريت لم تجد أحدا حفظ لسانه عما يوجب دخول النار إلا أن درجة
الأبرار تشبيه اللسان وما يقطع به من القول بحصد المنجل وما يقطع به من
النباتات وهو من بلاغة النبوة التي لا حظ لأحد من البلغاء وحيث
شبه إطلاق المتكلم لسانه بما يقتضي الطبع شأنه سواء ذاته أو
شأنه من غير تمييز بين قبيح القول وحسنه بفعل الحاصد الذي لا يميز في
الحصاد بين شوك وزرع بل يتناول الكل بمنجله وكذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم

كون بالمرء اثما وفي رواية كذبا ان يحدث بكل ما سمع ثم نسبة الكب الى الحصائد
مجازية سببية ولعمري ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فائحة منها
نسيم الكرامة العظمى لانك اذا نظرت الى الشريعة فلكف اللسان المتفق عليه
ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات
وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما
بين المشرق والمغرب وفي شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل بالصمت اي ساعة
افضل من عبادة ستين سنة واذا نظرت الى الطريقة فهو الركن المشار اليه
والقطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب ويحصل له العمارة
مع الرب ويمطر عليه سحاب الرحمة من بقراط النور ويمتلئ من السرور والحبور واذا
نظرت الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين وغاية مناقب العارفين وكذا ورد
من عرف الله كل لسانه اي عن ذكر غير الله وهو في مقام المراقبة وكل لسانه عن الدعوى
وهو في مقام الهيبة وكل لسانه عن شرح حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة الهيبة
وعن وصف الله وثنائه وهو مقام الحيرة في المعرفة كما قال عليه السلام في اقصى
الدنو والقربة لما رأى الحق بالحق وفني عن الصفات في الذات ووصل مقام من معاني
البقاء لا احصي ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا يليق
بجمال الالوهية ثم قطع لسانه عن الثناء بمواضع التنزيه للاحد عجزا في جلال الابد
واضاف ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف الله الا هو سبحانه فقال انت كما اثنيت
على نفسك وقد اشار الى فوق معنى الحديث احفظ لسانك اي اتركه الا بخير
لا يلي عنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان
رواه الترمذي في جامعه وقال حديث حسن صحيح بحذف المبتدأ وهو هذا
وقد رواه البيهقي في شعب الايمان باختلاف يسير وفيه الا ادلك على راس الامر
وعموده وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام من اسلم سلم واما عموده فالصلوة
واما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله الثلاثون عن ابي ثعلبة الخشني
بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون منسوب الى خشينة قبيلة معروفة جرثوم
ناشر بضم الجيم والثاء المثلثة واسكان الراء بينهما في اسمه وفي اسم ابيه اختلافا

كثير ذكرهما المصنف قيل يبلغ الخلاف اربعين قولا والخشني بطن من قضاعة رضي الله عنه
كان ممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهم يوم
خيبر وارسله الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات سنة خمس وسبعين وقد روى له
اربعون حديثا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى في نسخة
زيادة تعالى اي تعظم شانه وبرع برهانه فرض فرائض اي اوجب احكاما معلومة
مقطوعة كالايمان والاسلام واركانه الاربعة فلا تضيعوها بتشديد التحتية المكسورة
ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها اي لا تتركوها ولا تقصروا في ادائها ولا في آدابها ونوافلها
ومقوماتها ولا تؤخروها عن اوقاتها الفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا
هو ما يمدح فاعله ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادفه الواجب وهذا عند الشافعي
واما عند ابي حنيفة فالفرض ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني قال ابن حجر
قد يستنبط من الدلالة لمذهبنا ان الفرض والواجب مترادفان لان النهي
عن التضييع لا يختص بالفرض عنده وهو ما ثبت بدليل ظني فتفريع فلا تضيعوها
عليها قبلها ظاهر في شمول التضييع قلت وهو كذلك عندنا فان الواجب فرض عملا
لا اعتقادا لان الاعتقاد يحتاج الى دليل قطعي يصلح للاعتماد هذا وعند العارفين
هو معرفة الحق الذي هو المقصود من وجود الخلق كما اشار اليه سبحانه بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس اي ليعرفون والمعرفة غالبا لا تحصل
الا بالمجاهدة وهي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها من الشمائل وتخليتها عن اوصاف
الرذائل وتحليتها بانوار الفضائل كالتوبة والتقوى والزهد في الدنيا ودوام [illegible]
والاستقامة ونيل اخلاق الكرامة وانقطاع من حال الى حال والتصاعد من مقام
الى كمال حتى تنجلي شمس صفات انوار الجلال وتجلي طوالع اسرار الجمال ويستولي سلطان
الحقيقة على ممالك الخليقة ويطوي بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود
فما بقي الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء وتلاشى العبد في كعبة العندية
ونودي بغبار الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة الحسية وما بقي الا الله كليا
فاينما تولوا فثم وجه الله وحد بفتح الدال وتشديد الحاء اي بين وعين حدودا
اي احكاما اوامر ونواهي وزواجر وكلاما في شمولها لما قبلها وما بعدها على

الحكم على الوجه الاعم هو الاثم فيكون تعميما بعد التخصيص وتخصيصا بعد التعميم مبالغة
في قصد التعميم فلا تعتدوها لا تتجاوزها بل قفوا عندها فان قيل كيف جلد عمر في
الخمر ثمانين وانما جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه اربعين قلنا
قد قال علي كرم الله وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجهه قوله عليه السلام اقتدوا باللذين
من بعدي ابو بكر وعمر وكان الناس اكثر جرأة في الشرب زمن عمر فزاد في جلدهم تنكيلا او زجرا
فيكون سياسة سنة وقد امرنا بالاقتداء به رضي الله عنه وبهذا لا ينافي قول علي رضي الله عنه
لا يموت احد في حد وفي نفسي منه شيء الا شارب الخمر فانه لو مات وديته وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه فانه محمول على ما اذا مات بسبب زيادة
الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة من حيث ان مرتبة هذه السنة الرفيعة
دون تلك السنة فهي بمنزلة القطعي والاخرى في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في المقام
والله اعلم بحقيقة المرام فاندفع قول شارح فيه فيه اشكال قوي لان هذا يستلزم
فكيف قال علي لو مات وديته لانه عليه السلام لم يسنه وان لم يكن سنة فكيف قال
وكل سنة انتهى وقد عرفت محل الفرق بين سنة وسنة فان من السنن ما يكون
بدعة وتجعل سنة كما قال عمر رضي الله عنه في صلوة التراويح نعمت البدعة فلا يكون في مرتبة
السنة الثابتة عن صاحب النبوة وقال في النهاية هي اي الحدود محارمه التي قرنها
بالزنى والآثام لانها يفصل بين الحلال والحرام فمنها ما لا يقرب منه كالفواحش
قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه ما لا يتعدى كالمواريث وتزويج الاربع
قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وخلاصة الكلام في مقام المرام ان حدود الله
ما منع من مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة كتعديل
الركعات والاوقات وما وجب اخراجها في الزكوة واثباتها في الحج بعرفات
وسائر المقامات وحدود العقوبات ولما كان العامل بها متصرفا في حيز الحق واذا
تعداه وقع في حيز الباطل فالمنهي هو التعدي قال فلا تعتدوها اي فلا تتجاوزوا
عنها بتركها او لا تتجاوزوا ما حد لكم بمخالفة الامور وموافقة المحظور الاحوط الآتي ها
لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين الحق والباطل لئلا يقع فيه ولذا قال تعالى فلا تقربوها
او سياق الحديث مقتضى تخصيصها بحد الزنى والشرب والسرقة واخواتها من الاحكام

من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام ومنه ما ورد حد يعمل في الارض خير من مطر اربعين
صباحا وفي خبر الطبراني والبزار اني اخذ بحجزكم اتقوا النار الحدود وهذا وفي كلام بعض الصوفية
الكرام ان العبد ينقلب في جميع الاوقات على الحدود اذ لكل عمل حد ولكل وقت
حد ولكل حال مقام حد فمن تخطاها ولو بشيء قليل فقد ضل سواء السبيل وحرم اشياء
كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها فلا تنتهكوها اي لا تتناولوها ولا تقربوها
وفي الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطائفة العلية
متابعة الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى والغفلة عن
المولى اذ بجلاله ينقطع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى الحق من كل محبوب
وكذا قال من بالحق مصحوب يخرج الهوى باهل ودني تعظيم لسان وجود في الوجود محبوب
حرام من القلب تعرض للهوى يكون لغيرته منه نصيب وسكت عن اشياء
اي لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة ونحوها رحمة لكم مفعول له غير نسيان اي حال
كون السكوت عنها غير نسيان لاحكامها لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنها
اي لا تفحصوا عن احوالها ولا تفتشوا عن احكامها بل احكموا بالبراءة الاصلية والحل
في المنافع والحرمة في المضار من الامور الدينية والدنيوية ثم النهي يحتمل اختصاصه
بزمانه عليه السلام لقوله تعالى لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الآية وذلك لان السؤال قد يكون سببا لنزول شدة
الحال بايجاب او تحريم في اعمال ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمن يسئله ايجب الحج في العمر
مرة او في كل سنة لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي الحديث ان اعظم
المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته فقد دل
على ان ثم اشياء باقية على اصل الاباحة وقد تعرض لها التحريم بالوسائط وقال
بعضهم دل على ان ثم اشياء لم يذكر احكامها ولا احكام لها ولذا توقف بعض العلماء
في حكم بعض الاشياء ويحتمل بقاؤه على عمومه لان كثرة البحث والسؤال عما لم
يذكر في الواجبات ولا في المحرمات قد يوهم اعتقاد ايجابه او تحريمه وقد صح هلك
المتنطعون قالها ثلثا والمتنطع الباحث عما لا يعنيه وقد سبق ان من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ومن ثم قال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق

والتنطع التعمق المتكلف في البحث
المتنطعون الباحثون في الامور
م

وعليكم بالعتيق يعني ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على أن لا حكم قبل ورود الشرع
قيل وهو الأصح وقيل الأصل الحظر ونسب إلى الحنفية والشافعي وأكثر المتكلمين
وقيل الإباحة وهو الأظهر لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقد خص منه
ما فيه المضرة شرعا وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك ثم اعلم أن الله تعالى تجلى لعامة
عباده بأفعاله وآياته المبثوثة في أرضه وسمائه ولخواص أصفيائه بصفاته
العظمى وللأعظم أنبيائه بذاته وحقائق صفاته الحسنى وخصه بذلك دون
غيره من قرنائه رحمة لهم غير أنه لم يحالهم إذ ما من عظيم عند عظمة الأكمل وذل
في جنب عزته ذل وقل ولا استقام كبير دون كبريائه الأوهام وفهام كما في الحديث
القدسي والكلام الأنسي لن يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب
إلا تفرق وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسامهم فلا قال فلا تبحثوا
عنها أي تتفكروا فيها فإن الباب إلى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق
إلى حصول معرفة كنه الصفات مسدود وقال تعالى ولا يحيطون به علما ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير ففيه الجمع بين التشبيه والتنزيه وقال بعض العارفين ما خطر ببالك
فالله وراء ذلك وفي الحديث تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فالعجز
عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات الرب إشراك حديث حسن
وصححه ابن الصلاح وحسنه أيضا الحافظ أبو بكر بن السمعاني في أماليه رواه الدارقطني
وغيره كالبزار وإسناده صالح والحاكم وصححه ولفظهما عن أبي الدرداء ما أحل الله في كتابه
فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن
الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسيا ومن زعم وقفه
على أبي ثعلبة فقد أبعد ولذا قال الدارقطني الأشبه بالصواب مرفوع وأخرجه الأصبهاني
والطبراني وأبو نعيم ولفظه عن أبي الدرداء يرفعه ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو
حرام وما سكت عنه عافية فاقبلوا من الله عافيته وفي رواية أنه قال اتركوني
ما تركتكم فإذا حدثتكم فخذوا عني فإنما هلك الذين من قبلكم لكثرة مسائلهم
واختلافهم على أنبيائهم وإن الله سبحانه لما أرسل رسوله وأنزل عليه كتابه
وأمر بتبليغه إلى الأمة قال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى أمركم بأشياء فامتثلوها

فامتثلوها ونهاكم عن أشياء فاجتنبوها وسكت لكم عن أشياء رحمة منه فلا تسألوها
وذلك كله للرفق بالخلق ولذا قال قوم لا يجوز سؤال العلماء عن نازلة إلا بعد وقوعها
وتمسك الظاهرية بهذا الحديث للاقتصار على النصوص الظاهرة ورد القياس بأنواعها
إلى الجلي لأن القياس وهو إلحاق المسكوت عنه بالمنطوق بحكم في حكم البحث عنه
وقد نهينا عن البحث عنه فيكون مردودا عملا بقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه أمرنا
فهو رد ورد عليهم بأن هذا الاستدلال ظني ودليل العمل بالقياس قطعي لكن قال
الإمام حجة الإسلام السكوت عما تكلم فيه السلف جفاء والكلام فيما سكتوا عنه
عناء أي **الحادي والثلاثون** عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي
الأنصاري كان في نسخة كان اسمه حزنا وهو الشيء الصعب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
سهلا وهو آخر الصحابة مات بالمدينة سنة إحدى وتسعين وهو ابن مائة سنة
وقد أحصن سبعين امرأة روي له مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا ذكر في نسخة
كان الأولى أن يقال رضي الله عنهما كما في نسخة لأن أباه صحابي أيضا قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله دلني على عمل أي أرشدني إلى عمل جامع للفضائل مانع عن الرذائل
إذا عملته أحبني الله بإرادة الرحمة والمثوبة وأحبني الناس بإرادة المنفعة والشفقة و
والجملة الشرطية صفة عمل والرواية فأحبني بفتح التحتية ويجوز إسكانها فقال ازهد
في الدنيا أعرض عنها ولا تبال بإقبالها وإدبارها ولا تتصرف فيها إلا بما يعنيك
ويعينك على التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ومن إنشاد الإمام الشافعي أبا نفسي
يكفيك طول الحياة إذا ما قنعت ورب الفلق رغيف يغدو وسبح يابس وماء
دون ديس صحيح وخرقة تكنك جدرانه فما ذا العنت وما ذا الفتوح والدنيا عبارة
عن الأعيان الثانية وهي الأرض وما عليها من المواليد الثلاثة وهي الجمادات
والنباتات والحيوانات مما للإنسان فيها حظ ولذة مالية وجاهية وله في صلاحها
شغل لحظة ولحظة غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات والزهد عبارة عن عزوف
النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفا من النار وطمعا في الجنة
أو ترفعا عن الالتفات إلى ما سوى الحق ولا يكون ذلك إلا بعد انشراح الصدر
بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولا جاه وثمرة القناعة من الدنيا بقدر

الضرورة من زاد طريق العقبى وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن
يصونه الحر والبرد واثاث يحتاج اليه على ما ذكره الامام حجة الاسلام وفي المنازل ما حاصله
من المرام ان الزهد اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية وهو ثلاث مراتب الزهد في
الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه
بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عن شهود اكتساب اجر
تركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق حيث هو المتصرف في العطاء في الزهد
والمنع والاخذ والترك انتهى وعن الامام احمد بن حنبل انه قال الزهد على ثلثة اوجه
ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما هو
شاغل عن الله وهو زهد العارفين وتوضيحه ان الزهد هو الاعراض عن الشيء
لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاستحقاره ماخوذ من قولهم شيء زهيد اي
قليل وفي ضرائك لزهيد وقيل افضل الناس مؤمن مزهد اي قليل المال وهو
باعتبار الحكم انواع احدها الزهد في الحرام وهو الزهد الواجب على عامة الانام والثاني
الزهد في الشبهة والاشبه وجوبه لانه وسيلة الى اتقاء الوقوع في الحرام وقد قال عليه السلام
من وقع في الشبهات وقع في الحرام واجتناب الحرام واجب ووسيلة الواجب واجبة
فالزهد في الشبهات ايضا واجبا الثالث الزهد فيما عدا الضرورة من المباحات
وهو المراد من هذا الحديث ظاهرا وهو زهد الخواص العارفين بالله تعالى الرابع الزهد
فيما سوى الله عز وجل من دنيا وعقبى فلا قصد لصاحب هذا الزهد الا الوصول
من المولى وهو زهد الاخص بغير هذا وقد قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن
اتقى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد روي عن بعض السلف انه قال لو كانت الدنيا
لؤلؤة تفنى والاخرة خزفة تبقى لكان ينبغي للعاقل ان يؤثر ما يبقى على ما يفنى
فكيف والامر بالعكس لان الخسيس هو الفاني والنفيس هو الباقي فما لك لا تعقل
ما اردناه وفي حديث رواه الترمذي وابن ماجة مرفوعا الزهادة في الدنيا
ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما
في يديك اوثق مما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها
ارغب فيها لو انها بقيت لك ورواه احمد موقوفا على ابي مسلم الخولاني بزيادة وانها

وان يكون مادحك وذامك في الحق سواء وقال الفضيل اصل الزهد الرضى عن الله
تعالى وهو موجب للرضا بالقضاء والاعراض عن دار الفناء والاقبال على دار البقاء
واللقاء وعن علي كرم الله وجهه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل ان دنيا
كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته
دنيا بالنسبة اليهما الا اذا قصد به وجه الله تعالى وكذا قيل اخر ما يخرج من راس الصديقين
محبة الجاه اي الجاه الاخروي وقيل الزهد في الرياسة اشد منه في الذهب والفضة وقال
سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العباء اللهم
زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وفي حديث مرسل
عن الضحاك رواه ابن ابي الدنيا قيل يا رسول الله من ازهد الناس فقال من لم ينس القبر والبلى
وترك زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من الموتى وقال
ابو عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ولا تبالي من اخذها وقال الجنيد سمعت السري
يقول ان الله سلب الدنيا عن اوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب احبابه
لانه لم يرضها لهم الا لاعدائه يعني لقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية وقيل الزهد
مستفاد من قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالزاهد لا يفرح من الدنيا
بموجود ولا يتاسف عليها بمفقود والتحقيق ان المحب للدنيا الذي ذمه الله تعالى
انما هو الذي يلهيه الاعراض الفانية عن الاعراض الباقية ويشغله صيانته العاجلة
عن السعي للدار الاجلة بخلاف من كانت الدنيا معينة له على سلوك طريق العقبى
وسبيل محبة المولى وقد جمع ابو سليمان الداراني انواع الزهد كلها في كلمة فقال هو ترك
ما شغلك عن الله ثم اعلم ان الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا
الى زمانها وهو الليل والنهار فان الله تعالى جعلهما خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
ولا الى مكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا الى ما اودعه فيها لانه
كله من نعمه سبحانه قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما هو راجع الى
الاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله من عبادته ثم من درجاته عند الله تعالى وان كان
عليه كريما ويؤيده حديث رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي
ان الله اذا احب عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء ورواه الحاكم ولفظه

ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه
وقد ورد ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر بالنسبة الى ما اعد الله لهما من النعيم المقيم
والعذاب الاليم ومقتضى التشبيه ان المؤمن يكره الدنيا والكافر يحبها حتى احبها فليس بمؤمن
كامل العدم زهده فيها بل من فعل المحاسن انهم كانوا يزهدون عن الحيوة فيها وهذا لا يصح
الا لمن قد لاح له من عالم الاخرة لايح فاشتاق الى لقاء مولاه وغلب شيطانه
وهواه فمن فوت نفسه في الدنيا وتمحض بلباس التقوى فمثل هذا يكون الدنيا له سجنا
ومقامه فيها هما وحزنا لكن المؤمن صابر على حكم الله وراض بما قدره وقضاه الى منتهى اجله
في هذا الباب وقد قال تع لكل اجل كتاب واختلف في طلب الموت افضل اشتياقا
الى اللقاء وطلب البقاء وطلب الحيوة لزيادة الطاعة والعبادة والدعاء والثناء
والافضل التسليم في مقام الرضا كما في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من
كل شر وقد قال تع لنبلوهم ايهم احسن عملا قال بعض السلف اي ايهم ازهد في الدنيا
وارغب في العقبى وقال بعضهم اكثرهم ذكرا للموت والبلى وعن ابن مسعود قال دخلت
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت لو نمت يا رسول الله
على ما هو اللين من هذا فقال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قام في ظل شجرة ثم راح
وتركها وعن عمر انه دخل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر في جنبه
فبكى عمر فقال ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر عدوى الله في الحرير والخز وانت رسول الله
وخيرته من خلقه على هذا الحال فقال افي شك انت يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الاخرة وفي خبر احمد والنسائي حبب الي من دنياكم ثلث النساء والطيب والطعام
فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم
قال نعمت الدنيا لمن تزود منها للاخرة حتى يرضى ربه وبئست الدنيا لمن صدت به
عن اخرته وقصرت به عن رضى ربه وفي حديث حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى
عندي حجرها ومدرها وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب
بها لتقذرتها كما تتقذر الجيفة وقد ورد مرفوعا ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وكان للبزار عن ابي الدرداء قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بدمنة

بدمنة قوم فيها سخلة ميتة قال ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبي الله لو كان
لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله للدنيا اهون على الله من هذه السخلة على
اهلها وقد ورد ان الدنيا مزبلة فلا يدفن احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا
جميعا قال بلى يا رسول الله قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا
مزبلة فيها رؤس الناس وعظام الدواب وعذرات وخرق فقال لكم
هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم قد عادت عظاما بلا جلد
هي كانت رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها الافاق
وهذه الخرق رياشهم ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم قد قذفوها
في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان باكيا فليبك على هذه فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا وقد روي ان ابا بكر كان يكثر في خطبته ما للمرء والتكبر
يدخل احدكم الخلاء كل يوم ويغسل الخراء بيده اما يرى ما يخرج من انفه وحلقه
وما يجتمع في امعائه اما يوقف المرء قدره قال حتى كان تقذر الينا انفسنا
وقد روي حديث معناه ان المرء اذا قعد في خلوته بعث اليه ملك يعكس
برقبته حتى يرى ما يخرج من مقعدته ليكون له نظر عبرة الى عاقبة لذته
وقد قال بعض السلف انظروا الى الناس في اعيادهم لم تروا فيها الاخرة
قبل وجدا يأكله التراب في دار البلوى والحاصل ان كمال الزهد هو ان ينفر
نفس السالك عن الدنيا وما فيها من اللذات والشهوات كما تعاف السالمة
عن الافات مشاهدة القاذورات ومعانقة النجاسات وجاء في الحديث
الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم
وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله وفي خبر الحاكم ما الدنيا في الاخرة الا كما اذا
ادخل احدكم اصبعه في اليم فما خرج منه فهو الدنيا يحتمل ان يكون مجزوم على جواب الامر
او مرفوع على الاستيناف كذا ذكره شارح والظاهر الاول وكذا الرواية على ما في نسخ
الكازروني وفيه اشارة الى ان الزهد من المقامات العلية والحالات البهية
لانه جعل سببا لمحبة الله تعالى ومفهومه ان محبة الدنيا سبب لبغضه سبحانه فانه

يجب من الطاعة وحب الدنيا ومحبة المولى لا يجتمعان لقوله عليه السلام كما رواه
احمد وابن حبان من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته
فآثروا ما يبقى على ما يفنى وشبههما بالضرتين وبالكفتين ولان حب الدنيا رأس
كل خطيئة وبغضها رأس كل عبادة ولان القلب بيت الرب وهو اغنى الشركاء
لان له العظمة والكبرياء والمراد بذم الدنيا محبتها اذا نعوذ من سلوك طريق المولى
ولهذا قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به معروفا ولذا
شبه العارف الرومي مال الدنيا بماء البحر ولعل ماخذه قوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا
كماء والسالك كالسفينة فان دخل الماء فيها اردها وان كان ما حولها ارسها ورواها
وجاء في الخبر اذا كان يوم القيمة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين يقول هذا ما
عاد الينا سعد به قوم وشقى به آخرون وازهد فيما عند الناس من المال والجاه
يحبك الناس لان من نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه وارتضاه
ومن كلام الشافعي ومن يأمن الدنيا فاني اكلتها وسيق الي عذبها وعذابها فما هي الا جيفة
مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها
نازعتك كلابها وقال بعضهم ترك الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها
وخسة شركائها واخرج الطبراني وغيره خبر ازهد فيما في ايدي الناس تكن غنيا يعني
بما في خزائن الرب وقال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس ما لم يعط ما في ايديهم واذا
اعطى ذلك يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته
ان الطمع فقر وان اليأس غنى وسأل ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضي الله عنه ما يذهب
بالعلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب
الحاجات الى الناس وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا
احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا وقال ابو ايوب السختياني
لا ينبل الرجل حتى يعف عما في ايدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم والمعنى لا يستعلوا بحبهم
ولا يبغضهم كما قال قائلهم وما الزهد الا في انقطاع العلائق وما الحق الا في وجود الحقائق
وما الحب الا حب من كان قلبه عن الخلق مشغولا برب الخلائق ثم المحبة الالهية وهي
ارادة المثوبة فهي صفة ذاتية او نفس الاثابة فهي صفة فعلية وقد يكون محبة العبد له سبحانه

لما ابداهم واولاهم من نعمه واحسانه واليه الاشارة في قوله عليه السلام احبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه واليه الايماء في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف ثم الاحسان في الحقيقة لا الا لله لانه خالق المحسنين واحسانهم
فهو الحقيق بالمحبة دون من سواه وقد ورد جبلت القلوب على حب من احسن اليها
ومن محبته محبة من احبه من نبي وملك وولي ونحوه وقد ورد في الدعاء اسألك
حبك وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك ومن محبته محبة طاعته واجتناب
معصيته ولقد احسن من قال من ارباب الحال ، تعصى الاله وانت تظهر حبه ، هذا لعمري في
القياس بديع ، لو كان حبك صادقا لاطعته ، ان المحب لمن يحب مطيع ، ولذا قال سهل
التستري المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال ابو علي الروذباري المحبة الموافقة
وقال سمنون المحب ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لانه عليه السلام قال المرء
مع من احب فلهم مع الله تعالى ابدا وقال بعض العارفين مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما
نالوا اطيب ما فيها وما اطيب ما فيها قال محبة الله والانس به والشوق الى لقائه والتنعم بذكره
وطاعته وشكره وقال ابو سليمان انه ليمر بي اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل ما انا فيه
انهم لفي عيش طيب وقال سمنون المحب وكان فؤادي خاليا قبل حبكم وكان بذكر الخلق
يلهو ويمرح فلما دعا قلبي هواك اجابه فلست اراه عن فنائك يبرح بليت ببعدي عنك
ان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا بغيرك افرح وان كان شيء في البلاد باسرها
اذا غبت عن عيني بعيني يملح فان شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست ارى قلبي
لغيرك يصلح وله ايضا وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني وقال
الاستاذ ابو القاسم القشيري في رسالته ما حاصله ان المحبة منه تعالى للعبد ارادته
لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادته مطلق الانعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي
اخص من الارادة فارادته تعالى وان كانت صفة واحدة الا انها تتفاوت بحسب
تفاوت متعلقاتها فعند تعلقها بالعقوبة سمي غضبا وبعموم النعمة رحمة وبخصوصها
محبة ومن العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه تضعف عنه العبارة وتلطف عنه الاشارة
وقد يحمله تلك الحالة على تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس
بدوام ذكره له بقلبه وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة

عن اللحوق والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بوصف الاختلاط وليس لها وصف ولا حد اوضح ولا اقرب للفهم من لفظة المحبة انتهى وكما نقل القرطبي هنا ذكر معه عن بعض ارباب القلوب في محبة العبد سبحانه حيث فسرها بانها الميل الدائم بالقلب الهائم قلت لا هؤلاء قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل وتوقان وقال يجدها في نفسه من نوع ما يجده في محبوباته المعتادة له وهو صحيح لان النفوس مجبولة على الميل الى حسن الجمال والكمال فبقدر ما ينكشف من ذلك يكون الميل والتعلق فهالك صحيح وربما يفضي الى الاستيلاء ذلك المعنى عليه بحيث لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلك الحسن اما حسي كالصورة الجميلة الانسانية المشتهاة لنيل اللذة الجسمانية وهذا اخطر الاستحالة في الذات الصمدانية واما معنوي كمن اتصف بالعلم والحلم والكرم وحسن الخلق فهذا تميل اليه النفوس الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح لذكره فتهتز لسماع احواله وتشتاق لمشاهدته وتتلذذ بمطالعة ملاحظة لذة روحانية لا جسمانية كما تجد عند ذكر الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء والاسخياء من الميل والرقة الانسية وان لم تعرف صورتهم الحسية وهذا الكلام لا يرده منصف ولا ينكره الا متعسف وتضاعف ذلك الميل بوصول بر واحسان من المتصف بذلك الجمال المعنوي الى ان يستغرق فيه بجملة باله ويذهل عن جميع اشتغاله واحواله واذا كان هذا في حق من جماله وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن لا يوصف كماله بزوال مع انعامه الذي لا يحصى اولى بذلك الميل واحق بذلك الحب وليس ذلك الا الله تع وحده ثم من خصه بالكمال المطلق والجمال المحقق على سائر من خلق وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فمن تحقق بذلك كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما فذهب للقائهما واتصف بما يرضيهما واجتنب ما يسخطهما واعرض عما سواهما الا باذنهما انتهى وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد ذكر بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهد من راحة القلب والقالب في الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك على الحقيقة كما قال قائلهم ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة واذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض سيمتهم سماحة وهم العقلاء لايثارهم البقاء على الفناء وكم بين من شغله الله وبين من شغله هواه شتان شغل قوما بدنياهم وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم باب مرضاته

وعن سائر الناس اغنيهم حديث حسن رواه ابن ماجه وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني صاحب السنن وماجه امه ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي حاتم والخطيب باسانيد حسنة اي لغيرها لا لذاتها لان في سندها من طعن فيه جماعة من المحدثين كاحمد وابن معين وابي زرعة وابي حاتم وابن عدي الا ان ابن حبان ذكره في الثقات فالحسن لتعدد طرقه في الروايات وفي الجامع الصغير رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد وزاد في رواية مسلمة ان رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال اما العمل الذي يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك الناس عليه فانظر الى هذا الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي الدنيا ايضا ونقل غير واحد من الشراح عن الاربعين الودعانية زاد بعضهم لتحقيقهم قوله الموضوعة خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ان الراغب في الدنيا يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ليجيئن اقوام يوم القيمة بحسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله او هم مصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه انتهى ولا يخفى انه صحيح المعنى وان كان ضعيف المبنى ونقل بعضهم خبر ايها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل ان من في الدنيا ضيف وما فيه عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله تع محببة لاهلها فمن شاركهم في محبوبهم ابغضوه وروى احمد والترمذي وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له وفي الدعاء الوارد اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وروى الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء واختلف العلماء في ان طلبها

لفعل الخير افضل اذ تركها في اصلها اكمل والثاني اشهر واظهر لقول عيسى عليه الصلوة والسلام
يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر ويؤيده قوله تعالى في ذم من يريد الدنيا
لتحصيل البر في العقبى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقال ابن مسعود ما كنت
اظن ان احدا من الصحابة يحب الدنيا حتى نزلت هذه الاية ولما قرئت هذه الاية
عند الشبلي قال آه اين من يريد الله وقد اجيبت عنه بلسان العبارة وبيان الاشارة
في الجمالين حاشية الجلالين ثم اعلم ان مدار الزهد على عزوف النفس عن الدنيا وشهواتها
ولهواتها وهذا امر يتعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير الرب ولذا قال ابو سليمان لا اشهد
لاحد بالزهد لانه في القلب وقيل لبعض السلف من معه مال اهو زاهد فقال نعم
ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه والاظهر ان الزهد يتصور ممن ليس له مال ولا جاه
لان الزهد حال وآثار من توفيق الرب حال في القلب يمنعه عن طلب دنياه ومتابعة
هواه سواء وجد في حال الفقد او عرض بعد الوجد نعم من علامة الزهد سبق القدرة
على وجود الدنيا ولذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ
جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت انتهى ولا يخفى ان هذا يحتمل ان يكون
منه تواضعا وانصافا في المقال او يريد به كتمان الستر واخفاء الحال او بيان ان
الوجود شرط الكمال كما حصل لابرهيم بن ادهم ترك الجاه والمال بعد الوجود اما تحقيقي
واما فرضي وتقديري بحيث انه لو عرض عليه الجاه والمال ما مال عن الحال بالانتقال الى مقام
النقص والزوال واما ما نقله ابن حجر عن كثير من السلف من ان عمر بن عبد العزيز
كان ازهد من اويس فلعله محمول على ما قررناه والا فعمر بن عبد العزيز اختار الجاه الذي
هو وسيلة الى المال ولذا هجره بعد توليته كثير من العلماء والصلحاء من ارباب الكمال
واويس فقد بالغ في قلة المال وحصول الحال حيث اختار رعي الجمال في طريق الحج وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كل سنة ينشد عنه ولم يات الخبر منه الى انه دل عليه انه في نواحي عرفات فركب هو وعلي رضي الله عنهما
فرآياه يصلي والجمال ترعى فاجتمعا معه وتبركا به وطلبا منه الدعاء بالمغفرة وعرضا عليه
عن النفقة والكسوة فاباهما ثم اختفى عن الناس خوفا من الشهرة والاستيناس فهو
لا شك انه من ازهد الزهاد ولذا ورد في حقه انه خير التابعين وقد قيل عيسى عليه السلام
كان ازهد الانبياء وانه يجوز ان يكون خصلة في المفضول لا يوجد مثلها في الفاضل وفيه بحث لان نبينا

لان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فلم يلتفت اليها وما زاغ البصر
وما طغى لديها ففي كتاب الشفاء وغيره ان جبرئيل عليه السلام قال له ان الله تعالى يقول لك
اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال
يا جبرئيل مالي وللدنيا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له فقال له
جبرئيل ثبتك الله بالقول الثابت وفي رواية اخرى اريد ان اجوع يوما فاصبر واشبع يوما
فاشكر وذلك لانه كان مظهر الكمال الجامع بين مطالعتي الجمال والجلال معتدلا في الاحوال متوسطا
بين الخوف والرجاء كما يقتضيه مقام الرضى وعيسى عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا
كان يمتنع عن كثير من متمتعات الحلال وايضا كان مبعوثا الى جمع محصور من ارباب الجاه
والمال فاظهر كمال الزهد فيهم ليقتدوا به ولذا ظهرت الرهبانية فيهم لكنهم ابتدعوها
وما رعوها حق رعايتها واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مبعوثا لعامة الخلق وهو
رحمة للعالمين فقد امر الحق له ان يقول للخلق قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله تعالى
فاختار طريقا جامعا ومسلكا واسعا ليسع الخلق كلهم ان يتبعوه صغيرهم وكبيرهم و
ضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم فتارة كان ياكل خبز الشعير
اليابس والتمر الردي واخرى ياكل الرطب الجني والعيش الطري وتارة يلبس الثوب
الفاخر واخرى يلبس الكساء الخلق الطاهر وتارة يرقد على السرير وفراش الثياب
وتارة يضطجع على الحصير او التراب وتارة يلبس القلنسوة مع العمامة واخرى يكتفي
بالقلنسوة وتارة يجعل لها عذبة بغير علاقة وتارة يركب الخيل والابل واخرى يركب
الحمار وربما يردف ويمشي منفردا واخرى مع جماعة وتارة يصوم حتى يظن انه لا يفطر
واخرى ينام حتى يظن انه لا يصلي ومع هذا احياء الليل كله وربما قعد عن صلوة التهجد فاداها
في النهار وما ذلك كله الا تسهيلا للملة وتهوينا لمتابعة جميع الامة وتارة يعطي عطاء
الملوك استغناء بغنا الحق واخرى يقترض من يهود اظهارا للافتقار وتواضعا مع
الخلق كل ذلك ليكون شريعة سهلة وطريقة سمحة لا فيها عوج ولا حرج ولذا قال عليه الصلوة والسلام
ليذكرن الله اقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات الاولى وفيه دليل
على ان الملوك والامراء ومن يجري مجراهم من الاغنياء لا يمنعهم حشمتهم وتنعمهم عن ذكر الله تعالى
ودوام في ذلك فاجوزوا من شابهه يدخلهم الله برحمته الجنات العلى ثم نبههم على ان

الزهد في الدنيا انفع لكم في مراتب العقبى حيث قال احوجكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة
ونحو ذلك مما فيه بيان الطريق الاولى والاوفق مع ان شرط صحة التنعم استعمال المباحات
دون المحرمات والشبهات كما قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق اى المستلذات من الحلالات فهذا كله يدل على ان الفقير الصابر افضل من الغني
الشاكر ومن خالفه فهو المكابر وان كان من الاكابر والله سبحانه اعلم بالظواهر والسرائر
وانما اطنبنا الكلام في هذا المقام لان الزهد في الدنيا امر مهم من انواع المرام ويحتاج اليه
الخاص والعام في تفاصيله من الاحكام ولنختم بالدعاء الوارد عن سيد الانام وهو اللهم
كما رزقتني ما احب فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني ما احب فاجعله فراغا
فيما تحب رواه الترمذي **الثاني والثلاثون** عن ابي سعيد سعد بن مالك بن
سنان بكسر اوله الخدري بضم المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى بني خدرة
قبيلة من الانصار رضي الله عنه ينبغي ان يقال عنهما كما في نسخة صحيحة لان اباه صحابي
ايضا من شهداء احد وابو سعيد هذا من نجباء الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة
وعلمائهم روى له الف ومائة وسبعون حديثا وقد روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين
توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر بالتنوين
ولا ضرار بالبناء على الفتح فيهما رواية ويجوز رفعهما اوجه رواية وزيد في بعض النسخ
في الاسلام قال الاصمعي لا ضرر بفتح الضاد المعجمة ولا ضرار بكسر الضاد المعجمة انتهى فهما
مصدران من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع على ما في الصحاح وقال صاحب النهاية
الضرر والضر ضد النفع اى لا يضر الرجل اخاه فينقص شيئا من حقه والضرار فعال من الضر
لا يجازيه على اضراره بادخال الضرر عليه فالضرر فعل الواحد والضرار فعل الاثنين او الضرر
ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع به والضرار
ان تضره من غير ان تنتفع به وقيل فالمفاعلة للمبالغة وقيل هما بمعنى وتكرار للتأكيد انتهى
كلام النهاية وقيل الضرر ان يضر من لم يضره والضرار ان يضره من يضره اى ليس لاحد بينهما
ان يبتداء احدا بضرر وذلك يشمل ضرر نفسه وضرر غيره وقيل الضرر الحاق مفسدة
بالغير مطلقا والضرار الحاق مفسدة به على جهة المقابلة اى يقصد كل منهما ضرر صاحبه
قيل وفي هذا الحديث ولا اضرار بزيادة همزة في اوله وهو مصدر اضر به اضرارا او لحق

او لحق به ضررا فهو بمعنى الضر قال ابن الصلاح وهذه الرواية على السنة كثير من الفقهاء
والمحدثين ولا صحة لها لكن انتصر لها بعضهم بانها جاءت في بعض روايات ابن ماجه
والدارقطني وفي بعض نسخ الموطأ وقيل المعنى لا لحوق ضرر شرعا الا لموجب خاص
اما التقييد بالشرع فلان الضرر بحكم القدر الالهي واما استثناء لحوق الضرر بموجب
خاص فلان الحدود والعقوبات ضرر لاحق باهلها وهو مشروع بالاجماع انتهى
وخبر لا محذوف اى في ديننا وشريعتنا والاظهر ان هذا نفي معناه نهي كقوله تعالى
لا ريب والمعنى لا تضروا انفسكم ولا يضر بعضكم بعضا ولا تضاروا الناس بما فعلوا معكم الا
باذن الشرع لكم من غير تعد عن الحق منكم كما قال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها
وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر الا بدليل لان النكرة في سياق النفي تعم وانما
انتفى الضرر فيما عدا ما استثني لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد
الله ان يخفف عنكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية
السمحاء السهلة ونحو ذلك من النصوص المصرحة بان وضع هذه الملة تحصيل النفع ودفع
وصح ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم بعضكم على بعض وصح ايضا حرم الله من المؤمن
دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وكل ما جاء في تحريم الظلم من الكتاب والسنة
دليل على تحريم المضرة وقد جاء فيها النهي عن المضارة في صور خاصة منها في الوصية
فقد اخرج الترمذي وغيره ان العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الوصية فيضار
في الوصية فيدخل النار ثم تلا من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار الى قوله
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ومنها في الرجعة قال تعالى بلغ
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومنها في العدة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن ومنها في الرضاع قال تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
واما قوله عليه الصلوة والسلام في الخبر الصحيح لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبة
في جداره فالظاهر انه من باب مكارم الاخلاق بمعنى لا ينبغي ان يمنع لا انه يحرم له
كرها ان يضع كما اباحه جماعة منهم الشافعي في القديم ورجع عنه في الحديث قال النووي
ذلك الحديث لا ضرر ولا ضرار مع حديث لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس

وقد ابعد ابن حجر في تجويز رجع الضمير للجار في جداره يعني جدار نفسه فانه مثل هذه الاحتمال
لا يخطر ببال اهل الكمال والحاصل انه مذهب ابي حنيفة والكوفيين عدم الوجوب وقال
احمد وابو ثور واصحاب الحديث بالايجاب الظاهر الحديث والله اعلم بالصواب واما
الصائل ونحوه فمخصوص من عموم هذا الحديث وكانه اراد دفع ضرره وزجره والمرام
في هذا المقام انه ينبغي لسالك طريق الحق ان يعاشر الخلائق ويسلك في مصاحبتهم
احسن الطرائق واذا اعتدى عليه احد لا يكافيه وان اساء اليه مسيء فلا يقابله
بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض ويعتصم بحبل الله والعفو في الاعراض حتى يستعبد
القلوب باحسانه ويميل النفوس الى امتنانه ويكتسب المحبة في الله المحمودة
في الشرائع التي هي من افضل القرب في الذرائع الباعثة للاجتماع في الجوامع لاستنزال الرحمة
الالهية والبركات النوافع وكذا نقل في عوارف المعارف ان ارتفاع الاصوات في
بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقده الافلاك حديث
حسن رواه ابن ماجه اي عن ابن عباس وكذا في الجامع الصغير فخر اطلاق المصنف ايهام
انه رواه عن ابي سعيد ولعله وجد له رواية عنه ايضا قيل وفي اسناديهما ضعيف
وانقطاع والدارقطني اي من طريق ضعيفة عن ابن عباس واخرى كذلك عن عائشة واخرى
عن ابي هريرة لكن مع شك فيها وغيرهما كالحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم
والبيهقي من حديث ابي سعيد والطبراني مرسلا وابن عبد البر من طريق كثير ابن عبد الله
وكثير هذا صحح حديثه الترمذي وقول البخاري في بعض احاديثه هو اصح حديث في الباب
وحسن حديثه الخزامي وقال خبر من مراسيل ابن المسيب وكذا حسنه ابن ابي عاصم
مسندا هو ما اتصل اسناده سواء كان مرفوعا او موقوفا ورواه مالك اي ابن
انس اي الاصبحي صاحب المذهب ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن
ثلاث سنين ومات في المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وله اربع وثمانون
او وتسعون سنة في الموطأ بضم ففتح فتشديد مهملة مفتوحة فهمزة او الف
كتاب مشهور عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرسلا وهو
ان يقول تابعي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا او فعل كذا وهو اصطلاح
المحدثين وعدل غير صحابي وهو اختيار الاصوليين فيقبل يحتج به مطلقا وهو

وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره الامام ابن الهمام وقيل يرد مطلقا وقال
الشافعي يقبل ان اسنده غيره او ارسله اخر وعلم ان شيوخهما مختلفة او انه
بعضه قول صحابي او يعلم انه لا يرسله الا برواية عن عدل وقيل ان كان الراوي
من ائمة نقل الحديث قبل والا فلا فهذا هو المختار وعلى ما ذكره بعضهم فاسقط
اي مالك او يحيى ابا سعيد قال ابن عبد البر لم يختلف عن مالك في ارساله
ولا يسند من وجه صحيح يعني عنه مطلقا والحاصل وله طرق اي للحديث او لحديث
مالك اسانيد كثيرة ضعيفة يقوي بفتح الياء والواو من المجرد وفي نسخة يتقوى
بعضها ببعض اي قوي بعضها بعضا من التقوية قال ابن الصلاح اسنده
الدارقطني من وجوه متصلا وقال حديث حسن وقال من اسنده من وجوه
ومجموعها يقويه ويحسنه وقد تقبله جماهير اهل العلم واحتجوا به فقال ابو داود الفقه
يدور على خمسة احاديث وعد هذا منها لانه عنده غير ضعيف انتهى وممن
استدل به احمد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وبلا اسنده
السيوطي في جامعه الصغير الى مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا والحاصل ان طرق
هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها انه صحيح فلا اقل من ان يكون حسنا لغيره فيجوز
الاحتجاج به حيث انضم بعضها الى بعض فان الكثرة تفيد القوة حتى قال الشافعي
على ما نقله عنه ابن حجر في قلتين نجستين اذا ضمت احديهما الى الاخرى صارتا طاهرتين
وهو فرع غريب من اصل عجيب وزاد في بعض طرقه المسندة من طريق عمرو بن يحيى
بعض الفوائد الزائدة ولفظه لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله به ومن شاق شق
الله عليه وفي رواية من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
لعن من ضار مسلما او ماكره وفي اخرى عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون من ضار مؤمنا او مكر به
قال ابن عبد البر وسنده وان ضعف لكنه يخاف عقوبة ما جاء فيه فانه موافق للقواعد انتهى
والمراد بالقواعد القواعد الشرعية او الضوابط الفقهية فتحول واما تضعيف ابن حزم
لحديث الكتاب وقوله فيه انه واه فمحمول على سنده وقوله عنده من قطع النزاع
ساقط طرفه واللازم مخالفته لانه الحديث الثالث والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو يعطى الناس بصيغة المجهول والمفعول

الثاني محذوف بقرينة الجزاء اي اموال الناس ودماءهم بدعويهم اي بمجرد دعائهم
من غير تصديق المدعى عليه او بينة المدعي لادعى رجال اي ناس كما في رواية واورده
بصيغة الجمع لفظا او معنى اعلاما باقدام غير واحد منهم على الخصومة والتنكير لقصد الاشاعة
اموال قوم ودماءهم فيفضي الى الهرج والمرج ويقتضي في الدين نوعا عظيما من الحرج واخرت
الدماء في هذه الرواية للترقي الى الكمال ولان خصومة الاموال اكثر فيما بين الرجال ولان الخصومة
غالبا من خصومات الدماء حصول الاعمال لا سيما اذا كان المدعون فقراء في الاحوال ولفظ لو
للدلالة على ان انتفاء الثاني في الخارج بسبب انتفاء الاول وقد يستعمل للدلالة على ان الجزاء لازم الوجود
في جميع الازمنة اذا كان الشرط مما يستبعد استلزامه للجزاء او يكون نقيضه انسب بالاستلزام نحو
حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهذا عند العربية واما عند المنطقية فلو
للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير التفات الى ان علة انتفائه
في الخارج ما هي نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والقوم وان خص بالرجال لغة كما يدل عليه سيجي
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء الاية المراد به هنا الجماعة
من الرجال والنساء كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اما بالاطلاق الشرعي واما بالتغليب
العرفي او اقتصر في الحديث عليهم لانهم قوامون على النساء وقائمون لهن ايضا في دعاويهم
لكن البينة في الرواية بالتخفيف لكن يجوز تشديدها وهي فعيلة من البيان وهي ما نشأت
الدعوى باعتبار افادته للبيان وتسمى حجة باعتبار انه يغلب به على الخصم فان قيل لكن
معناها الاستدراك وهي انما يكون بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وقام زيد
لكن عمرو لم يقم وليست لكن هنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفي هناك اجيب بانها
كذلك في المعنى اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعويهم لا يعطى الناس بدعويهم المجردة لكن البينة
وهي على المدعي وهو المكلف الملتزم للاحكام الذي يذكر امرا يخالف الظاهر والمدعى عليه المنكر
وانما جعل البينة على المدعي لانها اقوى حجة واليمين التي جعلت على المنكر لتجبر ضعف جنبة
المدعي بقوة حجته وضعف حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله واليمين على من انكر
انما لم يكن للمدعي حجة وتفصيل عدد البينة في كل قضية محله كتب الفقهية والشافعية
جواز القضاء بالشاهد الواحد واليمين وانكر الحنفية وقد قال ابن المنذر اجمع اهل
العلم على ان البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه اه وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل

بفصل الخطاب في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على المدعي واليمين
على من انكر وقال النووي في شرح مسلم هذا الحديث قاعدة شريفة من قواعد الدين ودلالته
على مذهب الشافعي حيث قال اليمين متوجه على المدعى عليه سواء كان بينه وبين المدعى عليه
معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك واصحابه والفقهاء السبعة انتهى وكان حقه
ان يقول على مذهب الجمهور فان الشافعي اخذ بقول من قبله في هذه القاعدة لانه
اخترع هذه القاعدة ثم خالفه شيخه وتبع غيره ثم الحجة اي الحكمة وفقهاء المدينة
العنوية ان ذا المفسدة ورعاية المصلحة التي هي من القواعد الدينية تقتضي ان يشترط
المخالطة فيما بينهما لئلا يتبذل السفهاء اكابر الفقهاء مرارا في اليوم الواحد في دعوى
الاشياء اما ليحلفوهم على قصد اهانتهم وابتذال حرمتهم لعداوة كائنة فيما بينهم
او ليبذلوا لهم شيئا ليتخلصوا من ايمانهم قالوا وبه قضى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
والفقهاء السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابو بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم اعلم انه وقع اجماع العلماء على استحلاف المدعى عليه
في الاموال واختلفوا في غير ذلك فذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها على كل
مدعى في حد او طلاق او نكاح او عتق اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان نكل حلف
المدعي وثبت دعواه وقال ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق
وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف في الحدود والسرقة
وبه قال مالك كذا ذكره بعض الشراح وقال بعض العارفين وفي الحديث اشارة
الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها معنى وكل حال ومقام لا يقبل الا باتباع الشرع الالهي
فمن اراد ان يسلك بقدم العقل القاصر والفهم الفاتر بساط سرادقات العرفان ارتقى
من حضيض النقصان الى ذروة الايقان بدون اتباع الرسول فهو مريد شيطان مريد
مخذول حديث حسن وكلام احمد وابو عبيد ظاهر في انه صحيح عندهما وكان ابن الصلاح نزل
وقال انه اقل مرتبة حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما او حسن باعتبار سند رواه
البيهقي الظاهر سنده في شعبه وهو الامام ابو بكر احمد بن الحسين صاحب التصانيف
الجليلة ولد سنة اربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة

وغيره اي غير البيهقي هكذا اي بهذا اللفظ المذكور على النهج المسطور وبعضه في الصحيحين
اي بعض هذا الحديث الصادح بالكثرة في صحيح البخاري ومسلم وكذا في مسند احمد وسنن
ابن ماجة بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين
على المدعى عليه وفي رواية للشيخين قال ابن ابي مليكة كتب ابن عباس ان النبي عليه السلام
قضى ان اليمين على المدعى عليه وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا مردود بتصريحها بالرفع فيه من
ابن جريج وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي قال المص واذا صح رفعه بشهادة البخاري
ومسلم وغيرهما لم يضره من وقفه ولا يكون ذلك تعارضا ولا اضطرابا فان الراوي قد يعرض له
ما يوجب السكوت عن الرفع من خوف نسيان او اكتفاء بعلم السامع في معرض البيان مع
زيادة الثقة مقبولة فالمرفوع مقدم على الموقوف على ان مثل هذا الموقوف في حكم المرفوع
وكان الاظهر ان يذكر المص رواية الشيخين في الاصل اولا ثم يقول وزاد البيهقي وغيره
باسناد حسن ولفظهم لكن البينة على المدعي واليمين على من انكر فقد برز واخرجه الاسمعيلي
في صحيحه بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم الادعى رجال دماء قوم واموالهم ولكن البينة على الطالب
واليمين على المطلوب **الرابع والثلاثون** عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا يحتمل انه من رؤية العين ثم يقاس
عليه ما لم يره لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين من ابصره او علمه ولم يره
ويحتمل انه من رؤية القلب اي علم منكرا فهو اعم مما ابصره او علمه وهو اشبه في النظم
وان كان لفظ راى ظاهرا في البصر والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به والمراد به
الحرام والمكروه وفي معناهما ترك الفرض والسنة المؤكدة والخطاب للامة عامة
دون الصحابة خاصة لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر ومن تبعيضية اشارة الى فرضية الكفاية قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فليغيره امر ايجاب كما اطبق عليه الكتاب
والسنة واجماع الامة ولا يعتد بخلاف الرفضة ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة
بيده فيه دليل على ما ذهب اليه الشافعي وابو يوسف ومحمد من جواز كسر الات الملاهي
واراقة الخمور خلافا لابي حنيفة رحمه الله ولعله نظر الى انه تضييع مال فان لم يستطع اي التغيير
بيده فبلسانه اي فليغيره بلسانه بان يمنعه بقوله فان لم يستطع اي التغيير بلسانه ايضا

فبقلبه اي فلينكره به قال المص معناه فلينكره بقلبه يعني لم يرض به وينكر على مرتكبه انتهى
والتحقيق ان معناه فليقتصر على انكار قلبه قال ابو حنيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
موكول الى الامراء والولاة لقدرتهم وليس لغيرهم الا باللسان وفي خزانة المفتيين
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على الامراء وباللسان على العلماء وبالقلب
على العوام وتشير الى ذلك ما في نفس الحديث من قيد الاستطاعة ويدل عليه قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فمن وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه
بعد ذلك لعدم تقصيره هنالك حيث ادى ما عليه وما عليه ان لا يقبل منه كما يشير اليه قوله
وما على الرسول الا البلاغ لكن انما يجب بشرط ان يكون الشخص عالما بما يأمر وينهى وان
يبتدئ بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد على سبيل التدريج لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة ولقوله عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة فالنصيحة مقدم على الفضيحة
فقد قال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه
ولانه ربما ينفع الملاطفة واللطف في موضع لا ينفع فيه الغلظة والعنف قال تعالى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولا يشترط في الامر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا ما امر به
مجتنبا عما نهى عنه لان الواجب عليه شيئان فاذا قام باحدهما دون الاخر جاز والا كان ان
يكون عاملا ليكون تأثيره كاملا وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
ولذا قيل وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض وقيل ايضا لا تنه
عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم واما قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم فالانكار منصب على النسيان لا على الامر بالبر فمن الايمان والاحسان
وذلك اي انكار قلبه وكراهته بالفؤاد اضعف الايمان اي اضعف زمانه او مكانه
او خصاله وفي رواية وهو اضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
وانما يكون اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قاله القرطبي وقال
المص اي اقله ثمرة يعني وادناه نتيجة فمن لم يغير المراتب مع القدرة كان من العاصين
ومن تركها بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر من المصلحة ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين
حيث ما اثار فتنة نائمة بين المسلمين ولهذا قيل هذا زمان السكوت وملازمة
البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت فان قيل اذا رضي بالمنكر قلبه ولم يكرهه هل يكفر

بذلك أم لا فقلنا ان رضي معتقدا جوازه فهذا متضمن تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر
وان رضي به لغلبة الشهوة والهوى ومقتضى الطبع مع اعتقاد تحريمه فهو فسق لا كفر
هذا وقد قال المصنف في شرح مسلم الامر هنا للوجوب وهو محمول على ما اذا كان المنكر حراما
فانه ح وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها بل يندب وكذا الامر بالمعروف تبع لما يؤمر به
فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض في الحديث لان النهي عن المنكر شامل له
اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما فرض او واجب او سنة والكل معروف
ثم اعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ان علم به اكثر من واحد والا فهو فرض عين
على من رآه فقد ورد انه صلى الله تع عليه وسلم قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او
ليعمنكم الله بعذاب من عنده وقد نبه قوله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
وفي حديث آخر لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم
ثم اذا علم ان كلامه لا يؤثر هنالك سقط عنه الوجوب عند اكثر العلماء بل ادعى بعضهم الاجماع
على ذلك وقد يشير اليه قوله تع فذكر ان نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تع يا ايها الذين آمنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقد سئل عنها صلى الله تع عليه وسلم فقال
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت امرا لا بد لك منه فعليك بنفسك واياك وامر
العوام فان من ورائكم ايام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل يومئذ كاجر خمسين
اما انكار المنكر بالقلب فهو فرض عين على كل احد لقدرته عليه ومن ثم قال ابن مسعود هلك
من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر واما ما ورد من انه يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقول الله تع
له ما منعك اذا رأيت كذا وكذا ان تنكره فيقول خشيت الناس فيقول الله اما كنت
احق ان تخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم مع القدرة على ازالة معصيتهم اذ الوجوب
الانكار مطلقا ولو قتل المنكر كما قال بعض العلماء ثم يأت قوله عليه السلام فان لم يستطع وكذا
قوله عليه السلام ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم قدروا على ان يغيروا فما غيروا الا يوشك
ان يعمهم الله بعقاب رواه ابو داود قيل ان هو لو ثوا فاذا جاز التلفظ بالكفر عند الخوف
حالة الاكراه كما في قوله سبحانه وتع من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
الآية فبالاولى ان يجوز ترك الانكار عن المعصية عند الخشية لان قبح الفعل اكثر من تركه نعم لو فعل

لو فعل ما يجره الى قتله فهو مأجور بفعله كما يستفاد من قوله تع ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله روي ان عمر رضي الله عنه سمع انسانا يقرأ هذه الآية فقال انا لله وانا
اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وفي قوله سبحانه وتعالى
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وقوله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك ثم الانكار في المختلف فيه بناء على ان كل مجتهد مصيب او المصيب واحد
لان المخطئ غير معين لنا مع ان الاثم موضوع عنه وتحمل تبعه كما قال بعض علمائنا من تبع عالما
لقي الله سالما وذلك لعموم قوله تع فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لكن الاولى
ان يخرج عن عهدة الخلاف بان يأمر او ينهى بالرفق دون الاعنف من باب النصيحة
لا على وجه الفضيحة وعلى الامام ان ينصب محتسبا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتركه
على الاصح ان يحمل الناس على مذهبه سواء كان مجتهدا او مقلدا فلم يزل الخلاف بين الصحابة
والتابعين وينهى عن تصدر تدريس او افتاء او وعظ بلا اهلية وينهى من كان واقفا
مع امرأة بشارع غير مطروق بالذهاب ويقول له ان كانت اجنبية فاتق الله
في المعصية وان كانت محرمك فصنها عن موقف التهمة ويحرم البحث والتفحص قال تع
فلا تجسسوا رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده والاربعة في سننهم الا ان مسلما
رواه بسنده من طارق بن شهاب قال اول من بدأ بالخطبة يوم العيد مروان فقام اليه
رجل فقال الصلوة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك قال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى
ما عليه سمعت رسول الله صلى الله تع عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث
فان قلت ظاهر الحديث بايراد الفاء التعقيب يفيد ان ابتداء الاحتساب يكون باليد
عند القادر في هذا الباب ثم باللسان على وجه النصيحة للاجنبي ثم بالقلب عند العجز
عنهما وهو ينافي ظاهر قوله تع ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فانها تقتضي
التدريج في القضية بان يأمر وينهى اولا باللسان ثم عند عدم النفع به يعالج الدفع بالاركان
وقد ورد ايضا من امر بمعروف فليكن امره في ذلك بمعروف قلت المراد في الحديث
بيان مراتب قوة ارباب الاحتساب فاعلاهم من يقدر باليد وسائر الاركان
واوسطهم من لم يستطع الا باللسان وادناهم من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل
عليه قوله وذلك اضعف الايمان اي اضعف اهله واما باعتبار ترتيب الانكار فكما ذكر

انه اولاً ينكر بقلبه وهذا فرض عين كما قرر في محله ثم قال انه للعوام فرد العامة
او الكفاية انما هو في حق العوام ثم ينكر بلسانه ان كان قادرا عليه سواء يكون من العلماء
او في مقام من الاولياء ثم عند عدم نفعه بلسانه ينكر بيده ويزيله سواء يكون من
الامراء او في مقام من الاقوياء اذا لم يترتب عليه المفسدة بين الاعداء والاضداد وهذا
ما ظهر لي في هذا المقام ولم ارى متعرضا له من الشراح الكرام والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام وتوضيحه
ما روي ان رجلا من اصحاب النبي عليه السلام وقع في الشام فتبلى بشرب المدام فبلغ الخبر الى
امير المؤمنين عمر فكتب بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الرجل
ونزع بالفعل عنها وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن عباس يرفعه قال يأتي على الناس زمان يذوب فيه
قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل مم يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره
تنبيه قال محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا
لهم قد كنتم تأمروننا باشياء وعملناها فدخلنا الجنة بها قالوا كنا نأمركم بها ونخالفكم الى
غيرها وفي الصحيح انه عليه السلام رأى في النار قوما يدورون كما يدور الرحى فقال يا جبريل من
هؤلاء فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه وفي الصحيح ايضا
يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيقال له لم ذلك فيقول كنت آمر بالمعروف ولا افعله
وانهى عن المنكر وافعله ثم اعلم ان العجب ما في زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والدين
ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هم بانفسهم متلبسون بمناكير شتى
اصلا وفرعا يجب انكارها عليهم عرفا وشرعا لكن كما قيل بالملح يصلح ما يخشى تغيره
فكيف بالملح ان حلت به الغير ولقد احسن من قال من ذوي الكمال هذا الزمان الذي كنا
نحذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم
يفرح بمولود وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون فيم سخط الله
على بني اسرائيل قالوا الله ورسوله اعلم قال ان الرجل منهم كان يرى الرجل منهم على معصية
فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه ويؤاكله ويشاربه كأنه لم يره على معصية
حتى كثر ذلك منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب بقلوبهم على بعض ثم لعنهم على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم او ليضربن الله
بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم انتهى وقال تعالى كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون هذا وقال ابن مسعود بحسب المرء
اذا رأى منكرا لا يستطيع تغييره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره قال القرطبي وروي
عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل اذا رأى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث
مرات اللهم هذا منكر فاذا ادى ذلك فقد فعل ما عليه يعني من اظهار الانكار فان الاكتفاء
بمجرد انكار القلب ليس من شأن علماء الآخرة فان ما لا يدرك كله فحيث عجز عن انكار
المنكر بالنسبة الى صاحب الشر فينبغي له ان يذكر عند غيره ليشيع الانكار واقل فائدته
ان يعلم الناس المنكر وصاحب المنكر فان الناس لو اجتمعوا على السكوت في كل قضية
لما حصل التمييز بين المعروف والمنكر في الامور الدينية بالنسبة الى السفهاء بل وظنوا
ان ما فعله العلماء ليس من المنكر مع انه انكر من كل منكر ولهذا ورد ويل للجاهل مرة
وويل للعالم سبع مرات وصح ان من اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله
بعلمه وقد قيل فساد العالِم فساد العالَم وسببه ان السفهاء اذا رأوا عالما مصرا
على جمع المال ولو من الحلال اقتدوا بهم ووقعوا في ارتكاب الشبهة بحسب الحال واذا رأوه
يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات واذا رأوه انه لا يجتنب المحرمات وقعوا في
الكفر بناء على ظنهم لولا انه جائز هذا عنده لما فعله ولم يعلم هذا المسكين انه يقول
بل ان الحلال ما حل بنا والحرام ما خلا منا والحاصل ان هذا الزمان قد كثر فيه العصيان
وظهر من اهله الطغيان بحيث امتنع فيه اظهار الانكار باللسان وهذه فتنة عظيمة
تقتضي آخر الزمان فقد روى ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله
متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا
يا رسول الله وما ظهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم
والعلم في رذالتكم يعني في تجاركم وقيل لكل بلدة فيها اربعة فاهلها معصومون من البلاء
امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ونساء مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى انتهى وقد ظهر الفساد في البر

والبحر فيما بين العباد حتى في خير البلاد والله رؤف بالعباد وقال رجل لابن عباس
اني اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو قال فان لم
تخش ان تفتضح بثلاثة احرف في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال قوله تع
أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت هذه الاية قال لا قال فالحرف الثاني
قوله تع لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية
قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه احكمت هذه الاية قال لا قال فابدأ بنفسك انتهى والآيات الثلاث
مختلفة المبنى متحدة المعنى وقد قيل ان ظاهر قوله تع عليكم انفسكم يرجح ترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لان المعنى الزموا انفسكم ولكنه محمول على ما سيأتي في آخر الزمان
كما سبق الحديث من البيان مع ان التحقيق في معنى الآية الكريمة اذا فعلتم ما كلفتم به فلا
يضركم تقصير غيركم ومن ثمة قال ابن مسعود ان من اكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله
فيقول عليك بنفسك ويؤيده قوله تع واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
فحسبه جهنم ومحمول على العاجز عنهما بسبب عدم العلم بهما او عدم انتهائه منهما حيث
يجب عليه اولا ان يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة الى المستغرق في لجة الوجود
المطلق بدوام شهود الحق وغيبتهم عن احوال الخلق او المتحير في بحر الوحدة الذاهل
عن شهود الكثرة او الواقع في فضاء القضاء في عالم التقدير الذي لا يتصور فيه
التبديل والتغيير كما قال قائلهم لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته او في عالم
الفناء فلا يتصور منهم الانكار كما قال بعضهم ليس في الدار غيره ديار على ان كله مقام
ناقص بالنسبة الى مقام جمع الجمع الذي هو حال الانبياء وخلاصة الاولياء والاصفياء
حيث لا يمنعهم شهود الوحدة عن وجود الكثرة ولا ظهور الكثرة عن نور الوحدة
فيعطون كل ذي حق حقه فيأمرون بالمعروف الذي عرفه الله وينهون عن المنكر الذي
انكره الله وان كان الكل جاريا على حسب ما قدره وقضاه ثم من اهم شروط الآمر بالمعروف
والناهي عن المنكر ان يكون صاحبه مخلصا في فعله طالبا اظهار دين الله واعلاء كلمته
والطاعة لامره في ترتيبه دون الرياء والسمعة والحمية للنفس وطبيعته فانما يهون ويزول به
المنكر اذا كان صادقا في مقام الاخلاص موافقا قال تع ان تنصروا الله ينصركم ويثبت

ويثبت اقدامكم واما ما روي عن ابي هريرة مرفوعا مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه فقد سبق بعض بيانه وان شرط العمل الرفعة
شانه وسبب تاثيره في ميدانه ويمكن ان يقال المعنى وان لم تعملوا بكله ولم تنتهوا
عن جميعه فان من يكون خاليا عن ترك معروف وفعل منكر فهو عزيز الوجود فلو شرط
ذلك لتعطل هذا الحكم بالكلية هنالك ومن ثمة قال عبد الله بن المبارك اذا وصف لي
رجل له علم الاولين والآخرين لا اتأسف على فوت لقائه واذا سمعت رجلا له
اداب النفس اتمنى لقائه وهذا كما قال قائلهم اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي
طلعة حر ما ان الحر لا يسترقه دنياه ولا يستعبده هواه ومما يؤيد كلام ابن المبارك
قوله تع ان اكرمكم عند الله اتقاكم حيث لم يقل اعلمكم واغناكم وقوله سبحانه ليبلوكم
ايكم احسن عملا ولا يقل اكثر عملا ولا ازيد علما ثم جاء في تفسيره ازهد في الدنيا وارغب
في العقبى وقد رايت في الغنية للقطب الرباني عبد القادر جيلاني تفصيلا حسنا
فاحببت ان اذكره هنا وهو ان ما يؤمر به وينهى عنه على قسمين احدهما ظاهر من
المعروف كوجوب صلوات الخمس وصوم رمضان والزكوة والحج ونحوها
ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقة وامثالها فهذا القسم يجب انكاره على العامة
كما يجب على الخاصة والقسم الثاني ما لا يعرفه الا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز على
الباري عز وجل وما لا يجوز فهذا مختص بالعلماء انكاره على السفهاء ولا يبعد ان يكون
معنى قوله في الحديث فبقلبه اي فليغيره بهمة قلبه وتضرعه لربه فان همة الرجال تهد
الجبال **ق** قد روي ان بعض الاولياء سمع صوت جماعة من اهل اللهو والغناء
فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرى فتاب الله عليهم ورجعوا
ما لديهم واحسن الله اليهم **الخامس والثلاثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله تع عليه وسلم لا تحاسدوا بفتح التاء والسين واصله
لا تتحاسدوا فحذف احدى التائين تخفيفا وكذا قوله ولا تناجشوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا والمعنى لا يحسد بعضكم بعضا والحسد تمني زوال النعمة عن الغير مطلقا
وقد يستعمل بمعنى الغبطة وهي تمني حصول مثلها لاخيه من النعمة من غير ان تزول
عنه او تحول وعليه يحمل حديث لا حسد الا في اثنين وهي تكون واجبة اذا كانت

على نعمة دينية واجبة كالايمان ومندوبة كتشهير العلم بالتصنيف والتدريس
والشهادة في سبيله والموت في بلد رسوله وامثاله ومباحة في الامور المباحة
واما الحسد فمذموم شرعا وعقلا فمن الكتاب ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله
وفي الحديث اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب رواه ابو داود
والحاكم وغيرهما وهو اول ذنب عصي الله به فان ابليس بحسده لآدم اخرجه من الجنة
ولتكبره عليه ما سجد له ثم يعرض منه في الخاطر من غير ان يكون له قرار معفو عنه ولذا ورد
اذا حسدت فلا تبغ اي لا تحققه بالبغي وهو عقد القلب عليه ودوام التوجه اليه ومنه
قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا تقرر لديه ومن قواعد الدين على مذهب اهل
السنة خلافا للمعتزلة ان السيئة لا تمحو الحسنة الا اذا كانت كفرا فتلك لا يبقى خير
بل ان الحسنة تمحو السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولعل الحكمة في
ذلك غلبة فضله على عدله كما يشير حديث القدسي سبقت رحمتي غضبي فقوله عليه السلام
ان الحسد يأكل الحسنات يحتاج الى تأويل والاظهر ان يقال الحسد يحمل الحاسد على افعال
واقوال بالنسبة الى المحسود من السيئات فيعطى له من حسنات يعملها الحاسد من
الطاعات والعبادات وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس
حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم عليه السلام واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على ان اكل
من الشجرة واياكم والحسد فانه ما قتل ابني آدم احدهما الاخر الا الحسد قال بعضهم
الحاسد هو الجاحد لانه لا يرضى بقسمة الواحد وعن معاوية كل انسان اقدر على
ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة ولذا قيل كل العداوة قد ترجى
ازالتها الا عداوة من عاداك من حسده وعن عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما اشبه
بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع قيل وله اربع مراتب احدها ان يحب زوال
النعمة عن صاحبها وان لم يحصل له وهي اخبث او زوالها عنه اليه وهي اخف او لا يشتهي
زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عنه احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما
او لا يحب زوالها وهذا هو المعفو عنه ان كان في امر الدنيا ومندوب ان كان في
امر العقبى وما قبله مذموم من وجه غير مذموم من وجه آخر فتدبر ومنشاؤه العداوة

العداوة والبغضاء كما في السفهاء والتعزز كما في الاغنياء وحب الرياسة
كما في الامراء والمشايخ والعلماء وعلاجه ان يعلم ان الكل بالقدر والقضاء ويجب
على العبد القناعة بالقسمة في مقام الرضاء وان يتذكر مضاره من سخط الله تعالى والهم
اللازم والغم الدائم وانه لا يضر المحسود بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود
وقال تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان يأتي بالاحوال المتضادة
بمقتضيات الحسد والعداوة بان يمدح المحسود ويتواضع له حتى يصير المحسود محبوبا
ومحبا له قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم وانشد اذا ما شئت ان
تحيا حيوة حلوة المحيا فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا ومن كلام ابي الطيب
واظلم اهل الارض من كان حاسدا لمن بات من نعمائه يتقلب ومن كلام اهل الحكمة
ان الحسود لا يسود وانشد بعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده كفاك منه
لهب النار في كبده ثم التناجش تفاعل من النجش وهو اثارة الصيد والمراد
هنا اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع ثمن المعروض على البيع وهو غير راغب فيه
ليخدع غيره ففي الحديث من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار وقيل في
النجش بمعنى التنفير اي لا ينفر بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما يكون سببا
لنفرته او يعمل شيئا يحصل له التنفر منه بسوء عشرته وهذا اعم واوفق بالمعنى الاتم
وقوله ولا تباغضوا اي لا يبغض بعضكم بعضا والمعنى لا تشتغلوا باسباب
العداوة اذ العداوة والمحبة مما لا اختيار فيه قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وفي الحديث تهادوا تحابوا وورد
تصافحوا فانه يذهب الشحناء وورد في الترمذي تهادوا فان الهدية تسل السخيمة
وقيل المعنى لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين فتكونوا سببا في النميمة
وامثالها مما يوقع الفتنة ثم البغض قد يكون واجبا كما قال الله تعالى لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء وقد يكون مندوبا ومنه قوله عليه السلام من احب لله وابغض
لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وفي خبر مسلم والذي نفسي بيده
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ولا تدابروا اي لا تشكلوا ادبار

اخوانكم بالغيبة او لا تقاطعوا لانه اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن صاحبه وولى
دبره والاول اولى لان التقاطع مندرج في التباغض ومفهوم منه بطريق الاولى
وقيل المعنى لا تولوا ادباركم استثقالا بل استقبلوا وجوههم استقبالا الخ لا يجوز
الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة ايام الا لعذر من جهة الاسلام قال الخطابي هذا اذا كان
بعتاب او جفاء وما اشبه ذلك من باب الاخلاق واما اذا كان لمعصية فيجوز ثم
التباغض لا يستلزم التدابر لان المتباغضين قد يتقابلان ولا يتفارقان والتدابر
لا يستلزم التباغض الا ان المتدابرين لمصلحة قد يتحابان ولا يبع بعضكم على بيع بعض
بان يدعو المشتري قبل لزوم البيع الى الفسخ ويبيع منه مثله بارخص من ثمنه او اجود منه
بثمنه وذلك حرام لما فيه من الايذاء الموجب للعداوة والبغضاء ومثله الشراء على الشراء
بان يقول للبائع في زمن الخيار افسخ وانا اشتريه منك باغلى وكذا يحرم السوم على سوم
غيره كما في رواية مسلم والخطبة على خطبة اخيه كما في الصحيحين وكونوا عباد الله اي يا عبيده
اخوانا خبر ثان لكان او عباد الله منصوب على الاختصاص والمدح او على انه منادى حذف
حرف ندائه والمعنى انتم مستوون في كونكم عباد الله وملتكم واحدة في سبيل الله والتحاسد
والتباغض والتدابر منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة بالتلطف
المودة والمعاونة على البر والنصيحة ويفهم من الحديث ان الكافر ليس عبد الله بمعنى انه لا يقوم
بما يجب على العبودية من امتثال امر المولى ولو روي بتنوين عبادا ويكون لام الله للاختصاص في
مقام الاخلاص لكان له وجه وجيه في المعنى كما قرئ بهما في قوله تع كونوا انصار الله المسلم
اخو المسلم اي كالاخيه لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة الدينية كما يجمعهما اب واحد في الاخوة
النسبية بل الاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرة هذه دنيوية فانية وثمرة
تلك اخروية باقية كما يشير اليه قوله سبحانه يوم يفر المرء من اخيه وقوله تع الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وهذا الحديث مستفاد من قوله تع انما المؤمنون
اخوة وكلاهما من باب التشبيه البليغ وفي الصحيحين جاء ما هو ابلغ في هذا المعنى حيث قال
صلى الله تعالى عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وروى ابو داود المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن
اخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه وروى الترمذي ان احدكم مرآة اخيه فاذا

رأى به اذى فليمط عنه والجملة استيناف وفيها استعطاف كما يقال انما هو
اخوك او استاذك وابوك وكذا قوله لا يظلمه استيناف الى انه لبيان وجه
الشبه لانه من حق الاخ ان لا يدخل عليه ضررا في نفسه او دينه او ماله فان ذلك
من قطع الارحام وهو ينافي اخوة الاسلام بل الظلم على الكافر حرام قيل الظالم
يسخط اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن
نظر الحق عن مزيد السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين وثالثا عن نظر الخلق
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها ورابعا عن نظر رب
العالمين الا لعنة الله على الظالمين وخامسا عن حظ نفسه ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ولا يخذله بفتح الياء واسكان الخاء وضم الذال المعجمة قال العلماء اي لا يترك نصرته واعانته
الممكنة له اذا استعان به في دفع ظلم ونحوه ان لم يكن له عذر شرعي في تركه قال تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما بان تكفه عن
ظلمه كما في رواية البخاري او مظلوما كما امر بان يدفع عنه من ظلمه وروى ابو داود ما من امرئ
مسلم يخذل امرءا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا
خذله الله في موضع يحب نصرته وروى احمد من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر
على ان ينصره اذله الله على رؤس الخلائق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب نصره الله
في الدنيا والآخرة ولا يكذبه بفتح الياء واسكان الكاف ذكره المص وقال السيد جمال الدين
هذه اللفظة ليست في مسلم ولا في كثير من النسخ في اصل النووي فلعل عدم وجودها
في مسلم واتفاق اصل النووي ولا التوضيح في باب الاشارات بتصحيح هذه اللفظة فبنا
على هذا قوله رواه مسلم مشكل وقد دفعه بعضهم انه في كثير من نسخ الاشارات لم يذكر
هذه اللفظة فيزول الاشكال بالكلية والله اعلم بحقيقة القضية فالصواب ترك هذه
الكلمة من المتن كما في اصل الفاكهاني ولعلها وقعت في غير رواية مسلم لكن ايرادها
في ذيل روايته غير مسلم ومن العجب ان ابن حجر ذهل عن تحقيق هذا الخبر وتبع غيره في
ايراده اثناء الاثر والمعنى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لغير مصلحة اذن فيها الشارع
او من غير ضرورة ملجئة اليه ثم الكذب من اشد الاشياء ضررا والصدق اشدها
نفعا قال تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي الصحيح ان الصدق

يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار
ولا يزال الرجل يصدق حتى يصدق عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب
عند الله كذابا ولا خلاف ان الكذب حرام واجازه بعض العلماء في الحرب والاصلاح بين
الناس وعلى الزوجة وفي دفع الظالم عن المسلم بغير حق واجب ولا يحقره بفتح الياء
وسكون الحاء المهملة وكسر القاف اي لا يستحقر شانه بذكر العيب الذي شانه
ولا يستسخر به اذا رآه فقيرا اي كثير العيال فعن ابن مسعود رضي الله عنه ان البلاء
موكل بالمنطق لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وروي بضم اوله وسكون الخاء
المعجمة وكسر الذال اي لا يغدر عهده ولا ينقض امانه قال القاضي عياض والمعروف
المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب مسلم وتؤيده رواية ولا يحقره ثم الاحتقار
ناشئ عن التجبر والاستكبار ففي خبر مسلم الكبر بطر الحق وازدراء الناس وفي رواية
لاحمد سفه الحق وازدراء الناس اي جهله بالحق واحتقاره بالخلق مع انه مأمور بتعظيم
المرحمة والشفقة على خلق الله وفي رواية لا يعد الناس فلا يراهم شيئا وهذا ينافي
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الناس عنده كالاباعر فان المراد
انه لا يرى منهم ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود الوحدة
فانيا عن الخلق باقيا بالحق ثم مفهوم الكلام انه يحقر من لم يكن في دين الاسلام لقوله تعالى
ومن يهن الله فما له من مكرم واما ما ينقمه العاقل من الجاهل والعدل من الفاسق فليس
احتقارا والعين لعلم وذاته وانما ذلك عرض له من سوء صفاته فمتى فارق الجاهل
جهله والفاسق فسقه تعين الانتقال الى الاحتقار به والرفع لقدره التقوى
ههنا استيناف يبين ان المسلمين في مرتبة واحدة وان كان اكرمهم عند الله
اتقاهم الا ان التقوى امر باطني لا يعلمه الا المولى فالمدار على باب الاستر اي الظاهر
فربما رأى ذا عاهة في بدنه او شقة في لسانه او سوادا في جسده او عمى او عور
او عرج او قصيرا او طويلا وامثال ذلك فلا ينظر اليه بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرا
واتقى باطنا والتي شرا منه هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى
ورزقه انه والمعنى محل التقوى هو القلب المنزه القصد اليه وغاية في الستر
والتحقيق ان مادة التقوى في القلب لان حقيقة التقوى اجتناب المحذورات واشتغال

وامتثال المأمورات ومادتها خوف الله ومراقبته في الحالات الحاملة له على مداومة
الطاعات فمن كان في قلبه التقوى من جانب الحق فلا يوجد منه الظلم اللائق للتحقير
للخلق او المراد ان التقوى اذا كان محلها القلب ولا يطلع عليه غير الرب فلا يجوز
لاحد ان يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره وهذا الخط لو مع ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب وكما ورد ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
وفي رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وفي اخرى
لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وقد ورد ان القلب
بيت الرب وفي الصحيحين الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله
لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل متكبر وفيهما ايضا تحاجت الجنة والنار فقالت
النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين زيد في رواية احمد والملوك والاشراف
وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وفي رواية احمد الفقراء
والضعفاء والمساكين فقال للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي
انه قال للنار انت نقمتي انتقم بك واعذب بك من اشاء من عبادي وفي صحيح
مر رجل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لرجل جالس عنده ما رأيك
في هذا قال من اشراف الناس وانه حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع فسكت
ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأيك في هذا الرجل قال يا رسول الله
هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان
قال لا يسمع لقوله فقال عليه السلام هذا خير من ملء الارض من مثل هذا وهذا دليل صريح
عن نقل صحيح على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر حيث عمم الحكم ولم يفرق
بين المتقي وغيره ويشير الى صدره قائله ابو هريرة وفاعله ضمير النبي عليه السلام
والعدول عما يقتضيه الظاهر وهو المضي الى المضارع لاستحضار تلك الحال في نظر
ارباب الكمال ثلث مرار بكسر الميم اي مرات للاهتمام بشانه والاعتناء ببيانه
والاقرب انه ظرف متعلق بقوله يشير حتى يكون الاشارة الى صدره ثلاثا ويحتمل
ان يكون متعلقا بقوله التقوى لما ثبت في شمائله عليه السلام اذا تكلم تكلم ثلاثا وفيه غاية
المبالغة وعلى كل تقدير فالواو في قوله ويشير لحال هذا وقال بعض ارباب الكمال معناه

ان حقيقة التقوى في صدري وفروعها في قلوب غيري لانه محل عين الجمع ومرآة
كشوف الغيب كما قال انا اعلمكم بالله واخوفكم منه بين ان من زاد معرفة الله زاد
خشيته وتقواه ومن المعلوم انه ليس في الكونين اعرف منه وقد ورد لكل شيء معدن
ومعدن التقوى قلوب العارفين لان العارف غائب في عظمة الله وقدرته مشتاق
الى لقائه ورؤيته هائم في ساحة محبته تجري عيون التقوى من بحار معرفته من روحه
الى قلبه ومن قلبه الى صورته وسره معدن التوحيد ومنبع التوحيد لان الحق سبحانه
تجلى فيه بنعت القدم بعدما اوجده من خفايا العدم وروحه معدن المعرفة لان
الحق تعالى تجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن التقوى والخشية لانه عز وجل تجلى فيه
بوصف الكبرياء والعظمة والتوحيد من عين القدم والمعرفة من عين البقاء
والتقوى من عين الكبرياء بحسب امرئ من الشر قال المصابيح بسكون السين
المهملة اي يكفيه من الشر للتنوين والباء زائدة والمراد بالشر الجنس اي كافيه من خلال
الشر ورذائل الاخلاق في الصدور وهو مبتدأ خبره ان يحقر اخاه المسلم
بالنصب صفة لاخاه وكرر للتاكيد وحرمة الاسلام عند الله ولما كان ههنا مظنة
سؤال وهو ان يقال حكم التحقير ماذا حرام ام حلال فقال كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه اي حسبه ونسبه فكل المسلم مبتدأ وفيه رد على من زعم ان
كل لا يضاف الا الى النكرة خبره حرام وما بعده بدل كل وجعل الثلاثة
كله وحقيقته لشدة اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته واما المال فمادة
الدم فهو مادة حياته وعدة حركاته وسكناته والعرض به قيام صورته ونظام
هيئته واقتصر عليها لان ما سواها متفرع عليها وراجع اليها والتقدير اراقة دمه واخذ
ماله وهتك عرضه وكونه حراما هو الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم
يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد فيئا وتوبيخ المسلم تعزيرا وذكره
في رواية الا بحقها لمزيد الايضاح والبيان في شانها وهذا فذلكة الحديث والمقصد
الاهم منه وما سبق كالتمهيد له فيجب على كل مسلم ان لا يقع في عرض اخيه بالغيبة
والطعن والقذف والشتم والغمز واللمز والتجسس عن عوراته واتباع اسراره
فقد روى احمد لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة

عورة اخيه المسلم طلب الله عز وجل حتى يفضحه في بيته واخذ بعض الصحابة حبل اخيه
ففزع فقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما رواه ابو داود وروى احمد
وابو داود والترمذي لا يأخذ احدكم عصا اخيه لاعبا جادا اي لا يؤخذ متاعه ليغيظه
لا مزاحا وانه كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد في ادخال الاذى والروع عليه وفي الصحيحين
وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث فانه يحزنه وفي رواية فان ذلك يؤذي
المؤمن والله تعالى يكره اذى المؤمن وهذا مستفاد من قوله تعالى انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ثم يرى التفضل لكل احد على نفسه اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى واما الكبير
فلانه اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا والعالم لعلمه وفضله والجاهل لانه عصى
بجهله فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان العاقبة غير معلومة ثم المراد بالبغض ما يجب
شرعا رعاية وحماية لا العصبية العرفية والحمية الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة
فيصرفون اعمالهم لطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو من العيوب المتبع المهلكة
لكثير من الناس فما اهلك الناس الا الناس ولو انصف العقلاء لعلموا ان اكثر ما هم فيه
من العلوم والعبادات فضلا عن الرسوم والعادات ما يحملهم عليها الا مرآت الخلق
لا مرآت الخالق قال يحيى بن معاذ الرياسة ميادين ابليس ينزل فيها هو وجنوده
بانواع من تلبيس رواه مسلم ورواه الترمذي بلفظ المسلم اخو المسلم لا يخونه
ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ
من الشر ان يحقر اخاه المسلم وفي الصحيحين لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وذكر طرق اخرى السادس والثلثون
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس بتشديد الفاء
اي فرج وازال ولو بالحيلة عن مؤمن وفي نسخة عن مسلم اي منقاد ولو ذميا
بماله او جاهه او اشارته او اعانته او سفارته او وساطته او دعائه وشفاعته
كربة بضم اوله اي خصلة يحزن بها والكربة ما يأخذ النفس من الغم وفي اصل اللغة
من كرب الدنيا بضم ففتح جمع كربة اي بعض كربها او كربة مبتدأة من كربها والمعنى
هما واحدا من همومها اي ما كان صغيرا او كبيرا في عرضه وعدده وعدده

نفس الله عنه كربة اي عظيمة من كرب يوم القيمة التي لا تحصى لان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس الكرب احسان لهم واحسانه وما جزاء الاحسان الا الاحسان وحسن هذا مقابلا لما ثبت من تضاعف الحسنات على ان كربة من كرب يوم القيمة ولو كانت صغيرة تساوي عشرا او اكثر من كرب الدنيا ولو كانت كبيرة وفي رواية للطبراني من نفس عن مؤمن نفس الله عنه كربة يوم القيمة ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته فهذا يدل على ما قال بعضهم من ان التفريج اعظم من التنفيس لانه ازالتها بالكلية فجزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج فعلم من ذلك فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم في كل حال بما تيسر من علم او مال او جاه او اشارة او دلالة او اغاثة او اعانة او دعوة او شفاعة وقد جاء في ان الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله ومن المعلوم ان المراد بكربة الدنيا ما هي جائزة غير محرمة فانه لو كانت محرمة لا يجوز تفريجها ولا تنفيسها ثم قيل لفظه يفيد العموم لكنه خص بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه في الآخرة وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف عنه كربة في العقبى جزاء لما فعله بالمؤمن من الاحسان في الدنيا كما ورد من تخفيف عذاب ابي طالب مطلقا حيث كان يحمي سيد الانبياء عن ضرر الاعداء وتخفيف ابي لهب ليلة الاثنين حيث اعتق جارية بشرته بولادة سيد الاصفياء وهذا لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم من عذابها لان معناه لا يرفع عنهم او ما قرر من عقوبتهم في بدايتهم لا ينقص في نهايتهم ومن يسر على معسر وهو من كربة الدين وتعسر عليه قضاؤه بالانظار او بالابراء كلا او بعضا كذا قاله الشراح والاظهر ان يراد بالمعسر المفتقر وهو مطلق الفقير فانه يتيسر عليه امره بالهبة والصدقة والقرض والاجارة ونحوها او انه المحتاج الى تعليم العلم او العمل او الارشاد الى طريق السداد يسر الله عليه اي اموره ومطالبه في الدنيا والآخرة والاحاديث في فضل التيسير على المعسر المديون كثيرة منها خبر مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه وخبره ايضا من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وخبر احمد من اراد ان يستجاب دعوته ويكشف كربته فليفرج عن معسر ولا يخفى ان المعسر صاحب الكربة هو المريد المحتاج الى قطع العقبات الظلمانية والمنازل النورانية كما اشتهر عن

عن الكتاني ان بين العبد والحق الف مقام من نور وظلمة ويتلقاه الوساوس ويستقبله الهواجس فعلى شيخه ان ينفس كربة الوساوس عنه بامره بتركها اجمالا بها والتأمل في الحجج العقلية ان استاهلها وباستدامة الذكر والابتهال الى الله في دفعها ويسهل عليه سلوك الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه انوار اثمار الوصول ويطلع في سره آثار شموس الحصول ومن ستر مسلما اي بدنه باللباس او عيبه عن الناس باخفائه وترك غيبته عن اشاعته اذا كان من حقوق الله ثم كالزنا وشرب الخمر وشبههما دون حقوق الناس كالقتل والسرقة ونحوهما فان الستر هنا حرام والاخبار به واجب على الامام وحينئذ فان الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة المحتمة وهذا اذا كان ممن ليس معروفا بالفساد بان يكون من ذوي الهيئات لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود كما رواه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا واما المعروف به فيستحب ان يرفع قصته الى الوالي قال النووي في شرح مسلم ولو رآه في معصية ينكرها بحسب القدرة وان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة ستره الله في الدنيا والآخرة بالمعنيين المذكورين وفي رواية للطبراني من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته واخرج ابن ماجه من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيمة ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته وروى احمد وابو داود والترمذي يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته هذا وفي الحديث اشارة الى ان من وقف على شيء من مقامات اهل العرفان وكرامات ذوي الايقان ان يحفظ ستره ويكتم عن غيره امره فان صدور الاحرار قبور الاسرار او كشف الاسرار على الاغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية من اطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الاسرار ما عاش والله في عون العبد اي اعانته وهذا ابلغ من ان يقال والله يعينه في كذا اذ المعنى ان الله يوقع العون في العبد ويجعله مكانا له واراد من عونه قيامه اياه بتيسير قضاء الحاجة

مثل ما عامل العبد لأرباب الفاقة أو غير مثله إما بواسطة خلقه وإما بغير واسطة
بل من محض فضله فكان العبد أي في دوام كونه وفي نسخة ما دام العبد في عون أخيه
بقلبه أو بدنه أو ماله أو جاهه عوناً واجباً أو مندوباً أو مباحاً دون ما هو حرام
أو مكروه فإنه لا يتعاون فيه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان وروى أحمد من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته وفي
رواية الطبراني أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن كسوت عورته أو أشبعت
جوعته أو قضيت له حاجته وورد من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وأمر
الحسن ثابت البناني بالمشي في حاجة فقال أنا معتكف فقال له يا أعمش أما تعلم
أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ولعل مراده أنا مريد للاعتكاف
لقوله تعالى لا تبطلوا أعمالكم أو كانت حاجة ضرورية والاعتكاف سنة أو نفلية
غير فورية ويمكن تداركه بالقضاء كما إذا وقع استغاثة أحد الأبوين للولد المصلي
فإنه يقطعها ثم يقضيها وقد ورد أن خباب بن الأرت خرج في سرية فكان
صلى الله عليه وسلم يحلب عنز العيال فيملأ الجفنة حتى تفيض زيادة عن حلابها
فلما قدم وحلبها عاد إلى ما كان وكان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم
فلما استخلف قيل الآن لا تحلبها فقال بلى وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء
كنت أفعله وذلك لأن العرب كانوا يستقبحون حلب الشاة ويستنكفون
عن مثل هذه الأشياء وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد الأرامل فيستقي لهن
الماء بالليل ورآه طلحة داخلاً بيت امرأة ليلاً فدخل إليها نهاراً فإذا هي عجوز عمياء
مقعدة فقال ما يصنع هذا الرجل عندك قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني بما
يقوم بي من البر وما يصلح شأني ويخرج الأذى عني ويتم لي بيتي فقال طلحة ثكلتك
أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع ولما وقع في الحث على الشفقة على خلق الله أشعر بما ينبي
عن التعظيم لأمر الله لأن العلم وسيلة العمل فقال ومن سلك طريقاً تنكيره للتنويع
أي من تسبب بأي سبب كان من مفارقة الأوطان والمسافرة إلى البلدان
والإتقان في تحصيل هذا الشأن والمجاهدة في مكان وزمان يلتمس فيه أي يطلب فيه

في ذلك السلوك أو المسلك علماً شرعياً إذا نوى به وجه الله تعالى قال العبد رحمه الله
عادة العلماء تقييد هذه المسألة بهذا الشرط مع أنه شرط في كل عبادة لكونه
قد يتساهل فيه بعض الجاهلين ويغفل عنه بعض المتبدعة الغافلين انتهى ولعلهم
أرادوا أن تطرق الرياء للعلم أكثر من أن تطرقه لسائر العبادات فاحتيج لكثرة التنبيه
فيه على الإخلاص للاعتناء بشأنه من بين الطاعات ثم العلم الشرعي هو علم القرآن
والحديث والفقه وأصوله وما يتعلق به وما يتوقف عليه حصوله كعلم اللغة
والصرف والنحو والمعاني قدر الحاجة لا الخارج عن العلم الشرعي كالفلسفية
من منطقي وإلهي وطبيعي ورياضي إلا إذا فرغ عن العلوم الشرعية وأراد بتعلمها رداً
لمذاهب الردية ودفع شبههم الدينية وهيهات في ذلك من تصحيح النية و
تخليص الطوية وهذا قول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في شعب الإيمان
وغيره وقد ألف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة في حرمة
المنطق فعليك بها سهل الله له أي يسر له بسبب ذلك السلوك والالتماس
أو العلم أو الطريق وهو الأظهر لقوله طريقاً إلى الجنة ليكون جزاءً وفاقاً كالتنفيس
والتيسير بالتيسير والستر بالستر والعون بالعون وقد أخرج الترمذي أيما مؤمن أطعم
مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمناً على
ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن كسا مؤمناً
على عري كساه الله من خضر حلل أهل الجنة ويحتمل هذه الكلمة حديث إنما يرحم الله من عباده
الرحماء ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ثم من جملة طريق العلم تعدي العلم
بالعمل لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولقوله عليه الصلاة والسلام
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم هذا والعلم نور في قلب المؤمن مقتبس من
مصباح الكلمات المحمدية والأفعال والأحوال الأحمدية يهتدي به إلى الله وصفاته
وأفعاله وأحكامه فإن حصل بواسطة البشر فهو كسبي وإلا فهو العلم اللدني
المنقسم إلى الوحي والإلهام والفراسة فالوحي لغة إشارة بسرعة واصطلاحاً
كلام إلهي يحصل إلى القلب النبوي فما أنزل مبناه ومعناه معاً والحال أنه لا يكون
إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو

الحديث النبوي وهذا قد يكون بغير واسطة في محل الشهود كما قال فاوحى الى عبده
ما اوحى وقد يكون بواسطة نزول الملك اي نزاله في الصورة الملكية الى الانبياء البشر
والتحقيق ان المتكلم الحقيقي هو الحق تكلم اولاً محمداً بواسطة جبرئيل عليه السلام وثانياً اصحابه
بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم وثالث التابعين بواسطة الصحابة وعلى هذا الى الآن عليهم اجمعين
وقد يكون بنفسه في قلبه بان يلقي معناه من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب
في قلوب عباده وقال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم ينكشف من الغيب
بسبب تفرس آثار الصور ومنه قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين اي المتفرسين
وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة انها
كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس الآثار الصورية والالهام كشفها بلا واسطة والفرق
بين الالهام والوحي انه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال
وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال
عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
بكسر الباء وضمها جمع بيت اي مسجد او مدرسة او رباط او زاوية والمراد بها المساجد
وفي رواية المصابيح في مسجد من مساجد الله والاضافة للتعظيم بسبب ما يوجد فيه
من ذكر الكريم ولذا استثنى منها الاماكن المستقذرة كالحمام والمزبلة ولعل الحديث
مستفاد من قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون
يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار الآية يتلون كتاب الله اي حال كونهم يقرؤنه ويتدارسونه
المراد بتلاوته اجرائها بينهم من غير حضور معانيه ومتابعة ما فيه ومخالفة ما ينافيه بل
لا بد ان يقرأ العبد آية يقرأ على الله وقف بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كأن
ربه يخاطبه به بل يستغرق بحيث هذه المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعاً منه
ليكون داخلاً في قوله تعالى ان الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وقد سئل الامام
الصادق عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشياً عليه فلما سري عنه قال ما زلت
اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من ربي فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتلو

يتعلق بذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته ويقتبس معرفة الجلال العزة
والقهر والاستغناء فيما يتعلق بكمال الانبياء ويقتبس معرفة العظمة وفيما
يتعلق باهلاك الاعداء ويقتبس معرفة العزة والقهر والاستغناء وفيما يتعلق
بكمال الانبياء ويقتبس معرفة اللطف والفضل والبهاء وفي الآيات الدالة على
التكاليف والارشاد ويقتبس معرفة اللطف والحكم فيعمل بمقتضاها
في امر المعاش وزاد المعاد ويتدارسونه بينهم شامل لجميع ما يناط بالقرآن من
التعليم والتعلم وتدارس بعضهم على بعض والاستكشاف والتغير والتحقيق
في مبناه ومعناه الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون للمبالغة اي ما يسكن
اليه القلب من الطمانينة والوقار والثبات والاصطبار والرفق والشوق
الى الرب وصفاء القلب ونزول الانوار الانسية وذهاب آثار الظلمات النفسية
فلا ينحجبون عن المطالب الاخروية بسبب حدوث العوارض الدنيوية وقيل
جماعة من الملائكة ينزلون لتسكين الرعب في القلب وقال المظهر في شرح مسلم
المختار انها شيء من مخلوقاته تعالى فيه طمانينة ورحمة انتهى وفي حديث مسلم انه عليه السلام
كان في مجلس فرفع بصره الى السماء ثم طأطأ بصره ثم رفعه فسئل فقال ان هؤلاء
القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل مجلس امامه فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة
كالقبة فلما دنت منهم تكلم منهم رجل بباطل فرفعت عنهم وهو يناسب قوله تعالى
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وغشيتهم
الرحمة اي غطتهم وحفتهم الملائكة احدقتهم واحاطت بهم الى السماء الدنيا
على ما في الصحيحين وفي رواية لاحمد علا بعضهم على بعضهم حتى يبلغوا العرش ليسمعوا
منهم الآيات ويحفظونهم من الآفات ويصافحوهم ويبالغوا في تشاء ثم ويؤمنوا
على دعائهم قال ابن حجر تبعاً للكرماني وقال القاضي ان السكينة هنا الرحمة مردود
لعطفها عليها المقتضي للمغايرة في قوله وغشيتهم الرحمة وهو مدفوع بان
المغايرة فيما بين الفعلين المتعاطفين فان النزول مغاير للغشيان باعتبار الوصول
والحصول كما قال بعضه اي شملتهم من كل جهة لاستيعابها نعم يلزم انه وضع الظاهر
موضع المضمر وهو كثير في القرآن والخبر فقد يبرح الرحمة ارادة نفع العبد وتفضل صفة ذات

والنغامه واحسانه في صفة سفعل وذكرهم اته اي اثنى عليهم لقوله تع فاذكروني
اذكركم فيمن عنده اي من الملأ الاعلى والطبقة الاولى من الكروبيين والروحانيين
وارواح الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين مباهاة بهم فمن بين المؤمنين
واظهارا لحالهم من بين المحسنين والمراد عندية المكانة والقربة لا المكان
والمسافة تشبيها لهم في كرامتهم عليه بمن يكون عند الملوك من المقربين لديه وفي
الحديث القدسي والكلام الانسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في
ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وفي صحيح مسلم ان لاهل ذكر الله اربعًا تنزل عليهم السكينة
وتغشيهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ويذكرهم فيما عنده هذا وفي الجملة يدل الحديث
على فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن بطريق المدارسة لا على سبيل المخالطة كما يفعله
الجهلة من الازهرية مع زيادات الانغام الموسيقية فانه منكر عند العلماء الدينية
وكذا اجتماع حلقة الذكر لكن بشرط عدم رفع الصوت بحيث يشوش على نحو المصلين
من الطائفين وغيرهم فانه مكروه في الدين وفي الصحيحين ان لله ملائكة يطوفون في
الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تع تنادوا هلموا الى حاجتكم
قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا الحديث بطوله فيقول تع للملائكة اشهدكم اني
قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول
هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه
فقال ما اجلسكم قالوا نذكر الله عز وجل ونحمده لما هدانا ومن علينا به فقال آلله ما
اجلسكم الا هذا قالوا آلله ما اجلسنا الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم تهمة لكم
ولكن اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي بكم الملائكة وروى الحاكم عن سلمان انه كان
في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله تع عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني
رأيت الرحمة تنزل عليكم فبادرت ان اشارككم فيها وروى البزار بلفظ ان لله
سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم الحديث وفيه
فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون
على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم برحمتي
وكان صلى الله عليه وسلم احيانا يامر من يقرأ القرآن في المسجد يسمع قراءته وكان عمر يامر

يامر من يقرؤه عليه وعلى اصحابه يسمعون هذا وبلسان الاشارة بيوت الله
عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفي فذكر
بيت النفس الطاعة والعبادة وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت
الروح الشوق والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر بيت الخفي بذل
الوجود وترك الموجود وقوله الا نزلت الخ مشير الى ثمرات التلاوة من الانس
بالله والحضور مع الله والغيبة عما سواه وتمثل الانبياء والملائكة والارواح المقدسة
في صور لطيفة والصعود من حضيض بعد البشرية الى ذروة الملكوت الاعلى و
تحت الفناء والفرح بتحقيق البقاء والترقي عن الناسوت والتقرب من اللاهوت
وهذا مقام يضيق عن بيانه نطق الناطق ولا يسع اعلانه في ظروف الحروف وان
فيها خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر قال ابو سعيد الخراز اذا اراد الله
ان يوالي عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب
ثم رفعه الى مجلس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب الظلمانية والنورانية
وادخله دار الفردانية وكشف له جمال الجلال والعظمة الصمدانية فبقي بلا هو فحينئذ
صار العبد زمنا فقد سرى في دعاوي نفسه فصار عنها فانيا وفي حفظه سبحانه باقيا
ومن بطأ به عمله بتشديد الطاء والباء للتعدية كما في قوله لم يسرع به نسبه
من الاسراع والمعنى من جعله بطيئا واخره عمله السيئ في تمام العبادة عن بلوغ درجة
السعادة لم يقدمه نسبه اليها لان الاسراع الى السعادة قرب الرب انما هو بالعمل
الصالح وحسن الادب لا بالنسب ولا بالحسب اذ امثال ذلك انما يعتبر في الدنيا
واما في العقبى فاكرمهم اهل التقوى قال تع فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
ولذا قال عليه السلام لرجل تعلم انساب الناس علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال عمر تعلموا
من انسابكم ما تصلون به ارحامكم وفي الحديث من قوله صلى الله تع عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة ابنة محمد ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم
من الله شيئا وقد نقل عن ابي يزيد قدس سره ان مريدا له تبع خطاه من خلفه فاقبل
عليه قائلا والله لو سلخت جلد ابي يزيد وكبسته لم تنل مثقال حبة من خردل من
مقاماته ما لم تعمل معاملاته وانشد ما بال نفسك ترضى ان تدنسها وثوب جسمك

مغفوراً من الدنس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري
على اليبس رواه مسلم بهذا اللفظ اي بهذا الاسلوب من اوله الى آخره وقال ابن
مسعود يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر اعمالهم زمراً زمراً
اوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير حتى تمر الرجل سعياً وحتى يمر آخرهم يتبط
على البطن فيقول يا رب لم بطأت بي فيقول اني لم ابطأ بك عملك فليتبعه منه
ان كان راقداً ولتقع جادا اهكان حاعدا **السابع والثلثون** عن ابن عباس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يروي اي حال كونه ذلك الامر داخلاً
فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى اي تكاثر خيره واحسانه وتعظم شانه وبرهانه
وظاهره انه من الاخبار القدسية وان الله تكلم بجميع ما فيه من الاسرار الانسية
وليس كذلك بل المراد بما يرويه يحكيه عن فضل ربه او حكمه كما عليه بعده كذا قيل
والاظهر انه حديث قدسي وكلام انسي لانه صلى الله تعالى عليه وسلم تارة روى عنه عز وجل
بالمعنى كما بعض طرق هذا الحديث في الصحيحين ما هو صريح في هذا المعنى وهو يقول الله عز وجل
اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان
تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له العشر امثالها
واذا تحدثت بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فانا اكتبها له بمثلها وتارة روى عنه سبحانه
بالمعنى كما في هذا المبنى قال ان الله كتب اي قدر في سابق علمه او امر الحفظة بكتبها
في اللوح المحفوظ من عنده والمعنى اثبت الحسنات اي ما يتعلق به الثواب والسيئات
اي ما يستحق فاعله العقاب ثم بين ذلك اي ما ذكر هنالك والمعنى بين مقدارهما
وعين مبلغهما للسفرة الكرام بان بعضها وهو الحسنات يجازى بعشر او بسبعين او بسبعمائة
الى غير ذلك بطريق الفضل وبعضها وهو السيئات لا يجزى الا بمثلها على سبيل
العدل او بينه فيما انزل من كتابه او بين النبي عليه السلام ذلك الابهام بما بعده من الكلام
فيكون قوله ثم بين ذلك من كلام الراوي وقوله فمن هم بحسنة الى آخره من كلام النبي عليه السلام
والفا تفصيلية لان ما قبلها قضية اجمالية لا يفهم منها ان الكتابة على اي الكيفية اي
فمن قصدها واراد ها وعزم عليها او ترجح عنده فعلها فلم يعملها لمانع عنها او باعث
على تركها كتبها الله عنده حسنة بالنصب على انها مفعول ثان باعتبار تضمين معنى

معنى التصيير اي حال موطأة موصوفة بقوله كاملة وذلك لان الهم بالحسنة
قصد الخير فيكون خيراً ولذا ورد نية المؤمن خير من عمله واما ارادة الشر فان
كانت سيئة لكنها يدفع بكف النفس عنها وهو حسنة وتقييدها بكاملة لدفع
توهم ان مجرد الهم يوجب نقصان ثوابها فيه دلالة على ان مراتب المثوبة مختلفة
ولو كانت شاملة هذا وفي رواية لمسلم اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة
فانا اكتبها له حسنة اي اذا خطر بباله وعلم الله في حاله انه ارادها ان يكون من جملة
اعماله ويؤيده الخبر الآخر من هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه اشعرها قلبه وحرص عليها
كتبت حسنة وان هم بها اي اهتم بها واعتنى بشانها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات
اي متصاعدة الى سبعمائة ضعف اي مثل الى اضعاف كثيرة تفضلاً منه
لاهل الايمان واحساناً لارباب الايقان وهذه المراتب بحسب تفاوت العمل في
اخلاصها في بابه ومراعاة لشرائطه وادابه والاحكام الثلثة مستفادة من الآيات
الثلثة فالاولى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقوله من ذا
الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة قال السدي ان هذا
التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه الله تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب
اقوى من ذكر المحدود ثم حض حسنات الحرم كل واحدة بمائة الف حسنة وهو مندرج
تحت قوله والله يضاعف لمن يشاء وكذا افضل الصوم فانه سبحانه قال الا الصيام
فانه لي وانا اجزي به فيدل على ان قدر مضاعفة ثوابه لا يعلم احد الا هو لانه من
افضل انواع الصبر وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد قال المص في التضعيف
بعشرة لا بد فيه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلفه والتضعيف بسبعمائة
فاكثر انما يحصل لبعض الناس على حسب مشيئته واخرج ابو حاتم في صحيحه لما نزل
مثل الذين ينفقون اموالهم الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم رب زد امتي فنزل
من ذا الذي يقرض الله قرضاً الآية فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وورد ان الله ليضاعف الحسنة الفي الف حسنة
ثم تلا ابو هريرة رواية وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيماً

ومن هناك قال عمر رضي الله عنه لو وجدت لي حسنة لكفت لانه سبحانه يقول
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فمن يقدر قدره وروى
ابو داود ان الصلوة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله سبعمائة
ضعف مع ما ورد في حديث ابن ابي حاتم من ارسل نفقة في سبيل الله واقام
في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله فله بكل درهم
سبعة الآف درهم وروى الترمذي من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له الخ كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له
الف الف درجة وان هم بسيئة فلم يعملها اي من خوف الله او لاجل رضاه كما
في الحديث القدسي الذي رواه مسلم فان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرّاي
اي من اجلي كتبها الله عنده حسنة كاملة لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة لله
وحذرا من عقوبته في دنياه او اخراه مع القدرة عليها وبقاء الميل اليها لا ان هم بها
فلم يعمل لعجزه عنها او عدم غرضه فيها قال العلماء ويحمل هذا على من لم يوطن نفسه عليها
وانما ذلك تفكر لها بلا استقرار فيها فكتب له الحسنة بالاعراض عنها وكراهة حصولها
فيها ولا يبعد ذلك من فضل الله سبحانه مع انه قد تقرر ان في جانب الحسنة لا بد من
العزم عليها قالوا واما من عزم بقلبه على السيئة ووطن نفسه عليها اثم في عزمه
واصراره فان نفس العزم والاصرار معصية فيكتب معصية واحدة واذا
عملها كتبت معصية ثانية وان تركها حسنة كانت حسنة كذا قالوا ولكن يشكل
بقوله وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة لان ظاهره انه لم يكتب عليه
الا معصية واحدة ويؤيده انه زاد احمد في رواية ولم يضاعف عليه اللهم
الا ان يقال بخروج الهاجس وعلى كل تقدير يدل الحديث على انه لا مضاعفة في السيئة
كما هو صريح في الآية حيث قال تعالى فلا يجزى الا مثلها بصيغة الحصر للمبالغة ووقع
في اصل ابن حجر كتبت سيئة واحدة وهو مخالف للاصول المعتمدة واما ما ورد
عن ابن عباس من ان السيئة في الحرم تتضاعف محمول على المضاعفة في الكيفية
لا في الكمية جمعا بينه وبين الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وهذا معنى قول
قتادة في قوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم اعظم خطيئة و

ووزرا وكذا ما في حديثين ضعيفين ان السيئة تضاعف في رمضان وقال مجاهد
تضاعف السيئة بمكة كما تضاعف الحسنة وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة في غيرها
يعني في غيرها باعتبار الكمية وعلى هذا يحمل ما حكي انه قيل لاحمد في شيء من الحديث
ان السيئة يكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعنا الا بمكة لتعظيم البلد وكذا نقل
عن السبكي وقد يمكن مضاعفة السيئة في الكمية باعتبار عظمة فاعلها وعليه يحمل
قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وذلك لان من عصى السلطان على بساط اعظم جرما ممن عصاه على بعد منه وفيه
حديث ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وقد صح اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ثم المحققون على ان العزم يؤاخذ به وخالف
بعضهم ونسب الى الشافعي وابن عباس وقال انه من الكلام المرفوع تمسكا بقول
اللغويين من ان الهم بالشيء العزم عليه وهو تمسك ضعيف في غاية من السقوط
لان اللغوي لا يتنزل الى هذه الدقائق التي نظر اليها ارباب الحقائق ومما يؤيد
الجمهور حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل اما
بالمقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه فيفيد انه لو اراد دفعه عن نفسه لا يكون
شريكا له في اثمه وكذا يقويهم الاجماع على المؤاخذة باعمال القلوب كالحسد
والحقد وحب الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله ثم العزم على الكبيرة وان كانت سيئة فهو دون الكبيرة
المعزوم عليها ولا ينافي ما تقرر ما ورد عن الحسن في الحسد وعن سفيان في
سوء الظن بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو معفو لان ذلك محمول على ما يجده
الشخص من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته ودفعه عن نفسه بقدر مكنته وذكر السبكي
انه يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها وروي عن ابن مسعود موقوفا مرة
ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح ونقله بعض اصحاب احمد عنه ولعل ما خذهم قوله تعالى
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقال بعض الصوفية انما كان العشرة اقل درجات
الثواب لان الحسنة تصدر بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها
انه يصل صاحبها الى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء وهو مرتبة العشرات

للآحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا يكتب الا واحدة لانه لا مقام ادون من مقام
النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاؤه في مقام النفس بالمثل وهو حصول اثرها فيها ومن هنا
يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه ينور استعداده ويزداد قبول الفيض الحق
فيقوى على اضعاف ما فعل ويكتسب بها اجورا متضاعفة الى غير النهاية بازدياد
القبول عند فعل كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة القبول وزيادة القدرة على ما
عند زيادة الفيض الى حد لا يعلمه الا الله كما قال الله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وان العقاب
من باب العدل المقتضي للمساوات ومن فعل بالنفس اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس
والسيئة والحسنة المذكورتان من قبيل الاعمال لا الاشخاص والا فرب سيئة من شخص
تعادل حسنة من غيره كما قال بعض العارفين حسنات الابرار سيئات المقربين اذ سيئاتهم
بوجود القلب ورب سيئة توجب حجاب الابد كالشرك هذا وقال الطحاوي والطيبي
في هذا الحديث دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال
الظاهرة انتهى وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح بان الحفظة يكتبونها رواه البخاري ومسلم
في صحيحيهما اي جامعيهما بهذه الحروف اي بهذه الالفاظ المنقولة عنهما بعينها لا انه
رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية مسلم بعد واحدة او محاها الله ولا يهلك على الله الا
هالك وتوضيحه ما قال ابن مسعود ويل لمن غلبت آحاده عشراته او جاء مرفوعا هلك من غلب
واحدة عشرا فانظر امر من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر اي فتأمل فاعتبر يا اخي اي
في الدين وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف وفقني الله واياك اي اقدرنا الله على الطاعة
بخلق قدرتها في واياك وبدأ بنفسه لقوله تعالى حكاية عن انبيائه الاصفياء رب
اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولقوله عليه الصلاة والسلام ابدأ بنفسك
قال ابن حجر ثم ادرج فيها من هو بمنزلته من احبائه واصدقائه فالنون للجمع لا للعظمة
بناء على ما وقع في اصله وهو خلاف ما عليه المتون المعتمدة والاصول المعتبرة ومع ذلك
تقدير فيه رد على ما احدثه بعض ظرفاء زماننا فانه اذا قيل نفعل كذا يقولون وبدأ بكم
الى عظيم لطفه اي لطف الله بكسر العين وفتح الطاء على ما في الاصول المعتمدة وفي اصل ابن حجر الى
عظيم لطفه انه قال في الكشف اللطف هو اجراء القضاء على وفق الارادة وايصال
نفع فيه نوع من الدقة وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما لطف

وما لطف منها ثم يسلك في ايصالها الى المصلح سبيل الرفق بها وتأمل هذه الالفاظ
اي النبوية الصادرة من المشكاة المصطفوية ومنبع الحكمة الاحمدية ومادة الحيوة
الابدية فقوله وفي نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تأمله قوله اي في الحسنة عنده
فانه اشارة الى الاعتناء بها اي الى مزيد الاهتمام فيها والاعتبار في شأنها فان
اجراء العندية على المعنى اللغوية محال على الله سبحانه لتقدسه عن المكان فالمراد عندية الشرف
وقربة المنزلة كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وقوله اي ومن جملته قوله كاملة للتوكيد اي فانه صفة مؤكدة لانها تفيد وشدة الاعتناء
وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاكدها بكاملة
اي اعتناء بتركها وان عملها اي فعلها وان عملها كتبها الله سيئة واحدة فاكد تقليلها
دفعا لتوهم الزيادة عليها بواحدة بالنصب على الحكاية وهو الاولى في الحديث
والآية وبالجر على العمل الا ان العمل يتعين في قوله ولم يؤكدها بكاملة اذ ليس ثمة
[صلى الله عليه وسلم] حكاية وفي هذه الكلمة اشارة الى ان مقام الفضل اوسع من مقام العدل كما دل عليه قوله
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي ولا يهلك الا هالك
والحاصل ان لفظ الحديث ومبناه في افادة فضل الله بتضعيف الحسنات وتكميلها تضعيفها
والاعتناء بها وافراد السيئات وتقليلها المسامحة ثم عبارة في المعاملة التي
في الخير وتخفيفا في الشر لطفا لهم وتفضلا بهم ولله در من قال فيه ذوي الاحوال يا خالق
الخلق يا من لا شريك له طوبى لمن عاش بين الناس بهواكما اني لا عجب ممن صدر الخطأ
من وخط لطفك ربي كيف يبقى كما والله ما فرحت روحي ولا انبسطت في الدهر
ما بقيت الا بذكراكما وكيف تأنس روح العارفين وانهم دام السرور لهم الا بلقاكما
فلله اي دون ما سواه الحمد اي جميع انواعه اذ لا يستحق الحمد ما سواه لان الحمد هو نعت
المحمود بنعت الكمال في صفات الجلال والجمال فالحمد ثابت له سواء حمد او لم يحمد
لانه محمود في ازل الآزال والمنة اي جنس النعمة كقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي نسخة
له الحمد في الاولى والاخرى والمنة العظمى في شهادة الكلمة العليا ومتابعة طريقه
المصطفى سبحانه مفعول مطلق اي انزهه تنزيها عن نقصان في شأنه وفي نسخة
زيادة وتعالى اي تعاظم سلطانه وظهر برهانه لا نحصي ثناء عليه اي لا نقدر ان نعد معاشر

الانام ولا نطيق على القيام بجميع ثنائه وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله واسمائه
ولا نحصر جميع ثنائه اذ الطول البشري عاجز عن استقصائه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تطيقوها فكيف القيام بشكرها والخروج عن عهدة ذكرها وفيه تلميح الى قوله عليه السلام
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ايماء على عجز البشرية عن القيام
بحقوق العبودية عن معرفة النعوت الربوبية وقد ورد فيمن قال يا ربنا لك الحمد
كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ان الله يقول للملائكة دعوا الى هذه الكتابة
فانكم تعجزون عن احصاء ما يقابلها من المثوبة وبانه اي بسره لا بغيره التوفيق اي
توفيق الحقيق والاستقامة على سواء الطريق وختم به لعرض فقره في جميع حواله
الى الاسعاد الرباني والامداد السبحاني الثامن والثلثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا من المعادات ضد
الموالاة والولي ضد العدو وهو فعيل اما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره وحفظه
عن التوالي فلا يكله الى نفسه لحظة قال تعالى وهو يتولى الصالحين واما بمعنى فاعل
وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتولى عليه من غير تخلل بمعصية وكلا الوصفين
شرط في الولاية كما ذكره القشيري والوصف الاول غالب على المجذوب المراد والثاني
على السالك المريد الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب والاظهر ان المراد
بالولي هنا المؤمن المتقي قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وحقيقته ان يكون هو من يتولى الله بذاته
امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني
بيد المفني يفعل ما يشاء حتى يمحوا رسمه واسمه وعينه واثره ويحييه بحيوته ويبقيه
ببقائه والتركيب يدل على القرب فكانه قريب منه لاستدامة عبادته واستقامة
طاعته او لاستغراقه في بحر معرفته ومشاهدة طلعته وعظمته والاظهر ان المراد
بالولي الكامل من جمع بين قرب الفرائض والنوافل وان ادنى ما يطلق عليه من تقرب اليه
بالفرائض من امتثال الاوامر واجتناب الزواجر وقوله حال من قوله وليا قدمه عليه
لتنكيره وجعله ظرف لغو وكونه مفعولا به ابعد فقد بارزته وصيغة المفاعلة للمبالغة
ولا يبعد ان يكون للمبالغة والمعنى من اذى وفي رواية من اهان واخاف اوليائي فقد

فقد آذنته بالحرب بهمزة ممدودة اي اعلمته بانه محارب لي ذكره الحمو ويؤيده
ما وقع في بعض الروايات فقد بارزني بالحرب او بالمحاربة وقال بعضهم اي اعلمته
بانه محارب له اي معامل له معاملة المحارب وهو ابلغ وفي رواية يدل هذا
فقد استحل محاربتي وفي اخرى فقد استحل محاربتي وفي اخرى فقد آذن الله ومن
آذى الله يوشك ان ياخذه وفي الحديث تسلية للاصفياء عن معاداة الاعداء
وتحذير للاعداء عن ايذاء الاولياء وزجر منهم وتنبيه على تعظيم شانهم وحفظ
قلوبهم ودفع كربتهم لان مفهومه حيث جاء في معادات المولى عظيم الوعيد يكون
في الآية جميع الوعد والتاييد كما قيل وكم لله اشراف البشر بالهم قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا فكرامة الشفعة في القيمة ثم اعلم ان جميع المعاصي
محاربة الله عز وجل وكذا قال الحسن يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة فان من
عصى الله فقد حارب الا انه كلما كان الذنب اقبح كان محاربة الله اشد واصرح ولهذا
يسمى اكل الربوا وقطاع الطريق محاربين الله ورسوله لعظيم ظلمهم لعباده وسعيهم
بالفساد في بلاده هذا واول من عادى وليا من اوليائه ابليس فانه عادى اول
نبي من انبيائه واستمرت هذه العداوة بين الذرية وقد حكي ان بعض الاكابر من الملوك
وقف على جمع من الصوفية فقال من انتم فقالوا نحن قوم من احبنا يفرح بدنياه ومن
ابغضنا يفر بعقباه فقال انا اقدر على محبتكم ولا عداوتكم وذهب وتركهم وما تقرب
الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه التقرب طلب القربة واخذ المثوبة
والباء في بشيء سببية واحب صفة شيء وهو افعل بمعنى المفعول فهو منصوب وفي نسخة
مرفوع على تقدير هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة والعائد محذوف اي
مما افترضته عليه والفرض اعم من ان يكون فرض عين او كفاية ودخل فيه الواجب على
مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا ولهذا ثواب الحنفية في قول الوتر وسعي الطواف
اكثر من الشفعة لاختلاف معتقدهم في الفرضية والمعنى ما طلب عبدي القربة
من رحمتي والمثوبة من عنايتي بوسيلة عمل احب الي من الذي فرضته عليه اي
ووسائل القرب كثيرة ومراتبها مختلفة واحبها الي اداء الفرائض ومراعاة سائر
تكاليف الاحوال اذ هي الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وفي رواية

بدا على هذا ابن آدم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك قال العلما
و ذلك لان الذي فرضه الله على عبده هو اختياره تعالى له والذي يتنفل به العبد لنفسه
فينبغي للعبد كمال الاهتمام بامر الفرائض والقيام بتحسينها لا كما يفعله العامة من تضييع الفرائض
بالتقصير في شرائطها وتكميل اركانها والاتيان بسننها وآدابها مع تكثير النوافل والاذكار
والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وامثالها وما يزال عبدي يتقرب الي وفي رواية يتحبب
الي بالنوافل اي بالزوائد على الفرائض فيشمل السنن المؤكدة وفي اخرى يتنفل الي و يترقى
من مقام الى اخر حتى احبه اي حتى املأ قلبه من معرفتي فاشرقت عليه انوار ولايتي بسبب
الجمع بين فرائض ونوافل طاعتي واعلم ان كل الشان في محبة سبحانه للعبد دون محبة
العبد له تعالى كانت الثانية نتيجة للاولى كما يشير اليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه وفي
الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا اذا احب الله عبدا دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا
فاحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث فاعلم بها مرتبة واعظم بها منقبة ولعل الحديث
مستفاد من قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وماخوذ
من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فالمحبة على قدر المتابعة
في الفرض والسنة هذا ومن افضل النوافل تلاوة القرآن لما روى الترمذي ما تقرب
العباد الى الله عز وجل بمثل ما خرج منه اي ظهر منه يعني القرآن ولذا قال عثمان لو طهرت
قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال بعض العارفين لمريد اتحفظ القرآن قال لا فقال
واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القرآن فبم يتنعم فبم يترنم فبم يناجي ربه ثم سائر الاذكار
تعالى فقد اخرج البزار عن معاذ قلت يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال واقربها
الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وكفى فضلا لشرفه
قوله تعالى فاذكروني اذكركم ومن جملتها الحب في الله والبغض في الله فقد اخرج احمد
لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله
فقد استحق الولاية وفي رواية من احب لله ومن ابغض لله واعطى لله ومنع
لله فقد استكمل الايمان وروى ابو داود ان لله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم قال

قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله
ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم تلا هذه الآية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد
اغرب ابن حجر حيث عد التوكل والرضا من المطوعات الباطنة وغفل عن كلام
الاكابر من الائمة انهما من الفرائض العينية المتعينة على كل احد من سالكي الطريق
الاخروية وفي الاحياء ذكرها على وجه الاستيفاء فاذا احببته اي حبا كاملا و
قربا كاملا كنت اي صرت حتى بمعنى ظهرت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها بفتح الياء وكسر الطاء هو الرواية وموافق الآية وهو قوله تعالى
يوم نبطش البطشة الكبرى وقد يجوز ضم الطاء وكذا ضم اوله وكسر ثالثه في اللغة قوله
ابن حجر بفتح اوله وكسر ثالثه وضمه ليس في محله باعتبار الرواية ورجله التي يمشي بها
وفي رواية وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به اي حافظ جوارحه وجوارحه فلا يسمع
ولا يبصر ولا يأخذ ولا يمشي الا فيما ارضى واحب ويتقلع عن الشهوات ويستغرق
في الطاعات وقريب منه قول الخطابي معناه توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذه
الاعضاء بعني يسر عليه فيها معاملته سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه
من اصغاء الى اللهو بسمعه ونظر الى ما نهى عنه ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعي
في باطل برجله وقال التوربشتي اجعل سلطانه حتى غالبا عليه حتى سلب عنه
الاهتمام بشيء غير ما تقرب به الي فيصير متخليا عن اللذات متخلعا عن الشهوات
حيثما تقلب واين ما توجه لقي الله بمرأى منه ومسمع منه ويأخذ حبا له بمجامع قلبه
فلا يسمع ولا يرى ولا يفعل الا ما يحبه ويكون له في ذلك عونا ويدا ووكيلا يحمي جوارحه
وحواسه وقيل المراد كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر
ويده في اللمس ورجله في المشي وقيل كنت مسموعه ومبصره اي يكون مسموعه
اسمي وذكري وكلامي فلا يستلذ ولا يستأنس الا به ومبصره عجائب ملكوتي
وصنائع جبروتي يستدل بها على وجوب وجود ذاتي وقدس صفاتي ولا ينظر
فيها الا الله وكذلك في اليد والرجل اي لا يمد الا الى ما احبه الله ولا يخطو الا حيث
يرضاه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويترقى من مقام الى اخر حتى يحبه الله فيجعله مستغرقا

بملاحظة جناب قدسه ومطالعة مقام انسه بحيث ما لاحظ شيئاً الا ورأى
الله تعالى فيه وما التفت التفاتة حاسة ومحسوس الا لاحظ قربه وشاهد قربه وهو
آخر درجات السالكين واول مراتب الواصلين هذا مجمل الكلام وان اردت تحقيق
المرام في هذا المقام العزيز زلت فيه الاقدام والاقلام وكلت دون الوصول اليه
الافهام فاستمع لما يتلى عليك من توقيعات المحققة الاعلام الواصلين الى اعلى
مدارج الانس السائرين فراقي معارج القدس الفانين في بيداء عظمة الملك والملكوت
المتلاشين في دياجي الرعونية والعزة والجبروت وورد في شانهم الحديث ونطق
بغرتهم القديم والحديث فنقول المحبة ارادة ما تراه او تظنه خيراً وهو ما سواه وهي
اما محبة اللذة كمحبة الطعام او محبة المنفعة كمحبة ما ينتفع به من الكرام او محبة الفضيلة
كمحبة العلماء الاعلام ذكره الراغب ولا يخفى انها ابلغ من الارادة لانها اذا تأكدت
في القلب وانعقدت فيه فهي المحبة وهي منقسمة الى الطبيعية وهي ميل النفس الى لذاتها
وشهواتها والشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة والروحانية وهي ميل
القلب الى مطالعة الامور الملكوتية العلوية فاذا استولت عليه وغلبت لديه
تصير عشقاً فهو المحبة المفرطة ولا يجوز اطلاقه على الله عند جمهور الائمة وقالت
الصوفية محبة العبد هي الميل الدائم بالقلب الهائم وايثار المحبوب على جميع المصحوب
او محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته او معانقة الطاعة ومباينة المخالفة
وقال الجنيد هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب كما في الحديث
قال السهروردي وذلك لان المحبة اذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها الى
محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متأكدة وكمال
وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب فتعطفها
على المحب المتخلص من موانع قادحة في صدق المحبة ونظراً الى قصوره بعد استيفاء جهده
فيعود بعوائد الكتب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك انا من اهوى ومن اهوى انا نحن
روحان حللنا بدنا فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا انتهى وفي هذا المقام
انشد بعض المشايخ الكرام رق الزجاج ورقت الخمر فتشاكلت وتشا
الامر فكانما خمر ولا قدح فكانما قدح ولا خمر وذكر الرازي في حقايق التفسير ان محبة المحب

المحب ثلث مراتب محبة العوام التابعين لاعمال المحمدية وهي مطالعة المنة من رؤية
احسان المحسن بالنعمة ومحبة الخواص التابعين لاخلاقه يحبونه اجلالاً واعظاماً ولكونه
اهلا له ومحبة اخص الخواص التابعين لاحواله وهي الناشية من الجذبة الالهية في كنت
كنت كنزاً مخفياً وحقيقتها ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى بلا هو لانها نار لا تبقى
ولا تذر ومحبة المحبوب ثلاث درجات ايضاً محبة العوام باختصاصهم بالرحمة والمغفرة
والمثوبة ومحبة الخواص بتجلي صفات الجلال وستر ظلمة صفاتهم بانوار صفات الكمال
ومحبة اخص باختصاصهم بالجذبات وستر ظلمة وجودهم بانوار الوجود الحقيقي
فيتجلى اولاً بنار الجلال فيحرق عن قلبهم جميع ما كان فيه من الآمال ثم يتجلى بنور الجمال
ويمحوهم عنهم ويغيبهم به ويسلب عنهم السمع والبصر والنطق ويبدله بسمع وبصر
يليق به فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات احياء غير اموات كما يشير اليه قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا في مقام المحب والمحبوب واحد كما ان
الرائي في المرآة يرى هو ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي
والرؤية واحداً كما يشير اليه قوله عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن على ان المراد بالمؤمن
في الموضعين هو الله انتهى كلامه فيكون فحوى الحديث ومقتضاه والله اعلم بحقيقة معناه
ان من استقلت به الدرجة المحبوبية وسكنه الرتبة المطلوبية كنت فسمعه لبا
بنور وجهه على قلبه مفيضاً بنور يسري على صدره فسمعه من نوري يسمع به وبصره من نوري
ويده من نوري يبطش بها فيكون هاماً بنوري لان مصدر اعماله وهو القلب الذي
هو بيت الرب صار عرش النور واقعة من غاية الظهور ولا يصدر من النور الا النور
ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فهذا العبد هو الذي قام بنور الحق ذاتاً وصفة
فني لشهوده وبقي لوجوده لاستعداد بكمال الهداية لسبق العناية عندنا
يوم قالت له الدنيا اتينا طائعين وهذا في رواية بي يسمع وبي يبصر وبي
يبطش وبي يمشي لكن انا الذي اقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه في جميع
الاحوال كما هو معتقد اهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة من اهل البدعة وما زعم
الاتحادية والحلولية بقاء هذا الكلام على ظاهر المرام وانه سبحانه عين عبده
وجوارحه او حال في قلبه واعضائه خروج عن الاسلام باجماع علماء الاعلام وعمدة ما

تقرّر وزبدة ما تحرّر ان من اجتهد بالتقرّب الى الله بعمل الفرائض والنوافل بقصد
لرضاه قرّبه مولاه ورقّاه من درجة الايمان الى مرتبة الاحسان حتى يعبد الله
كأنه يراه ويسمع ويبصر ويأخذ ويمشي في هواه وهذا هو الذي يقال في حقه لا يحب
الا الله لانه سبحانه اغناه عما سواه فلا ينطق الا بذكره ولا يتحرك الا بامره
فان نطق نطق به وان سمع سمع به وان نظر نظر به وان بطش بطش به ان
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وفي الحديث
من اصبح وهمّه غير الله فليس من الله اي لا حظّ له في قربه ومحبته ومقام رضاه وان
سألني لاعطينّه كذا في النسخ وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ولئن سألني
لاعطينّه ثم حذف المفعول الثاني المسؤول ولئن استعاذني ضبطوه بالنون وبالباء
وكلاهما صحيح ذكره العصري الا ان الظاهر الباء لقوله فاستعذ بالله على انها للاستعانة
لا للالصاق كما ذكره شارح فانه هنا غير جائز الاطلاق بخلاف الدابة فان الالصاق
من رأيه واما النون فللوقاية والياء منصوب بنزع الخافض واللام الموطئة
للتأكيد وحذف المستعاذ منه ليعمّ في مقام التأييد والعود الآتي اي من الشيء
برحمتي وتعلّق باعانتي واغاثتي لاعيذنّه وفي رواية زيادة واذا استنصرني
نصرته والله قادر على ان يعطيه من غير ان يسأله وان يعيذه قبل ان يستعيذه
ولكنه سبحانه متقرّب الى اعطاء السائلين واعاذة المستعيذين وكذا ورد
من لم يسأل الله يغضب عليه اي لا يبلغ الغاية ولا يبيان الحال للاشعار بانه
معرّج للكمال المستغني عن جاره من الجلال والعبد غير مستغن عنه سبحانه لا في الايجاد
ولا في الامداد ومن لطائف الكلام قول بعض شعراء الكرام الله يغضب ان تركت
سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بالقسم
الحق اعلام بان من تقرّب الى الله لا يردّه اذا دعاه لكن كثير من السلف كانوا
مستجاب الدعاء ومع ذلك صبروا على البلاء منهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
لما عمي قيل له لو دعوت الله فقال قضاء الله احب من بصري وقيل لابراهيم التيمي
وهو في سجن الحجاج الا تدعو الله فقال اكره ان ادعوه ان يفرج عني ما فيه
اجر لي وصبر سعيد بن جبير على اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مجاب الدعوة وفي رواية

وفي رواية كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعاني فاجبته وسألني
فاعطيته ونصح لي فنصحت له وان من عبادي لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته
لافسده ذلك وذكر مثله في الفقر والصحة والسقم ثم قال اني ادبّر عبادي
لعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير وهذا مستفاد من قوله تعالى ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم اعلم ان الاستعاذة
انما هي لدفع المضار ومعظمها بالنسبة الى الابرار هي الخواطر فلا بد من معرفتها
فان الخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب او تعريف او طلب وانواعه
اربعة خاطر الحق المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذفه الرب من بطنان الغيب
على اهل القرب وبعض بطنهما لا ينفيه شيء ولا يتقضى المهلة ويعبر عنه بالالهام
وخاطر الملك وهو ما يرغب على الطاعات ويحذر عن السيئات ويلوم عليها
بعد الميل اليها وقد لا يطمئن ويطلب الطاعات ويحذر عن السيئات ويلوم عليها
بعد الميل اليها وقد لا يطمئن ويطلب المهلة وخاطر الشيطان وهو ما يدعو
الى المناهي والملاهي فيندفع بالاستعاذة والانتهاء وخاطر النفس وهو حركة
في الباطن تنبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها من اشياء منكرة يتحقق ان اسمه
منزّه عنها وغيرها ضيقا بل بترك المباحات واستدامة الذكر وسائر
الطاعات ويفرق بينهما بان الشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى
اذ مراده الاغواء كيف امكن في ضمن الاشياء بخلاف النفس فانها لا تزال تلح
حتى تظفر بمرادها الا ان يعيذه الله ولهذا اشد الخواطر على المريدين وحقيقة
الوسوسة ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء فذكره النفس والشيطان
فيحدث له ميل يترتب عليه فعل هذا هو المشهور بين الجمهور وقد ذكر النجم الكبير
خاطر القلب وهو ما سلم من منازعة النفس وينطلق من قيد الشك وغيره
وخاطر العقل وهو ما يكون مع النفس والبدن لاثبات الحجة على العبد ليجري
به العقاب مع الملك والروح ليستوجب به الثواب وخاطر الروح وهو
ما ينبعث من همة الشرح بها لحضرة الالهية ليستنزل بها الالهامات الربانية
وخاطر السر وهو ما ينبعث من ميلانه الى معرفة الصفات التي يستنزل المعارف

من تجارب الاسماء والذات وخاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم والاتقان في الخواطر
وخاطر الشيخ للمريد يرد عليه على قدر اللقمة المعنوية وخاطر النبي للاتباع على قدر الاتباع
والخاطر في المؤمن على قدر صفاء الباطن وتألف الروحين والخاطر في قلوب
الاخوان على قدر خلوص الصحبة انتهى ولا يخفى اندراجها تحت الخواطر الاربعة بل رجوع
تلك الخواطر باسرها الى اللمتين المذكورتين في الحديث كما حققه الشيخ العارف صاحب
العوارف والمعارف بل لا يبعد انه تعالى الاصل في الخواطر جميعها الحق الالهي في
والالهام الرباني لقوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها ذكره من قبل التوحيد
اسقاط الاضافات يعني في سلسلة اسباب المسببات ولما كان هذا التحقيق
من غوامض العلوم وادراك عوائد فوائده من دقائق الفهوم بسط الكلام في ذلك
واودناه ما هنالك والله الهادي الى سواء المسالك رواه البخاري لكن بزيادة
بعد لاعيذنه وهي قوله وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره
الموت وانا اكره مساءته قال ابن الصلاح وليس المراد بالتردد هنا حقيقته
المعروفة فيصح بل انه يفعل به كفعل المتردد الكاره اي محبته لم يكره مساءته بالموت
لانه اعظم الالام للدنيا الا على قليلين من اهل العقبى والمشتاقين الى قرب المولى
وان كان لا بد له منه كما في رواية وذلك لما سبق من محتوم قضائه وقدره
حيث قال كل نفس ذائقة الموت فسبحان من قهر العباد بما اراد وهذا بالنسبة
الى من يوجد عنده الكراهة الطبيعية كما تقتضيه الحالة البشرية والا ففي الحديث
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما رواه
احمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عائشة وعن عبادة **التاسع والثلاثون**
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز
اي عفا وتنازل بعض فعل ونحل المجاوزة ان الله سبحانه يطلب المذنب بالذنب
والمذنب يطالب الرب بالعفو لئلا يمسك عند الخوف من عذابه برحمته فاذا عفى
الرب فقد تجاوز عن المطالبة لي اي لاجلي وتعظيم امري ورفعة قدري وحصول
مرضي صدر عن امتي اي امة الاجابة قال الكواشي وتخصيصه كان بنو اسرائيل
اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم العقوبة الخطأ اي اثمه وقد

وقد ابعد ابن حجر حيث فسر اولا قوله تجاوز بمعنى ترك وثانيا حيث قال هنا يحتمل
عن حكمه او عن اثمه او عنهما جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا مرجح لاحدهما فابقى الحديث
على شموله لهما وتخصيصه بالثاني يحتاج لدليل انتهى ولا يخفى ان حكم الخطأ اعم من اثم
فعله وما يترتب عليه من تداركه فرفع الاثم مستفاد من هذا الحديث كما ان تداركه
مأخوذ من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الآية المراد بالخطأ هنا ضد العمد وهو ان يقصد
بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لمن زعمه في هذا الباب
بناء على ان تعمد المعصية قد يسمى خطأ ثم الخطأ بفتحتين مقصورا هو الاشهر ويجوز
مده مع فتح الخاء وكسرها وكسر الخاء وسكون الطاء وكذا ضم الخاء وسكون الطاء
وبهذه الوجوه كلها قرئ قوله تعالى انه كان خطأ كبيرا ولعل الخطأ بفتحتين هو المراد
بدليل الآية الاولى واما بقية الوجوه فمختصة بتعمد المعصية الا الخطاء بالفتح ممدودا فانه
يناسب ان يكون ضد الصواب والحاصل ان من اتى بشيء من المعاصي او اخل ببعض
الفرائض خطأ لا يتعلق به ذم في الدنيا ولا مؤاخذة في العقبى ولهذا لو قتل انسانا
خطأ بان لم يقصد الفعل كان سقط على صبي فمات او قصد الفعل دون الشخص كما اذا
رمى الى الصيد فاصاب انسانا لم يقتص منه اما من اراد ما يحسن فعله ولكن وقع
منه خلاف مراده فهو ممن اجتهد فاخطأ فله اجر واما من اراد ما لا يحسن فعله ووقع
منه خلافه فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وفي رواية
ان الله تجاوز عن امتي عن الخطأ قال ابن حجر وهي اظهر اذ لا يحتاج فيها لا لتضمين تجاوز معنى
بخلاف الاولى كما تقرر انتهى وفيه ان تجاوز لم يتعد الا عن مرتين فيحتاج هنا الى القول بان
ابدال الثاني عن الاول فيكون المعنى عن خطأ امتي والتضمين كثير في كلام الفصحاء ومن
البلغاء على انه ايضا يحتاج الى تقدير مضاف اي تجاوز عن اثم خطأ امتي بخلاف ما
قررنا حيث قلنا تجاوز بمعنى عفا فالخطأ مفعول بلا واسطة وعن امتي بالواسطة
والنسيان ضد الذكر بالكسر والذكر بالضم بمعنى التذكر وهو المراد هنا اي اثم ما صدر
عنهم من اقتراف ذنب او افتراق طاعة نسيانا ولهذا لو اكل الصائم او شرب
ناسيا فلا افطار ولا كفارة بخلاف الصلوة فانه لا بد من هيئة مذكرة وقيل اذا كان
اثم الخطأ والنسيان متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعاء بقوله ربنا

لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أو أجيب بأن هذا للتلذذ والاعتراف بالنعمة
بما رفع عنهم من البلاء وبأن النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه ما لا يعذر
كما إذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر كمن رأى نجاسة في ثوبه وأخر
الإزالة وصلى عد مقصرًا أو يجب القضاء وكذا إذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسي فذكر الخطأ والنسيان وإيراد ما هو المتسبب عنهما وقيل المعنى إن نسينا
المأمور به أو أخطأنا في المنهي وقد أجاب بأنه دعاهم بدليل ما ورد عنه عليه السلام
أنه سبحانه قال بعد كل دعاء فعلت أو نعم والله أعلم وغايته أن يكون الحديث
شيئًا في آخر الكلام القديم وما استكرهوا عليه بصيغة المفعول أي وإثم ذنب
صدر عنهم بالإكراه والإجبار فلا يكفر من أكره على الردة فتلفظ بها مطمئنًا بالإيمان ل
قلبه والحديث مخصوص بغير القتل والزنا واللواطة وشهادة الزور والحكم بالباطل
إكراهًا ونحو ذلك وفروع هذا الأصل وشروطه مذكورة في كتب المذهب من الأمور
المتفق عليها والمختلف فيها تعاه(؟) ولعل بلسان العارفين وأرباب الإشارة
هو أن الله لا يعاقب أمتي إن أخطأت طريق طلب الله أو في العمل لما في سواه من خوف
عقوبة أو رجاء مثوبة أو نسيت عهد الله الذي عاهدهم أن يحبونه ولا يحبوا غيره
لأنهم غرباء بعد إطالة العهد بهم مسافرين عنه محجوبين بأنواع البلاء عن قربهم لكن
سيعودون إلى الفطرة الأصلية والمحبة الأزلية لأنه حين لم يكن شيئًا مذكورًا
بل لم يكن في الكتاب مسطورًا قد نطق الحق بمحبتهم أولًا ورقم بها في اللوح ثانيًا
وأنزل عليهم قوله يحبهم ويحبونه ثالثًا ومنه ذكر من قال نقل فؤادك حيث
شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه
أبدًا لأول منزل حديث حسن أي إسناده رواه ابن ماجه لكن عن ابن ذر(؟)
كما صرح به في الجامع الصغير ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه عن ابن عباس
والبيهقي وغيرهما كابن حبان في صحيحه والدارقطني بإسناد صحيح وقد قال الحاكم
صحيح على شرطهما وما يغيره إلا إعلال بالإرسال وأما اعتقاد النص كونه حسنًا
مع تصريح جمع بالتصحيح لما حكى البيهقي عن محمد بن نصر المروزي أنه قال ليس لهذا
الحديث إسناد يحتج به فالأحوط أن يقال إنه حسن لذاته صحيح لغيره الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي بفتح الميم
وكسر الكاف مجمع العضد والكتف ويروى بالتثنية قيل وجه الرواية بالإفراد
وذلك ليتوجه توجهًا بليغًا فيما يلقي عليه ويتمكن في ذهنه ما يلقى إليه وفيه إيماء
إلى أن الراوي له منزلة عظيمة لديه فقال كن في الدنيا كأنك غريب أي لا تركن إليها
ولا تتخذها وطنًا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق
منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي
يريد الذهاب إلى أهله قال الحو(؟) وذلك لأن الدنيا دار ممر ودار عبور كما قال
عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فينبغي للمؤمن أن ينظر
الانتقال عنها ساعة فساعة من الأحوال متهيئًا لأسباب الارتحال يتدارك
الأعمال ورد المظالم أو طلب الاستحلال مشتاقًا إلى الوطن الحقيقي حيث كان في طلب
آدم عليه السلام ثم نقل منها إلى دار الغربة والآلام بالإقبال على مراودة طاعة ذي
الجلال والجمال على وجه الكمال قانعًا في سفره بلقمة من لقمة وستر من خرقة صابرًا
على ما أودع فيها من الأكدار فإنها بئس القرار وإنما العيش عيش الآخرة كما في
الأخبار ثم ترقى عن المقام الأول بلفظ أو التي بمعنى بل وقال أو عابر سبيل أي كأنك
عابر سبيل لأنه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويستأنس به وبأهله
فعقله ودر(؟) طائفة رفضوا الدنيا وانقطعوا عن الناس وتجردوا وأعرضوا عليه من الأغنياء
والأكابر بل صاروا حفاة عراة حاسري الرؤوس وفي الحقيقة هم العقلاء الأكياس
الخارج فضلهم عن الحد والعد وقياس القياس إن لله عبادًا فطنا طلقوا الدنيا
وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا أنها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا هذا وزيد في بعض طرق الحديث وعد نفسك في أصحاب
القبور وفي رواية الترمذي وعد نفسك من أهل القبور أي وتنبه من نوم الغفلة
وسكر الغرور وتب إلى الله واستعد للزاد يوم الحشر والنشور وهذا معنى
ما ورد موتوا قبل أن تموتوا وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت أي دخلت في
وقت المساء وهو أول الليل فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت أي دخلت
في وقت الصباح وهو أول وقت النهار فلا تنتظر المساء وفي هذا حث

على قصر الامل لانه سبب المبادرة الى العمل والمنجي من آفات الكسل فانه من
طال امله ساء عمله فالواجب ان يجعل نصب عينيه اجله فان هذا سبب للزهد
في الدنيا والاقبال على العقبى وكذا قيل من جعل الموت نصب عينيه اجله فان هذا
سبب الزهد لم يبال بضيق الدنيا ولا سعتها المعسرة في العقبى وقد ورد
في الصحيحين وغيرهما لا يزال قلب ابن آدم شابا في اثنين حب الدنيا وطول
الامل وعن ابي زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي
بحجر منقور فطلب من يقرأه فاذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت
في طول املك ولرغبت في الزيادة من صالح عملك ولقصرت من حرصك وحيلك
فاعمل ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة ذكره ابن الجوزي في منهاجه وقد قال ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن عمر رآني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا اصلح خصا فقال ما هذا قال خص لنا نصلحه فقال ما ارى
الامر الا اقرب من ذلك ذكره الترمذي وقيل لبعضهم الا تغسل قميصك قال الامر
اعجل من ذلك وعن محمد بن ابي توبة قال اقام معروف الصلوة ثم قال لي تقدم فقلت
ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف انت تحدث نفسك
ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وروي عن ابي سعيد الخدري
انه قال اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله عليه السلام
يقول الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت
عيني الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض روحي ولا طعمت لقمة الا ظننت
اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت
وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم بتراب
فاقول يا رسول الله ان الماء قريب منك فيقول ما ادري لعلي لا ابلغه ذكره الحارث
ابن اسامة وقد روي مرفوعا نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخرها
بالبخل والامل وهذا لان من قصر امله زهد في دنياه ومن طال امله طمع ورغب في
هواه وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لنسيانه الآخرة
وعن علي كرم الله وجهه ارتحلت الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا

فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب
وغدا حساب ولا عمل وكان الحسن يقول عجبا لقوم امروا باخذ الزاد ونودوا
فيهم بالرحيل الى المعاد وحبس اولهم في انتظار آخرهم وهم قعود يلعبون ما
يخطر هذا في خاطرهم وقد وقع في اصل ابن حجر الى الصباح والى المساء بزيادة الى
في الموضعين وهو مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشهورة وقد ابعد في تغيير
المعنى حيث قال اي اذا امسيت فلا تنتظر باعمال الليل الى الصباح واذا اصبحت
فلا تنتظر باعمال النهار الى المساء انتهى ووجه استبعاده لا يخفى على الفضلا
وخذ من صحتك لمرضك والمعنى اغتنم ايام الصحة والعافية لا تفت الاعمال الصالحة
الباقية قبل ان تمرض فتعجز عنها وتندم على ما فاتك منها وكذا الكلام في قوله
ومن حياتك لموتك زاد الترمذي في اربعينه فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا
اي ما اسمك ووصفك عند الله هل انت من الابرار او من الفجار والمعنى خذ من ايام
حياتك ما ينفعك من طاعتك بعد مماتك واياك والتسويف المانع فان
الوقت هو السيف القاطع وقد انشد لعلي كرم الله وجهه في هذا المعنى قريب منه
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل عن الاحسان
فيها فما تدري السكون متى تكون اذا ظفرت يداك فلا تقصر فان الدهر
عادته يخون ثم الموت احد الاسباب الموصلة الى النعيم السرمد ومن ثم قيل لكم
خلقتم للابد ولكن تنقلون من دار الى دار فهو وان كان في الظاهر فناء لكنه
في الحقيقة بقاء وولادة ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا يصير نخلا الا
بعد فساد صورتها وقد امتن الله علينا بالموت فقال الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم وقال الذي خلق الموت والحيوة وقدمه لكونه ذريعة الى الحيوة
الحقيقية كما قال وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون وفي الحديث الموت تحفة المؤمن ثم الروح لا يدخل تحت سكرات
الموت بل ينفصل وينقطع علاقته عنه اولا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية
مرضية واما ساخط مسخوط ثم يتعلق حين دفن كما تعلق به ارادته سبحانه
كما يشير اليه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ويتوجه عليه سؤال الملكين ويرد عليه

عذاب القبر وثوابه ويبقى له العلاقة بالتلذذ والتألم بحسب اختلاف اكتسابه
ثم يرتقي روح المؤمن الى الدرجة العليا ويصل الى السعادة الكبرى واما الذي
تذوق الموت فهي النفس الحيوانية المركبة من الطبايع الانسانية كما قال تع
كل نفس ذائقة الموت اذا خرج منه تنهدم اركانها وينهدم شانها لكن
العارفون الذين صفت اجسادهم وتجانست ارواحهم واشباحهم لا يطرق
اليها البلى كما في الانبياء والشهداء والاولياء من البلاء بل يجذبها الى حضرة
اللاهوت ونظيرهما في عالم الملكوت فافهم هذه الاسرار التي نطقت بها
الاخبار وقد ورد معنى هذه الوصية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من عدة طرق منها
خبر الحاكم انه عليه السلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك وما احسن من قال من ذوي الاحوال وما هذه الايام الا معدودة فما
استطعت من معروفها فتزود فانك لا تدري باي بلدة تموت ولا ما
يحدث الدهر من غد رواه البخاري هذا بظاهره يشعر بان الحديث المرفوع والموقوف
بكلاهما رواه البخاري وفي الجامع الصغير للسيوطي ما ينافيه فانه قال كن في الدنيا
كانك غريب او عابر سبيل رواه البخاري عن ابن عمر وزاد احمد والترمذي وابن ماجه
وعد نفسك من اهل القبور فالمتبادر ان الموقوف عن عمر ليس مذكورا في البخاري
نعم روى هذا الموقوف مرفوعا ايضا فرواه البيهقي عن ابن عمر قال اخذ رسول الله عليه السلام
ببعض جسدي فقال كن في الدنيا كانك غريب وعابر سبيل وعد نفسك من اصحاب
القبور وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك
فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا والحاصل ان هذا الحديث فذلكة الاحاديث
السابقة ونتيجة الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ولهذا ختم به عدد الاربعين
كما ختم به اسلام عمر حيث نزل فيه يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
الحادي والاربعون عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بالواو رضي الله عنهما ابن العاص
بلا ياء هو الصحيح لانه اجوف لا ناقص كما حققه صاحب القاموس حيث قال الاعياص

الاعياص من قريش اولاد بني امية ابن عبد الشمس الاكبر وهم العاص وابو العاص
والعيص وابو العيص واما ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي بالياء فهو مبني
على توهم انه اسم فاعل من العصيان وانه يجوز اثبات الياء وحذفها كما هو مقرر في محلها
نعم العاص هو الكافر العاصي واما من ذكر قبله فهما صحابيان فينبغي ان يقال رضي الله عنهما الا انه
قيل ابن العاص كما اشرنا اليه لا بعده كما فعله ابن حجر فانه يتوهم منه ان الاخير صحابي
وعبد الله تابع فتدبر فانه اسلم قبل ابيه وكان اكبر منه باحدى او اثنتي او ثلاث عشرة
سنة عابدا عالما وهو اكثر الناس اخذ الحديث قال ابو هريرة ما كان احد اكثر مني حديثا
الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها
وتوفي بها وقيل بالطائف وقيل بالشام وقيل بمصر سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين
سنة من روايته سبعمائة حديث وروايته اكثر من ذلك لما تقدم وانما قوعرت الطرق
في الرواية عنه فكان ذلك سببا لقلة ما صح عنه بل قال انه حفظ عنه عليه السلام الف مثل وقد عمر
في عمره وهو احد العبادلة الاربعة وكان النبي عليه السلام يفضله على ابيه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه بالقصر اي ميل
قلبه وطبع نفسه تبعا اي تابعا لما جئت به شرعا جامعا مانعا والمعنى لا يكمل ايمان احدكم
حتى يكون هو موافقة للشريعة مثل موافقة لما يوافقه من غير الكلفة ويجوز ان يحمل على نفي اصل الايمان
اي حتى يكون هو تابعا للشرع اعتقادا كالمخلصين لا عنادا كالمنافقين فتعين ويوافق هذا
الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده واهله والناس اجمعين رواه الشيخان
ولما صدقت محبة الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هواهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه اباءهم
وابناءهم وبذلوا في طريقه مهجهم وانفقوا اموالهم وطوبى لهم ثم طوبى لهم فمن كان الهوى في
الباطل المطاع والمحبوب الاتباع تابعا للطريق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء اصبح
يصير الهوى المختلفة وخواطره المتفرقة التي ينبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحدا
متعلق بامر ربه واتباع شرعه وتعظيما لحقه وشفقة على خلقه كما قال كانت لقلبي اهواء
متفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي وصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى
الورى اذا صرت مولائي تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلا بحبك يا ديني ودنيائي
فلا يميل الا بامر الشرع ولا يهوى الى حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذي يقبل منه التوحيد

ومن اعرض عنه متبعاً لهواه متبعاً لرضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه ومن تبع
اصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والهوى مصدر هواه
اذا احبه وشرعاً ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع فان قلت ما جاء به
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نور وضياء سمي بالشريعة والهوى ظلمة في النفس منبعثة
من الطبيعة فكيف يصير الهوى الظلماني تبعا للدين النوراني مع ان علة الانضمام الكلي
هي الجنسية فالجواب ان النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح والبدن وايضا
والروح لطيف روحاني والجسد كثيف ظلماني والنفس متوسطة بينهما يقبل اللطافة
الروحانية والكثافة الجسمانية وهذا هو التسوية التي قال تعالى ونفس وما سويها
فاستفادة الروح النوراني من الروح النفساني بمثابة النور في الحدقة فصارت لها
النفس قابلة للخير والشر والفجور والتقوى كما قال الله تعالى فالهمها فجورها وتقويها
فاذا غلب الامر بالتقوى صارت من كانت عن كدورات الدنيا متوجهة الى الدين قابلة
لليقين مائلة الى العقبى سائقة الى المولى واذا غلب الامر بالفجور صارت تابعة للهوى
سالكة مسالك الردى كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وما احسن قول
بعض ذوي العرفان نون الهوان من الهوى مسروقة فصريع كل هوى صريع هوان قال الراغب
مثل النفس في البدن كمجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله وعقله خليفة مولاه لديه ضم اليه
ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه بمنزلة مركوبه وهواه سايس خبيث ضم اليه
ليتفقد مركوبه والقرآن بمنزلة كتاب اتاه من مولاه تبيانا لكل شيء ورحمة
والنبي برسول اتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل اليهم واشكل عليهم فان جاهد
اعداءه وقهرهم واستعان بالعقل في امره حمد اثره اذا عاد الى حضرته ويوم المقابلة
ومن ضيع ثغره واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه واقام سايس المركب مقام خليفة
ربه فهو في الآخرة من الخاسرين ج نعم اعلم انه روي عن ابن عباس قال الهوى اله يعبد في
الارض ثم تلا ارأيت من اتخذ الهه هواه وقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وجاء مرفوعا ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله
من هوى متبع اخرجه الطبراني وكذا روي عن اسماء بنت عميس مرفوعا بئس العبد عبد هوى يضله

يضله وبئس العبد عبد طمع يقوده فالهوى هو البلية العظمى فانها منبع شهوات
الدنيا حديث صحيح اي اسناده رويناه بصيغة الفاعل في كتاب الحجة اي في اتباع
المحجة في عقيدة اهل السنة للحافظ ابي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني
وقيل هو ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق باسناد صحيح
ورواه محيي السنة في المصابيح وشرح السنة وقد اخرجه ابو نعيم ايضاً في كتاب الاربعين التي
شرط في اولها ان يكون من صحاح الاخبار وجياد الآثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقله
ورواه الطبراني ايضا وكذا الحافظ ابو بكر بن ابي عاصم الاصبهاني **الثاني والاربعون**
عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن
آدم مشتق من اديم الارض وقيل اعجمي لا اشتقاق له ويؤيد الاول حديث مرفوع
خلق آدم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر
والسهل والحزن والطيب والخبيث والمراد هو وذريته كانه قال ايها الجنس ليدخل
ابو الانس فيه دخولا اوليا ثم في هذا النداء نكتة للعرفاء وهي ان اقوى المراتب الاسم
واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه
وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل كما قد
يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب حال التضرع
والنداء حيث قال ادعوني استجب لكم انك ما دعوتني مخ العبادة ورجوتني اي
ورجوت مغفرتي وطمعت في رحمتي او خفت من عقوبتي وخشيت من عظمتي اذ الرجاء
يستلزم الخوف ايضا ما دام زمانية ظرف قوله غفرت لك اي سترت عيوبك ومحوت
ذنوبك على ما كان منك اي مع ما وقع منك من الذنوب الكثيرة الصغيرة والكبيرة
ولا ابالي اي لا يعظم علي كثرتها فان جرايم العباد وآثام اهل العناد في جنب عظمة رحمة
الرب كذرة صغيرة بل اقل منها كالهباء وفي الحديث تحريض على الدعاء وتحقيق
الرجاء فحقيقته استدعاء العبد ربه واستمداده منه والمعونة وحقه وله شرائط
وآداب تقدم الاشارة اليها في اثناء الكتاب فان قيل ثبت القلم بما هو كائن
فالدعاء لا يزيد ولا ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب ان كان من مصالح العبد
فالجواد المطلق لا يبخل بسؤال سائله ادم بسؤاله وان لم يكن منها لا يخسر طلبه ولان

في اشتقاق آدم

الرضاء بالقضاء باباته الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافي هذا المقام الافخم
فالجواب ان الدعاء من سنن المرسلين ومن شعار المسلمين ودأب العرفاء الصديقين
والقرآن والحديث ناطق بصحته بل مؤذن بوجوب سؤال الله ودعوته والسبب
العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه غائبة من عقول عباده والحكمة الالهية
يقتضي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق
صح القول بالتكاليف الشرعية مع الاعتراف باحاطة علم الله وبجريان قدره 22
في كل قضائه ومن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فكل ميسر لما خلق له في جواب قولهم ففيم
العمل مع انه كتب مقعد كل احد من الجنة او النار يدل عليه او يشير اليه فانه رغبهم
سابق القدر في الازل ثم رغبهم في القيام بالعمل ليعلم ان الوسائط والروابط معتبرة
في جميع امور هذا العالم والله سبحانه اعلم واما الرجاء فهو ان يأتي بحسنة يرجو قبولها
او سيئة ثم تبت عنها فيرجو مغفرتها واما الرجل الفاسق المتمادي المتواني في العمل
ارجو المغفرة فهذا من اكاذيب الاماني قال ش الكرماني علامة الرجاء حسن
الطاعة ويؤيده قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله وقوله سبحانه ان رحمة الله قريب من المحسنين وقيل الرجاء رؤية
الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب او سرور الفؤاد بحسن المعاد
اذا كثرت منك الذنوب فداوها • برفع يد في الليل والليل مظلم • ولا تقنطن
من رحمة الله • انما قنوطك من خطاياك اعظم من رحمته للمحسنين كرامة ورحمته للمسرفين تكرما
واما الخوف فهو عبارة عن ألم القلب بسبب توقع مكروه في الغيب وسببه التفكر
في تفاصيل انواع العذاب المتوعد به على الفاجر وهو نصيب اهل الظاهر او معرفة
الجلال والكبرياء وهو وظيفة الانبياء والاولياء والاول يزول والثاني لا يزول
ومن كان خوفه في الدنيا اكثر منه في العقبى اظهر وبالعكس فتدبر ويروى انه
ينادي يوم القيمة وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين فمن
امنني في الدنيا خوفته يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة يا ابن
آدم لو بلغت ذنوبك اي وصلت من كثرة كميتها او من غلظة كيفيتها عنان
السماء بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك منها اي ظهر اذا رفعت راسك

راسك اليها ذكره المصنف وقال التوربشتي العنان السحاب واضافته الى السماء
غير فصيحة والصواب اعنان السماء اي صفائحها واقطارها كانها جمع عنن
فلعل الهمزة سقطت من بعض الروايات او ورد العنان بمعنى العنن انتهى
ولا يخفى ان الاضافة تصح بادنى ملابسة فلا ينبغي تخطئة جميع الرواة ثم لو ورد
رواية عن بعضهم لربما حكم ان الصواب معهم مع ما فيه من الفائدة المشعرة بان
السحاب منطبق آخذا بآفاق السماء لان افق واحد لانهم يطلقون على كل
افق سماء كما يطلقون على كل طبقة سماء فتفيد المبالغة في كثرة الذنوب
بحيث لو كانت اجساما لملأت ما بين السماء والارض كما جاء في رواية لو
اخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم
ثم استغفرتني اي تبت توبة صحيحة بان ندمت على المعصية من حيث كونها معصية
واقلعت عنها وعزمت على ان لا تعود اليها وتداركت ما يمكن من قضاء الطاعة
التي فوتها ورد المظالم الى اهلها او استحلالهم فيها غفرت لك وان تكرر المعصية
والتوبة ففي الحديث من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة كما رواه ابو داود
والترمذي واما الاستغفار مع الاصرار على الذنوب الكبائر ففي توبة الكذابين
الفجار وقد اخرج ابن ابي الدنيا حديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه
كالمستهزئ بربه وكذا قال اصحاب ابي حنيفة من قال استغفر الله واتوب اليه
وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب آثم لانه اخبر انه تائب وليس كذلك
وقد قال طائفة من السلف انه يكره له ذلك والظاهر ان هذا بالنسبة الى قوله
اتوب اليه واما بالنسبة الى قوله استغفر الله فلا اذ لا يلزم منه كذب فان الاستغفار
من جملة الادعية والاذكار مفيد ولو مع الاصرار بتخفيف الكبائر وتكفير الصغائر
هذا وفي كلام بعض العارفين ان التوبة هي الرجوع عن مخالفة حكم الحق الى موافقته
فلا بد من معرفة الذنب حتى يرجع منه بندم القلب وكثرة الاستغفار وترك
الجوارح عن الاوزار ومن رام حقائق توبة الواصلين فعليه بكتاب منازل السائرين
يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض اي بملئها كما قال بعضهم وقال الجزري وهو
بضم القاف وكسرها الفتان روي بهما والضم اشهر ومعناه ما قارب ملأها قوله

خطايا تمييز عن الذات المقدرة في الاضافة نحو ملئها عملاً او حال على ان ما قبله
مفعول به والباء للتعدية ثم لقيتني اي حال كونك ميتاً بوصف الايمان والاسلام
فثم للمهلة لا للتراخي في الاخبار كما اختاره بعض الشراح لا تشرك بي شيئاً بذاتي
وصفاتي وافعالي او شيئاً بعبادتي من النفس والشيطان والخلق اذ الشرك
قسمان جلي وخفي والاول غير مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب عليه وبالجملة
حال لاتيتك بقرابها مغفرة وهي ازالة العقاب وايصال الثواب ونكرها ليفيد
المغفرة العظيمة وعبر بقرابها للتمثيل كله والا فمغفرته سبحانه غير متناهية وقد
ورد اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي واعلم ان عباد
الله الذاهبين اليه المقبلين عليه قسمان الواقفون والسالكون والمراد بالواقفين
من وقف من في عالم الصورة والمبنى ولم يفتح له باب في الحقيقة والمعنى كالفرخ المحبوس
في قشر البيضة الخلقية فيكفيه شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم
القلب ومعاملاته مع الرب لانه محبوس في سجن الابدان وعليه هو كلا ان يكتسبان
من اعمال الظاهرة لديهما او الملهمة اليهما او المنكشفة عليهما فان اتقى الله العلي برئ
من الشرك الجلي يغفر الله له مساويه ويشكر له مساعيه واما السالك فلا يتوقف
في محل ولا ينزل من منزل بل يسافر من عالم المبنى الى عالم المعنى ومن مضيق الاشباح
الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بتقوى الشرع
والعقل على جادة الطريقة وخطاياه ما يحجبه عن المولى من مراتب الدنيا والاخرى و
رؤية غير الله والتعلق بما سواه فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتاً وصفة
وفعلاً حتى وجوده اصلاً كما قيل ٭ وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وهو
الشرك عندهم كما قال العارف ابن الفارض ولو خطرت لي في سواك ارادة
على خاطري سهواً حكمت بردتي فاذا تخلص من ذلك العصيان تلقاه ربه بالغفران
بانه يستر بشواهد هويته ذنوب وجود الاغيار ويرحمه بدفع البينونة والاستتار
والطيار عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر يطير بجناحي العشق وهمة
الذوق والشوق في فضاء الحقيقة وفي دجلة جلجلة الشريعة وهو المتهيئ
لحمل اعباء الامانة التي لم يوجد في السماء والارض امين يتهيأ لتحملها فلما عرضت عليه نظر

نظر اليها وعشقها وصار فراش تلك الشمعة يدور حولها حتى حملها فنسب
بالبداية الى الالف و[illegible] الوفاء ولقب في النهاية بالظلوم والجهول
فان قلت من ابى ولم يطع في حمل الامانة نسب الى المكانة من الطاعة والامانة
ومن اطاع واتى نسب الى الظلم والجهل والخيانة فما الحكمة في ذلك قلنا ان
الذلة والمسكنة وقعت في جانب العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت
في طرف المعشوق باجمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وايضاً
كما ان عزة الامانة يلزم كمال المؤمن في اصلاح كتمان امر الامانة وقد يختص غيره
بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في السر بذلك على حقيقة هذه
الدقيقة خطاب اسجدوا لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون رواه الترمذي رحمه الله تعالى
وقال اي هذا كما في نسخة حديث حسن صحيح وفي نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب
لا نعرفه الا من هذا الوجه والمعنى انه غريب اسناداً لا متناً ومطلق الغرابة
لا ينافي الحسن والصحة ورواه احمد وابو عوانة ايضاً في مسنده الصحيح من حديث
ابي ذر والطبراني عن ابن عباس ثم اعلم ان هذين الحديثين مما عليه مدار الاسلام
ويتضمن ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان اولهما في الترهيب من اتباع الهوى
والترغيب في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض على الرجاء والمغفرة
والدعاء الذي هو مخ العبادة اوردهما زيادة على عدد الاربعين في اواخر الكتاب
نصيحة لكل تواب واواه واواب واشعاراً بما قال بعض ارباب الحال من زاد
زاد الله حسناته ولعله اشتغل في هذا المحل الى مضمون حديث الحال المرتحل
فكان الحديثين بمنزلة الفاتحة وصدر سورة البقرة والى قوله سبحانه فاذا فرغت
فانصب والى ربك فارغب اي بزيادة المطلب حتى يتقرب وختم بهذا الحديث
العظيم اشعاراً بانه يجب على العبد ان يعتقد في مولاه الفضل والاحسان والمغفرة
والرأفة والامتنان وان يحسن ظنه آخر عهده في الدنيا واول عهده في العقبى
فانه يتحقق رجاء الراجين حينئذ ويرجى الاسعاد والامداد والتوفيق فيا من سمع له
مسائل الدار فزهد فيه وشغلهم الموت فلا يضحك بما فيه اعتصم بحبل الاعظم
واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام له واقبل على القرآن والحديث فما دونهما

جفاء ونتحول من القران ما هو شفاء ثم رايت منقولاً ان جماعة من السلف اجتمعوا
على باب الفضيل بن عياض رحمه الله ليسمعوا من الحديث فاطلع بهم ان من كوة
وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلاة عليكم بالطوف ويحكم
ليس هذا زمان تضرع وبكاء واستكانة ودعاء كدعاء غريق في البحر العميق انما
هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر ولعله اراد بالحديث علو الاسناد كما قال غيره حدثنا باب من ابواب الدنيا
لان غالب اهلها ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض فاسد من الاشتهار والاستظهار
لا قصد العمل والاستبصار والاعتبار قال المصنف فهذا آخر ما قصدته اي نويته واردته
من بيان الاحاديث التي جمعت قواعد الاسلام اي اساسه وما عليه مدار على الاعلام
وتضمنت ما لا يحصى من انواع العلوم في الاصول اي اصول الدين من الالهيات والنبويات
والفروع اي الاحكام الفقهية المتعلقة بالاعمال الظاهرية والآداب اي تصحيح الاحوال
وتصحيح الاخلاق الباطنية وسائر وجوه الاحكام اي ما يحصل به كمال الايمان
والاحكام وما ذلك الا لكون علوم العاملين وفهوم العالمين عاجزة عن درك حقائق كلامه
وقاصرة عن كنه دقائق امره وانما يغترف كل احد من اتباعه من بحر فيضه على قدر
يحسن من اتباعه وهو مظهر الاسم الاعظم وكنز الافتتاح الذي ظهر على وجه العالم ولذا
قال بعض العارفين قد عرف الخلق مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية لسترها بالاوصاف
البشرية فلله الحمد والمنة على اتمام هذا الشرح واسأله المزيد من فضله من زيادة
النصر والفتح انه ولي ذلك والقادر على ما هنالك والمأمول من افضال الافاضل
والطاف الآمال ان ينظروا في كتابي بعين الرضا ويصلحوا ما فيه من الزلل والخطاء
فاني قليل البضاعة قصير الباع في الصناعة لكني رب حامل فقه الى من هو افقه منه
فالسعي بقدر الاستطاعة واسأل الله حسن الخاتمة في آخر العمر من الساعة
التي هي آخر الغاية فرغ مؤلفه في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان
المبارك تمام عشر بعد الالف من الهجرة بمكة المكرمة قبالة الكعبة
المعظمة حامداً على ما هداه الله وشاكراً على ما اولاه ومصلياً
ومسلماً على نبيه وسائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت بعون الله وحسن توفيقه حرره الفقير سيد محمد
الواعظ بجامع رستم باشا غفر له
محسنه ... والف
... سنة ...

بلغ مقابلة ... في ... ذي القعدة ١١٣٤